

الرسائل الجامعية

الديانة الوضعية عند العرب قبل الاسلام

اطروحة تقدم بها

أنمار نزار عبد اللطيف سعود الحديثي

الى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه آداب
في التاريخ الاسلامي

باشراف
الاستاذ الدكتور صالح أحمد العلي

جمادي الثاني / ١٤٢٤ هجرية **آب / ٢٠٠٣ ميلادية**


بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد بأن الاطروحة جرت تحت اشرافي وأوصي بمناقشتها .

الاستاذ الدكتور صالح أحمد العلي
(المشرف)

بناء على توصيات المشرف ، أُرشح الاطروحة للمناقشة .

الاستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب
رئيس قسم التاريخ

نشهد باننا أعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الاطروحة وقد ناقشنا الطالب (أنمار نزار عبد اللطيف الحديثي) في محتوياتها ومما له علاقة بها ، ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي بتقدير (امتياز) .

الاستاذ الدكتور أحمد مالك
رئيسا

الاستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم
عضوا

الاستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح
عضوا

الدكتور هادي حسين حمود
عضوا

الدكتور جواد مطر الحمد الموسوي
عضوا

الاستاذ الدكتور صالح أحمد العلي
عضوا (المشرف)

صُدقت في مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد .

الاستاذ الدكتور بهجت كامل عبد اللطيف
عميد كلية الآداب

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير الى أُستاذي الدكتور صالح أحمد العلي الذي أشرف على إعداد هذه الرسالة وزودني بما يحتاج العمل من خبرة ومهارة ، فكان معي العالم والمربي والانسان ، وكان لي الشرف أن يكون مشرفي مرتين الاولى في مرحلة الماجستير والثانية في مرحلة الدكتوراه . فله الشكر الجزيل وتمنياتي له بمزيد من العطاء لننهل منه، وعمرا مديداً إن شاء الله .

وأتقدم بالشكر والتقدير الى رئيس قسم التأريخ الأُستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب ، والى أساتذتي في الهيئة التدريسية ، إذ لولاهم لما وصلتُ الى هذا المستوى من العلم ، فملكوني بما أعطوني فألف شكر .

وللأُستاذ الدكتور خضير الجميلي كل تقدير واحترام حيث لم يبخل عليَّ بمعلوماته القيمة ومراجعة بعض الفصول رغم مشاغله وظروفه التي واكبته ، فكان خير الأُستاذ الكريم لطلبته .

وأشكر الدكتور جواد مطر الحمد الأخ والصديق الذي أمدني بجميع الكتب النادرة والثمينة التي تخص الموضوع .

كما أتقدم بالشكر الى الدكتور عبد اللطيف علوان الجميلي الذي ساهم بترجمة ملخص الرسالة ، والى الدكتورة لمى فائق العاني كل الامتنان لما بذلته من جهد علمي في ضبط النص اللغوي للرسالة .

كذلك اشكر أصدقاء دورتي الأوفياء منذ الماجستير ولحين هذا الوقت ، عبد الرحمن فرطوس ونذير صبار ومحمود عبد الواحد ، معاناة واحدة وأخوة حقيقية دائمة .

وأشكر الأُخت سهيلة كاظم شكرا خاصا وكبيرا لما واجهته من مصاعب جمة أثناء طبع الرسالة ، فلولاها لما ظهر هذا العمل فشكرا لها وعذراً لما عانته في هذه الظروف الصعبة .

وأشكر بامتنـان عميـق كـل مـن هيئـة مكتبـة الدراسـات العليـا فـي كليـة الآداب وهيئة مكتبة المجمع العلمي ومسؤولة مكتبة قسم التأريخ ومكتبة قسم الآثار ، وجميع العاملين في المكتبة الوطنية والمكتبة المركزية ، والعاملين في مكتبة كلية الآداب ، لمساعدتهم القيمة وعملهم الدؤوب .

وأتقدم بالشكر الى جميع موظفي شعبة الدراسات العليا في الكلية للتسهيلات التي قدموها لنا كطلبة دراسات عليا ، فكانوا لنا اخوة بحق .

وأخيرا شكري الكبير الى عائلتي التي تحملت عناء سنوات من الدراسة وأولهم أبي ، استاذي ومعلمي الأول والذي أُدين له بكل هذا العلم ، أُمي القلب الحنون ، زوجتي ورفيقة دربي والتي لم تر منذ أول نور لهذا الدرب الا الدراسة ، وما زالت معي تشجعني وتوفر لي الجو الهادئ ، فلولاها لما رأى هذا العمل النور، أفياء وعمر أولادي ، شكرا على معاناتكم معي منذ أن أبصرتم النور ، فعذري ان كل هذا لأجلكم ، أُختي العزيزة تحملت بعض الوزر من هذا العناء ، فشكرا لكِ . وشكر خاص لعمي العزيز سعيد عبد اللطيف الذي ساهم في إعطاء بعض المعلومات القيمة التي رفدت هذه الاطروحة خاصة فيما يتعلق بموضوع الآلهة .

وعذرا إن غفلت الذاكرة عن شخصٍ لم تستحضره .

فهرس

الجداول

اللوحات

المقدمة

تحظى شبه جزيرة العرب بأهمية خاصة في الدراسات المختصة بتأريخ الإنسان ، فهي جزء من الوطن العربي حيث بزغت الحضارة أول مرة في ربوعه منذ ان انتقل الإنسان من عصر جمع القوت إلى إنتاج القوت ، وأنشأ أول القرى الزراعية في العراق في حدود (٨٠٠٠) سنة قبل الميلاد ، ففي ذلك الوقت حيث أكمل العصر الجليدي الرابع انسحابه واستقر النظام المناخي على الأسس التي نعيش تطوراتها ، كان الوطن العربي أبرز المناطق الدفيئة وأوسعها مساحة وكان إنسانه قد استكمل خبراته المحصلة من تجاربه التأريخية السابقة ووجد في الظروف الجديدة فرصة لتطبيقها في حياته اليومية . وتكشف مراكز الاستقرار الأولى عن مجمل حياة الإنسان في جوانبها المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية ، وتكشف القرى الزراعية الأولى في أدوارها المتعاقبة غزارة تلك الحياة والقدرة الفائقة على التخيل وإنتاج الأشياء ، ويرجع علماء الآثار والدراسات الخاصة بتأريخ الإنسان التطورات اللاحقة في حياته إلى النشأة الأولى .

يبقى حقل الدراسات الدينية لشبه الجزيرة العربية بحاجة إلى تناولٍ مستمر من الباحثين ، بسبب ندرة المعلومات المتاحة ومحدودية نطاق دراسات الباحثين السابقين واقتصاره على جزء محدود من الموضوع . مما جعل دراسة الديانة الوضعية عند العرب قبل الإسلام مسألة مطلوبة . واقصد بالديانة الوضعية ديانة الشرك وعبادة الأصنام (أي ديانة من وضع البشر) [١] . مع الوعي بأن قلة الدراسات الأثرية تجعل هذه الدراسة صعبة للغاية .

نشأت الديانة في وادي الرافدين ووداي النيل ، إذ وصلت إلينا أخبار أول المعبودات في منطقة تُعد من أول مواطن الحضارة . وقادت دراسة هذه النشأة والكشف عن البداية الأولى أو المبكرة للمعتقدات الدينية إلى تحديد منبع هذه المعتقدات وأسلوب التوارث الاجتماعي لها وأثره في إنضاجها لتصل إلى حد إرساء

---

(١) أحمد الربايعة ، عبادة الأصنام في الجزيرة العربية قبل الإسلام ووظيفتها الاجتماعية ، مجلة أبحاث اليرموك ، (المجلد ٣ ، العدد ١ ، ١٩٨٧) ، ص ٣٥ .

نظـام دينـي خـاص بهـا ، يعكـس تطـوره حجـم الخبـرات التأريخيـة وعمـق التطـورات الاجتماعيـة التـي كانـت وراءه ، ويكشـف لنـا عـن عمـق التمثـل الـذي اتسـم بـه تـداول الأجيال لذلك النظام والتواصل الحضاري مع حضارة الأقوام الأقدم وهي مسألة كان لهـا دور فـي اسـتمرار النظـام الـديني أولاً وارتباطـه بالكيـان التـأريخي لهـذه الأجيـال وتحديد هويتها ثانياً وقدرته على التأثير باستمرار ثالثاً .

ويبقـى السؤال عما إذا كـان التواصـل التـأريخي لأقوام شـبه الجزيـرة العربيـة قد اقتصر على المعتقدات الدينية وأنه تم بمعزل عن الحياة الاجتماعية ، أم أنهما تطـورا معاً ، وما إذا كان تطورهما المنفرد أو المزدوج قد حقق أغراض الناس ؟

ان معرفـة درجـة الحـراك الاجتمـاعي للكتـل القبليـة ونظامهـا القرابـي مفيـد فـي معرفة آليـة انتشـار الآلهـة ، ومـا إذا كـان ناتجـاً عـن ذلك الحـراك الاجتمـاعي والكيفيـة التـي أسـهم بهـا فـي بلـورة النظـام الـديني العربـي ومـا ترتـب عليـه مـن تطـور اقتصـادي وتحالفات سياسية وتفعيل دور الآلهة في تمازج الأفكار وتحقيق التقارب الـديني الـذي شكلته مكـة فيمـا بعـد . وتختص هـذه الاطروحـة بدراسـة النظـام الـديني الوضـعي فـي شبه جزيـرة العـرب ، لتحديـد أسسـه الأولـى وطبيعتـه واتجاهـات تطـوره ، وتـم تحديـد هدفها حسب عنوانهـا لمعرفـة الآلهـة العربيـة ومصـدر اشـتقاقها ومـا إذا كـان واحـداً أم متعدداً حسب طبيعته العامة ، وتحديد الأسس التي قامت عليها والعبادة التي كُرست لها .

اعتمـدت الدراسـة منهجيـة انطلقـت مـن تكـوين قاعـدة معلومـات شـاملة دقيقـة بالآلهـة فـي المـدة التـي سـبقت الإسـلام فهـي دراسـة وصـفية تحليليـة تأريخيـة ، ثـم اتجهت الدراسة إلى الوقوف على الدلالة اللغوية لأسماء الآلهة للتعرف على اشتقاقها بمـا يسـاعد فـي فهـم طبيعتهـا وصـلتها بحيـاة النـاس ودراسـة التوزيـع الجغرافـي والقبلـي للآلهـة . وتـم تعزيـز دراسـة التوزيـع القبلـي للآلهـة بـالوقوف علـى حـالات التفـرد أو الاشتراك في عبادة آله معين والسعي لتحديد هذه الوضعية بجغرافية الآلهة لمعرفة ما إذا كان للتفرد أو الاشتراك دلالة توضح طبيعة الحياة الدينيـة وتعين في معرفة مدى تطابق التوزيع الجغرافي مع التوزيع القبلي وأثر الحراك الاجتماعي للقبائل في تحديد طبيعـة الآلهـة وانتشـار عبادتهـا وأثـر التمـازج الاجتمـاعي فـي بلـورة المعتقـدات الدينيـة

وتطورها نحو شكل من أشكال التوحيد ترافق مع تبلور نظام عربي اجتماعي ثقافي اقتصادي سياسي ، فأخذت شكل دراسة تحليلية تهدف العودة إلى الأصول التي اشتقت منها هذه الآلهة وتحديد علاقاتها ببعضها وعلاقاتها بعناصر المكان (البيئة والإنسان) وقد تم كل هذا اعتماداً على استيعاب الإشارات الواردة في المصادر الأولى من دون قياس إلى حالة خارجية أياً كانت درجة قطعيتها ، إذ تمَّ إيلاء أهمية خاصة للنشأة التاريخية العربية وتطورها المستقل المميز .

قسمتُ الاطروحة إلى أربعة فصول . تحدثتُ في الفصل الأول عن النشأة الأولى للدين في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل وعن الأقوام الجزرية الأولى التي غذت الحضارتين بالأفكار الأولى عن الآلهة وكيفية تطور هذه الأفكار ونشوء أول مجمع آلهة نشأ عنه كيان سياسي مثلته حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل . ثم تطرقتُ إلى الكيفية التي انتقلت بها هذه الأفكار إلى كل من أقوام الجزيرة اللاحقة فيما بعد سقوط العراق ومصر تحت الاحتلال الأجنبي والاسلوب الذي تداولت به هذه القبائل الموروث الديني والكيفية التي ظهرت فيها مكة التي مثلت النظام الديني لعرب شبه الجزيرة قبل الإسلام . وبحثتُ في الفصل الثاني التوزيع الجغرافي للآلهة في محاولة لمعرفة أثر الجغرافية في نشأة المعتقد الديني وكيفية انتشار الآلهة بين القبائل العربية وصلة ذلك بالتحالفات السياسية والاقتصادية وعلاقته بنظام الزواج . وبحثت في الفصل الثالث تطور النظام الديني عند العرب قبل الإسلام وتوقفتُ عند المصطلحات التي استخدمها الرواة في حديثهم عن الحياة المدنية العربية في محاولة لدراستها بشكل يوضح بعض جوانب الحياة الدينية ، كما قمت بدراسة الوثنية في شبه الجزيرة العربية ودراسة الدلالة اللغوية لكل آله ورد ذكره . ودرست في الفصل الرابع الروايات عن نشوء مكة والأقوام الأولى التي سكنتها من زاوية الحياة الدينية ثم كيفيـــــــــــــــــــــة مجـــــــــــــــــــــيء النبـــــــــــــــــــــي إبراهيم عليه السلام ووضع النواة الأولى للديانة الحنيفية ثم انتقلت إلى محاولات عمرو ابن لحي في بناء كيان سياسي عن طريق بلورة نظام ديني عربي حاول المزاوجة بين ديانة الشرك وديانة التوحيد وبذلك أرسى نظاماً للعرب أكمل بناءه قصي بن كلاب الذي عمل على إبراز هذا الكيان . بما يكفي لتحقيق هوية العربي وترصين شخصيته

الاجتماعية ليقف أمام التحديات الخارجية المتمثلة بالسعي الأجنبي المتقدم من الشمال والشرق أو من الجنوب وهكذا وصولاً إلى الإسلام وحضارته .

تحليل المصادر والمراجع:

فرض عليّ الموضوع تنوعاً كبيراً في المصادر ، ومع ذلك فقد واجهتني صعوبات تمحورت حول طابع التجريد في الدراسات القديمة والحديثة على السواء وغياب التصور التحليلي الباحث عن النسيج الموحد لهذه الشبكة الواسعة من الآلهة والمعلومات عنها ، وفي تقديري ان غياب هذا التصور مصدره عدم وجود دراسة انثروبولوجية حضارية تخص الوطن العربي ، وتكشف لنا أسرار المرحلة قبل الكتابية ، عندما كان الإنسان يعبر عن نفسه بوسائل أخرى غير الحرف حتى بدء الكتابة لا ينفي أهمية الدراسة الانثروبولوجية الحضارية لمركز الاستقرار الأولي في الوطن العربي . لقد استخدمتُ مصادر عديدة يمكن تصنيفها حسب الآتي :

القرآن الكريم :

القرآن الكريم من أهم المصادر في دراسة الأديان الخاصة بعرب شبه الجزيرة ، فالقرآن الكريم قدم قصة الخليقة من وجهة نظر التوحيد ومقتضياته لكشف التناقض الجوهري بين الأديان السماوية والأديان الوضعية ، وحدد الإطار الزمني لنشوء فكرة التوحيد وقدم رؤية في صنع الأشياء تكشف زيف وباطل ما اعتقده المشركون ، فضلاً عن أنه من خلال معالجة الحياة العربية الدينية وتناقضاتها قدم معلومات عن آلية الاعتقاد عند المشركين وعن آلهتهم وطبيعتها والطقوس التي ارتبطت به .

كتاب الأصنام :

في مقدمة الكتب التي اعتمد البحث عليها كتاب الأصنام لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، فهو كتاب قيم جداً كشف عن قائمة مهمة بأسماء آلهة العرب ، وأماكن وجودها وأي القبائل عبدتها ومن هم سدنتها مع وصف لبعض الآلهة ، غير انه لم يأتِ على ذكر جميع الآلهة كما ان هناك معلومات ناقصة عن القبائل التي عبدت هذه الآلهة وتكفي قائمة محقق الكتاب الأستاذ أحمد زكي إذ كشف عن أسماء آلهة أخرجها من كتاب تاج العروس للزبيدي التي تعطي صورة واضحة عن مدى النقص في كتاب الأصنام ، إلا ان هذا لا يقلل من أهميته لما يحتوي من تفصيلات

مهمة عن بعض الآلهة وتلبياتها والأشعار التي قيلت عنها . ويا حبذا لو كان كتاب الأصنام للجاحظ وكتاب الأصنام لابن فضيل الكاتب [1] بين أيدينا لربما كان هناك معلومات أكثر وضوحاً عن الآلهة لم يذكرها ابن الكلبي .

كتب التاريخ العام :

لم تركز كتب التاريخ العام في رواياتها على الديانة الوضعية ، فهي تقف عندما يرتبط الحديث بشخصية ارتبط اسمها بالأصنام أو عن حدث عام كانت له علاقة بالأصنام وباستثناء اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) الذي ذكر بعض الأصنام وتلبيات القبائل لم يذكر الطبري (ت ٣١٠هـ) أو المسعودي (ت ٣٤٦هـ) شيئاً من ذلك القبيل ، ويؤخذ على اليعقوبي إهماله سند الرواية لتحديد مصادره ويبدو انه اعتمد في قائمة أصنامه على ابن اسحاق إلا ان ذكر تلبيات القبائل التي رواها اليعقوبي تختلف في مضمونها عن ابن حبيب في المحبر ونجهل رواياتها لأنه اعتمد تلبية القبائل وليس الصنم كما فعل ابن حبيب . أما في ما يخص أخبار مكة وسكنتها والآبار التي حفرت فيها ومعلومات أخرى تفيد في إيضاح صورة مدينة مكة وقدسيتها فهي مما لم تتبحر فيها كتب التاريخ العام وكان الحديث عنها يأتي عن طريق ذكر أجداد الرسولﷺ مثل ما فعل الطبري مثلاً أو ما فعله المسعودي عندما ذكر حج الفرس للبيت واختلافه مع معظم الرواة في حكاية الغزالين والسيوف التي وجدها هاشم جد الرسول ﷺ التي تخص جرهم عندما قال هي من هدايا ملوك الفرس .

كتب السيرة :

أسهمت كتب السيرة في تقديم معلومات مهمة للبحث ففي سيرة ابن هشام (ت ٢١٣هـ) ، يقف الباحث على معلومات عن بعض الآلهة وعن القبائل التي عبدتها وسدنتها وبعض أماكنها . ومع هذا نعتقد ان تصرف ابن هشام في كتاب المبتدأ لابن اسحاق ضيَّع معلومات قيمة رواها ابن اسحاق وأوردتها مصادر أخرى تعطي انطباعاً عن أهميتها . أما السُهيلي (ت ٥٨١هـ) صاحب كتاب (الروض

---

(١) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن اسحاق بن النديم (ت ٣٨٠هـ) ، الفهرست ، تحقيق رضا – تجدد ، (طهران : مطبعة دانشكاه ، ١٩٧١) ، ص ١٣٨ ، ٢١٠ .

الأُنف) فمعلوماته مهمة لأنه اعتمد على كتب أخرى منها كتاب ابن الكلبي . ونجد في كتب السيرة الأخرى معلومات مفيدة على الرغم من شحتها ، فابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ) قدم معلومات قيمة بيد انه لم يتوسع لان غايته السيرة وليس الكتابة عن الأديان الأخرى ، أما باقي كتب السيرة كابن دحلان مثلاً فأنه اقتصر على الإشارة إلى الأصنام التي ارتبطت بالسرايا التي بُعثت لهدم الأصنام .

تواريخ المدن :

كما احتلت تواريخ المدن أهميتها لأنها بتركيزها على مدينة معينة اهتمت بأدق المعلومات وكان كتاب (تاريخ مكة) للأزرقي (ت ٢٤٤هـ) من المصادر المهمة في البحث ، إذ قدم المعلومات الدقيقة عن المدينة (مدينة مكة) بناءها وتاريخها . صحيح هناك روايات قريبة من الاسطورة ولا سيما في ما يتعلق بأول بناء للبيت بيد ان الاسطورة تعطي انطباعاً مهماً عن قدم نشأة مكة . كما حوى معلومات مهمة عن الأصنام ولو أن الاهتمام بها كان غير مّركز بسبب زمن كتابتها في القرن الثالث الهجري الذي فرض الطابع الديني والقدسية على هذه المدينة وأهمل كل ما يتعارض وهذا الطابع . إلا اننا نجد معلومات مهمة عن الآلهة غير موجودة في باقي المصادر مثل الهة منى السبعة وأماكن وجودها لكن مع الأسف من دون ذكر أسمائها ، فضلاً عن ذكره الهين آخرين مثل مطعم الطير ومجاود الريح . كما قدم معلومات قيمة عن آبار مكة التي حفرت قبل الإسلام التي أعطت فكرة عن زيادة عدد الحجاج أو الزيادة العددية لسكان مكة . ومن كتب المدن كتاب الفاكهي (ت ٢٨٠هـ) فرواياته التي أوردها الفاسي (ت ٨٣٢هـ) لم تعطي صورة واضحة عن الكتاب غير انها تدلل على أهميته ويمكن ان تكون في الأصل أكثر تفصيلاً .

كتب الأدب التاريخي :

يقف في مقدمتها المحبر لابن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ) وهو كتاب قيم أفرد صفحات لديانة العرب وذكر أصنامهم والقبائل التي عبدتها وأماكن عبادتها وكذلك أعطى تلبية كل صنم في الحج السنوي لمكة وتختلف تلبياته عما ذكر اليعقوبي الذي أورد تلبيات القبائل .

المعاجم :

تصنف المعاجم إلى معاجم لغة ومعاجم جغرافية ، أما الأولى فقد أوردت إشارات مهمة إلى آلهة كانت مكملة لقائمة ابن الكلبي في كتابه الأصنام ، فقائمة الأستاذ أحمد زكي محقق كتاب (الأصنام) التي جمعها من كتاب (تاج العروس) تحوي على عدد كبير من الآلهة وهي معلومات قيمة جداً أفادتنا في دراستنا للموضوع . وكانت الفائدة الأخرى بناء قاعدة معلومات عن دلالة أسماء الآلهة أفادت في إعطاء أصل بعض الآلهة وبيان اشتقاقه ما هو إلا صفة لمعبود رئيسي شكل أحد أفراد الأُسرة الإلهية والباحث يشير إلى ضرورة جرد كتاب (لسان العرب) الذي قد يضيف أسماء آلهة أخرى تفيد في خدمة الموضوع .

أما المعاجم الجغرافية فقد أفادت في إعطاء صورة واضحة عن أماكن القبائل وأهميتها في معرفة الدلالة الجغرافية لانتشار الآلهة ، وتكمن قيمتها في إيضاح المؤثرات الاجتماعية من تجاور و زيجات ومصالح تجارية أو سياسية تعطي معلومات قيمة في دراسة كيفية انتشار عبادة الآلهة بين هذه القبائل فتظهر لنا أحياناً قبيلة بعيدة كل البعد جغرافياً عن قبائل أخرى إلا أنها اشتركت معها في عبادة أحد الأصنام مما دفعني إلى كشف هذا التوافق والبحث في الحراك البشري لكشف مجاورة سابقة أو مصاهرة صنعت هذا الاشتراك في العبادة .

كتب حديثة :

أسهمت الكتب الحديثة في رسم بعض معالم الدراسة ، فيُعد كتاب جواد علي الموسوم (المفصل في تاريخ العرب) من أهم الكتب التي اعتمدت عليه الدراسة للمعلومات القيمة في جرد الأصنام حيث لديه أكبر قائمة لأسماء الآلهة مضاف لها معلومات عن الآلهة وبداية ظهورها والنقوش التي وردت فيها إن وجدت وأماكنها وجميع الروايات التي تتحدث عنها والحقيقة كانت هذه المعلومات قيمة جداً ودقيقة ساهمت في اختصار الطريق على الباحث وأضاف كتاب محمد عبد المعين خان الموسوم (الأساطير العربية قبل الإسلام) وكتاب سليم الحوت الموسوم (في الطريق إلى المثيولوجيا) معلومات قيمة للاطروحة كذلك كتاب محمد ابراهيم الشريف الموسوم (مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول) الذي سبقنا إلى بعض الفرضيات في موضوع آبار مكة وأعمال عمرو بن لحي التي ساهمت في ظهور

دور مكة وهي إشارات شجعت الباحث على الاستنتاج وإعطاء تفسير أكثر من خلال بعض المعلومات الشحيحة والمتاحة في المصادر الأولى ومن ثم تقديم منظور أعمق للدور الذي قامت به بعض الشخصيات . كذلك كتاب صالح العلي الموسوم (محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام) الذي يحوي معلومات قيمة عن آلهة مكة وتميز باحصائياته عما ورد في القرآن الكريم من المصطلحات الدينية تُعد الأولى من نوعها .

الدراسات الاستشراقية :

اهتم المستشرقون بدراسة ديانة الحضارات القديمة والديانة العربية بشكل خاص ووضعوا منهجية للدراسة في هذا الحقل ، فقد قدم فرانكفورت في كتابه الموسوم (ما قبل الفلسفة) معلومات قيمة خاصة عن حضارات الوطن العربي ومعتقدات سكانه الدينية ومزج بين الجغرافية والإنسان وكشف تأثير البيئة في نمط العبادات ومثل هذه الدراسة يندر وجودها مما أدى إلى الاعتماد عليه في بعض المعلومات بشكل واسع .

أما الكتب التي اهتمت بديانة العرب مثل كروهمان وديسو ونيلسن فهي قيمة جداً في معلوماتها واستنتاجاتها ولعل نيلسن له السبق في فهم نفسية العربي في عبادته حيث أعطى أبعاد عميقة في دراسته للديانة في جنوب شبه الجزيرة ويشاركه ديسو في فهم نفسية قبائل العرب الشمالية مثل القبائل الصفائية .

رسائل الدراسات العليا :

أسهمت رسائل الدراسات العليا في إغناء المادة وأخص منها رسالتي الجميلي الموسومة (قبيلة الأزد ودورها في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام) و(دور قريش قبل الاسلام) حيث كانت معلوماته مستوعبة للمصادر بشكل عميق وقدم استنتاجات وتحليلات قيمة جداً . وكذلك رسالة الحمد الموسومة (الديانة اليمنية ومعابدها قبل الاسلام)حيث قدم عرضاً وافياً لديانة اليمن ووضح مدى تأثرها بديانة حضارة وادي الرافدين . إضافة الى أهمية رسائل معهد المخربشات في الأردن التي أتاحت لنا الاطلاع على دراسات بعض المستشرقين الذين لم يصل إلينا نتاجهم أمثال ركمانز وستاركي وكذلك بعض النقوش التي ساهمت في إثراء مادة البحث .

الفصل الأول
الجغرافية والانسان والدين

(نشأة الدين في الحضارات القديمة)

<u>مدخل :</u>

مهدت التغيرات البيئية في العصور الأولى الطريق أمام الأقوام الجزرية للانطلاق من مناطق سكناهم إلى المناطق الواقعة شمال شبه جزيرة العرب التي امتلكت فرص يلة أكثر ملاءمة لهم من المناطق التي عاشوا فيها سابقاً ولا بـ ُ دَّ ان هذا الحراك ناتج عن تغيرات مناخية نجهل تفاصيلها بدقة غير أنها كانت كافية مع عوامل أخرى مثل ضيق المكان وتغير التحالفات ، لتدفع بالقبائل خارج مناطقها المعتادة ، بدليل أن تلك التغيرات المناخية بقيت في أذهان الرواد إلى عهود متأخرة [١] . فتحركت تلك الأقوام باتجاه وادي الرافدين ووادي النيل والشام واليمن وانتشرت فيها [٢] بحكم الاتصال الجغرافي الناجم عن إحاطة المياه بشبه الجزيرة من الجهات الثلاثة الأخرى الجنوبية والغربية والشرقية .

غير ان أصل هذه الأقوام ما زال مثارا للشك وكل ما قيل من معلومات يبقى في حدود الفرضيات ، وليس هناك دليل قاطع يعين في معرفة أصلهم ، وتأريخ نشأتهم. ويرجع الفضل في حفظ بعض المعلومات الخاصة بهم، وبتطورهم

---

(١) أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق جمال طلبة ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨) ، المقدمة .

(٢) محمد السيد غلاب ، تطور الجنس البشري ، (القاهرة : الجيل للطباعة والنشر ، ١٩٦٣) ، ص ١٠١ ، ١٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ – ٢٢٥ ؛ أيضاً ، البيئة والمجتمع ، (الاسكندرية : دار المصرية للطباعة ، ١٩٥٥) ، ص ٨٥ ؛ أحمد سوسة ، حضارة وادي الرافدين ، (بغداد : دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠) ، ص ٥٥ – ٦٢ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، (الاسكندرية : دار المعارف ، ١٩٦٧) ، ص ٦٦ وما بعدها ؛ صالح أحمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (الموصل: مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨١) ، ص ١١ .

إلى الحضارتين الأولى في وادي الرافدين ووادي النيل [١] . وحتى هذه المعلومات تزداد غموضا إذ ان تلك الأقوام لم تكن قد دخلت بعد العصر الكتابي ، بالضرورة يصبح ما وصل من معلومات عن معتقداتهم وحياتهم وأساليب تفكيرهم متأثراً إلى حد كبير بفلسفة العصر الكتابي ، عصر السومريين والفراعنة ومن ثم فهي صورة لا تعكس نشأة معتقداتهم ولا طبيعة منشئها بشكل دقيق .

أظهرت التنقيبات الأثرية في مواقع الحضارتين معلومات عن الحياة الأولى تدل على تجارب مبكرة وغنية ، وعلى تفكير مبكر في محاولة أولى لفهم الكون ووجود الانسان فيه وصلته به [٢] . ولا شك في ان الناس كانت تمارس حياتها بواقعية وتتطور وفقا للحاجة الُمدركة ، التي لا تحمل بالضرورة كل تطلعات الناس التي ظهرت فيما بعد في شكل مجتمع مستقر ومدن ودول وحضارات ، فالحلم التاريخي صحيح انه مشروع لكل الناس في كل العصور ، ولكن هذا الحلم ابن عصره ، وأدواته ومبتكراته ووعي الانسان فيه .

كان الانسان في بداية نشوئه دائم التوجس لكل ما لم يكن مسيطراً عليه أو يدركه عقله ، وبقي هذا الهاجس يشغله ويسيطر على كل أعماله . فكل ما يحدث حوله من ظواهر طبيعية مخيفة وخطيرة أو ودودة ونافعة يرجعها إلى المجهول الذي أصبح تدريجيا قوة مهيمنة يمكنها أَن تفاجئ الانسان ، ثم تحولت فيما بعد إلى اعتقاد إلهي بأي مسمى من المسميات فكان بالضرورة على الإنسان إرضاء هذا الإله وتقديم ما يحقق الرضا والابتعاد عما يغضب . لقد تحولت هذه المعادلة إلى طقوس عبادة وكان لهذه الطقوس اثر في تطور عقلية الإنسان دفعها أكثر للتفكير في الأشياء بما فيها ذات الإله . وكانت محصلة هذا كله تكوين فكرة عن خلق الكون

---

(١) فاضل عبد الواحد علي ، من سومر إلى التوراة ، ط٢ ، (القاهرة : سينا للنشر ، ١٩٩٦) ، ص ٢٤ ؛ السير ولس بدج ، الديانة الفرعونية (أفكار المصريين القدماء عن الحياة الأخرى) ، ترجمة يوسف سامي اليوسف ، (عمان : دار منارات ، ١٩٨٥) ، ص ٢٠ .

(٢) عبد الواحد ، من سومر ، ص ٥٦ ، ٦٨ ؛ ج. بوترو ، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، ترجمة د. عامر سليمان ، (الموصل : مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦) ، ص ٥٦ –٥٧ ، ٧٥ ، ٧٩ ، بالنسبة لمصر ٥٧٢ ، ٢٦٥ – ٢٦٧ .

وعن الآلهة ومستوياتها حسب نشأتها وأدوارها في الكون . ومما لا شك فيه ان كل ذلك كان يعكس حياة الإنسان وأسلوبه في إدارتها وإدارة مسألة تحقيق حاجاته وتطمين مخاوفه . وعلى الأرجح فأن هذا الإنجاز تحقق قبل العصر الكتابي وما وصل إلينا في قصة الخليقة لا يمكن أن يكون ابن المرحلة الكتابية فضلاً عن أدلة أولية عُثر عليها في مواقع الإنسان الذي عاش قبل العصور التاريخية تُثبت ذلك [١] .

الإنجاز الذي يمكن القول بثقة أنه ابن المرحلة الكتابية هو الحصول على تخويل مجمع الإلهة لنشوء نظام الملكية وعلى وفق الأساس الذي بُني عليه مجمع الإلهة ، وتبلور في شكل أولي لتقسيم إدارة الدولة بحيث يتناغم مع توزيع الأدوار على الإلهة . فأصبح بإمكان الناس الأوائل تنظيم المجتمع على أساس ديني يقوم على احترام الآلهة وربط هذا الاحترام بهاجس الإنسان وشغله الشاغل من ظواهر الطبيعة غير المسيطر عليها ونشوء مجتمع منظم يحترم الدولة ومؤسساتها وعلى رأسها الملكية المخولة من مجمع الإلهة لحكم هذه الشعوب .

ظهرت الدولة كياناً سياسياً أولياً لأول مرة في التاريخ لدى السومريين والفراعنة [٢] ، وفي حدود المدن المتطورة التي ارتبطت بالآلهة وكانت تمثل نتيجة مبتكرة لتطور تجارب الناس وتجارب سابقيهم فتجمعت المحصلة الطبيعية والنهائية لأفكار هذه الشعوب في نظامها الديني . والمتتبع للأساطير الأولى لقصص الخليقة يجد أن فلسفة الفكر الديني في كلا الحضارتين كانت تنطلق من نقطة واحدة وهي

---

(١) سيتون لويد ، آثار بلاد الرافدين ، ترجمة د. سامي سعيد الأحمد ، (بغداد : دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠) ، ص ٦١ – ٦٢ .

(٢) بوترو ، الشرق ، ص ٥٦ وما بعدها بالنسبة لوادي الرافدين . ص ٢٦٧ وما بعدها لوادي النيل ؛ هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة د. عامر سليمان ، (الموصل : جامعة الموصل ، ١٩٧٩) ، ص ٤٠ ، ٤٧ ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات (الوجيز) ، (بغداد : مطبعة الحوادث ، ١٩٧٣) ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ .

خروج الحياة الأولى من الماء (الهيولي) [1] . بمعنى أن الماء كان مصدر الحياة ومغذيها . وهي فكرة توضح لنا مكان النشأة الأولى لهذه الأقوام فهي أقوام خرجت من شبه جزيرة العرب [2] ، والراجح أن هذا الربط مبني على تصور قديم بموجبه كانت شبه الجزيرة منطقة يابسة تحيط معظم أجزائها الماء وساكنها لا يستطيع إلا أن يتصور بأن الحياة خرجت من المياه المحيطة به . وفي رواية الأزرقي عن نشوء مكـــة وضـــوح كـــافٍ بتـــأثير هـــذه الفكـــرة فـــي الأقـــوام العاربة ، فهي اقدم بقعة تكونت منذ أن كان الكون ماء [3] ، وحتى على افتراض النشأة والتطور المحلي في العراق ومصر فيمكن القول بهذه الفرضية . ففي العراق وحيث ازدهرت الحضارة في بلاد سومر يمكن القول وبثقة حسب منطق الجغرافية التاريخيـة لجنـوب العـراق ، ان المـدن السـومرية القديمـة هـي (روابـي) أي بقع يابسة محصلة من المغمور المائي كان نموها واتساعها يتم على حساب انحسار المياه سواء باستقرار المناخ أو بإجراءات السيطرة التي مارسها الإنسان على بيئته . وفي مصر كان إدراك هذه الفرضية أقل عمقاً ربما استوحاه ساكن النيل من طبيعته وهي خروج الإله الخالق من الرابية الأولى كان المصري يرى فيضان نيلهُ الذي يغمر أجزاء واسعة من الأرض وعند انحساره تبرز المرتفعات الطينية المتباعدة ، والراجح أنه استوحى عنها فكرة أول الجزر الواعدة بحياة جديدة في سنة زراعية

---

(١) هنري فرانكفورت وآخرون ، ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى) ، ترجمة جبـرا إبـراهيم جبـرا ، (بغـداد : دار مكتبـة الحيـاة ، ١٩٦٠) ، ص ٢٦٥ ؛ بـدج ، الديانة ، ص ٢٧ .

(٢) باقر ، مقدمة ، ص ١١٦ .

(٣) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت ٢٤٤هـ) ، تاريخ مكة (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) ، تحقيق رشدي صالح ملحس ، ط ٣ ، (بيروت : دار الاندلس للطباعـة والنشـر ، ١٩٦٩) ، ١ / ٣١ ؛ أبـو جعفـر محمـد بـن جريـر الطبـري (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر : دار المعارف ، ١٩٦١) ، ١ / ١٢١ – ١٢٢ .

جديدة [١] . إن النقطة الجوهرية هي أن الإله الخالق ظهر في البدء على هذه الجزر المنفردة لاحظ مقارنة ذلك بساكن شبه الجزيرة العربية حيث أرضه رابية محاطة بالمياه وهو بالتأكيد كان صاحب هذه الفكرة و هو يرى المياه تحيط معظم أجزاء يابسته ، فبالتأكيد كان خروج الإله الخالق من أرضه المرتفعة وهي شبه جزيرة العرب . فانتقلت هذه الفكرة إلى ساكن وادي الرافدين ووادي النيل إن كان عن طريق الحراك البشري أو التأثر بالتماس . لدينا دلائل واضحة نرجح من خلالها طبيعة الأقوام الأولى التي سكنت وادي الرافدين ووادي النيل وكانت فكرتها هي النواة الأولى لانطلاق كلا الحضارتين من نفس النقطة في قصصها عن الخليقة . بيد أن الافتراق الذي حصل راجع بالتأكيد إلى التأثر المباشر بالبيئة التي عاش فيها كل من السومريين والفراعنة ، والذين عاصروا التغيرات التي ألهمت بتنوع قصص الخلق على وفق متغيرات تلك البيئة .

لم تكن الجغرافية العامل الوحيد الحاسم في مسائل التفاوت الحضاري بل هي أحد العوامل إلى جانب عامل آخر حاسم هو الإنسان نفسه ونظامه الاجتماعي، غير أن التقاطيع الجغرافية يمكن وصفها وصفاً دقيقاً أكثر من الأمور الأخرى ، لذا فأن بحث الناحية الجغرافية لكلا الحضارتين يمكن ان يوحي ببعض عوامل التفاوت [٢] .

إنسان وادي الرافدين :

استمد إنسان وادي الرافدين فلسفته الدينية من تأثيرات البيئة التي تحيط به نتيجة إدراكه ووعيه بما حوله من عوامل ومؤثرات أطلق عليها مسميات استوحاها من فكرة كانت هي المحصلة النهائية لتجاربه التي عكسها في فلسفته الدينية وأساطير الخلق ، وشكلت هذه المسميات منظومة الآلهة التي اعتقد بواجب عبادتها .

---

(١) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٠٢ .

(٢) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٤٣ – ٤٤ ؛ أدولف أرمان ، ديانة مصر القديمة (نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة) ، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ود. محمد أنور شكري ، (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بد. ت) ، ص ٥ .

فالاعتقاد بأن الماء مصدر الحياة فكرة طورَّها إنسان وادي الرافدين من خلال معايشته لبيئته فهي تعكس تمازج أفكاره مع طبيعة بيئته ليخرج من هذا التمازج بفكرته الأساسية (الخلق) ، ولما كان إنسان وادي الرافدين مؤسس الحضارة الأولى فبالضرورة أصبح يرى خلق الكون بدأً من أرضه (وادي الرافدين) وتجسد قصة الخليقة (أينوما أيلش) جغرافية أرضه [1] . فالعراق بلد نشأت أرضه على مر آلاف السنين من الطمي الذي يأتي به النهران العظيمان دجلة والفرات ويرسبانه في مصب (بلاد سومر) التي كانت عبارة عن متسع من الماء بدأت تظهر فيه (روابي) طينية مثلت جزر الحياة الأولى . وهي عملية مازالت جارية والبلد ما زال في اتساع بطئ تمتد به الأرض اليابسة نحو الخليج العربي [2] . وهذا هو المشهد – حيث تلتقي مياه النهرين العذبة بمياه البحر المالحة وتمتزج فيها ، والسحب المنخفضة تظلل المياه – الذي يعود الإنسان فيسقطه على بدء الزمان . فهو هنا ما زال يرى فوضى مياه الزمن الأول يمتزج فيها الماء العذب بمياه البحر المالحة ، كما يرى الطمي ممثلا بأول الآلهة وهو ينفصل عن الماء ويظهر للعين ويتراكم [3] . أن طمي الزمان الأول بعد أن ولدته المياه العذبة والمالحة في فوضى المياه الأولى يستقر ويتراكم في حلقةٍ فسيحة هائلة الأفق [4] ، فنشأ بتراكم الأيام والسنين إلهان آخران هما كل من إله السماء وإله الأرض ومنهما جاء إله الهواء الذي فصل بينهما ومن هذه الآلهة تشكل مجمع الآلهة وتقرر خلق الكون والإنسان [5] .

كانت بيئة وادي الرافدين تتسم بشيء من القسر والعنف . فدجلة والفرات قد يفيضان على غير انتظام فيحطمان سدود الإنسان ويغرقان مزارعه ، وهناك رياح لاهبة تخنق المرء بغبارها ، وأمطار عاتية تحول الصلب من الأرض إلى بحر من

---

(١) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ١٤٥ وما بعدها ؛ باقر ، مقدمة ، ص ٣٤ – ٣٧.

(٢) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٠٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ – ٢١٧ .

الطين وتسلب الإنسان حرية الحركة وتعوق كل سفر. ففي العراق لا تضبط الطبيعة نفسها [١] ولا يستطيع الإنسان ترويضها بسهولة .

بَلْور ساكن وادي الرافدين هذه الممارسات في عقليته وأوحى لنفسه من خلالها بأن مجمع الآلهة جاء بشكل طارئ ، وتصور أن أساس نظام الخليقة نشأ على أثر أزمة وقعت بين الآلهة القديمة المتمثلة بالمياه المالحة والعذبة ، والآلهة الحديثة المتكونة من تمازج الآلهة القديمة [٢] . وهكذا اضطرت الآلهة الحديثة إلى انتخاب أحد الآلهة من بينها ليكون ملكاً عليها وتنازلت له عن سلطاتها . وبموجب هذه السلطات قاد حرباً ضد الآلهة القديمة استطاع الانتصار فيها وأصبح السيد من دون منازع ، فعمد بعد هذه الحرب إلى تنظيم الكون (خلقه) ثم خلق الإنسان ليتولى خدمة الآلهة (يعبدها) وأصبح الملك هو نائب الآلهة في حكم البشر [٣] .

وملخص الفكرة بأن المياه العذبة والمالحة نتج عنهما الطمي وهذا بدوره كون حلقة غازية نتجت منها السماء والأرض ليأتيان كلاهما بإله الريح وهو الإله المنتخب من مجمع الآلهة لسيادة الكون فتفرغ الأخير بعد انتصاره إلى فصل السماء عن الأرض وتنظيم أدوار الآلهة ثم خلق الإنسان لخدمة الآلهة . وهكذا استقام الكون بانليل إله الرياح وبطل القصة السومرية ، فأصبح مع السماء والأرض أقوى ثالوث في مجمع الآلهة . فالسماء تمثل السلطة في المجتمع الذي يتألف منه الكون في وادي الرافدين ، والريح هي القوة التشريعية أي تنفيذ أحكام المجمع الإلهي ، وأخيراً الأرض تمثل نون (النبيل) المتميز بالحكمة وخبرة الحياة وهو وزير كل من إله السماء وإله الريح [٤] .

إنسان وادي النيل :

---

(١) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ١٤٧ ؛ باقر ، مقدمة ، ص ٣٤ – ٣٧ .

(٢) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٦٧ ؛ باقر ، مقدمة ، ص ٣٥ ؛ أيضاً ، مقدمة في أدب العراق القديم ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٦) ، ص ٧٤–٧٦ .

(٣) باقر ، مقدمة ، ص ٣٥ ؛ أيضاً ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص ٧٩–٨٠ .

(٤) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ١٦٢، ١٦٨، ١٧٢؛ ساكز ، عظمة ، ص ٤٧٠.

أدرك إنسان وادي النيل طبيعة البيئة التي عاش فيها وعدّ حضارته أيضاً هي منبع الكون الأول فساق قصة الخليقة بما يتناسب مع طبيعة جغرافيته .

تمتع ساكن وادي النيل بالراحة والسكينة فليس هناك رياح عنيفة أو فيضان مفاجئ أو سماء مخيفة . فالطبيعة هادئة وتلبي جميع طلباته ، لذلك كان مجمع الآلهة في مصر دائماً على وفاق وليس هناك ما يخيف المصري من آلهته غير التضرع لها بغية تلبية رغباته فنشأت قصة الخليقة نشأة هادئة ليس فيها عنف [١] .

قرر الإله الخالق (الشمس) الذي يسكن عالم الفوضى – المياه الأزلية الهيولي – الخروج إلى العالم المنظم [٢] . وبالتأكيد العالم المنظم هو العالم الذي خلقه الإله الشمس فبدأ بخلق الهواء والرطوبة وكانا قد خلقا نتيجة قذف عنيف من الإله (الشمس)فُسِّر على أنه عطسة [٣] ، وكان كل من الهواء والرطوبة يمثلان الإلهين الأوليين بعد الإله الشمس ، وعن هذين الإلهين جاء إلى الكون إلهين آخرين هما إله الأرض وإله السماء [٤] . ونتيجة تضاجع الأخيرين قبل ان يفصلهما إله الهواء جاءت الكائنات التي عمرت بها الدنيا [٥] . وفي ما يخص هذه الكائنات لا تبين الأسطورة المصرية ماهيتها ! هل هي آلهة ؟ أم هي بشر ؟ غير ان مجيئها قبل فصلهما يعطي الانطباع بوجود مستوى من القدسية فيها وعلى ما يبدو أن هذه

---

(١) للمزيد من المعلومات أنظر فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، الفصل الثاني الخاص بمصر ؛ باقر ، مقدمة ، ص ٣٤ – ٣٧ مقارنة طبيعة مصر مع طبيعة العراق ؛ أرمان ، الديانة ، ص ٥ . مصر أكثر تأثراً بالمناطق المدارية من العراق لهذا تتسم باستقرار مناخي أفضل .

(٢) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٦٦ – ٦٩ ؛ بدج ، الديانة ، ص ١٢٣ ؛ بارو سلاف تشرني ، الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدري ، (القاهرة : مطبعة هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٧) ، ص ٥٢.

(٣) فرانكورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٦٩؛ أرمان ، ديانة ، ص ١٠٤ ؛ تشرني ، الديانة ، ص ٥٢ .

(٤) فرانكورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٦٩–٦٧ ؛ أرمان ، ديانة ، ص ١٠٤ .

(٥) فرانكورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٧٠ ؛ أرمان ، ديانة ، ص ٧٤ .

المرحلة هي المدة الانتقالية بين مجمع الآلهة المصري والملكية التي لا يجد فيها المصري أي فرق فهو يظن أن الملك هو تجسيد للآلة الخالق بل يعدّه الإله الخالق نفسه [١] .

أنفصل الفراغ المشحون إلى هواء ورطوبة ثم تكثف الهواء والرطوبة إلى الأرض والسماء ومن الأرض والسماء قبل فصلهما جاءت الكائنات البشرية وهكذا تكون الكون المصري [٢] .

أقوام جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) :

ورث إنسان شبه الجزيرة العربية اللاحق الإرث الحضاري لوادي الرافدين ووادي النيل في جميع مجالات الحياة وحافظ عليه وساهمت الخبرات المتراكمة لديه في إتاحة المجال لإبداع أكثر وتطور متجدد طالما كان هناك توظيف للخبرات القديمة في الواقع الجديد لتعطي ناتجاً أكثر بسبب المرونة التي أكتسبها الواقع الجديد بهذه الخبرات . وبما أن دارستنا تتعلق بالدين فسيكون التركيز في موضوع التعامل مع الإرث الحضاري مختصاً بالنظام الديني الوضعي للحضارات السابقة وكيفية انتقاله إلى الأقوام الأخرى المجاورة وشكل تكيفه الذي تم ليصل إلى الصيغة التي كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام والذي مثلته مكة خير تمثيل .

تمتع اليمن بموقع مهم كرست فوائده في مجالين الزراعة أولاً ثم التجارة فيما بعد والتي شكلت أساس الحياة في اليمن . وتعكس المنجزات الحضارية لإنسانه حجم التطور الحاصل لبيئته ويؤشر نجاحه في بناء السدود إبداعاً فكرياً وحضارياً لنظام ريمتكامل ويُعد سد مأرب القمة في تطوره [٣] ، وهو انجاز أتاح نوعاً من الاستقرار

---

(١) باقر ، مقدمة ، ص ٣٥ .

(٢) فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٧٠ .

(٣) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت ٣٥٠هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، (الرياض : دار اليمامة ، ١٩٧٤) ، ص ٦٤ وما بعدها ؛ نزار عبد اللطيف الحديثي ، أهل اليمن في صدر الإسلام، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨) ، ص ٣٧ وما بعدها ؛ محمد عبد القادر بافقية ، تاريخ اليمن القديم ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣) ، ص ١٩٥-١٩٩ .

وفر بدوره عمقاً حضارياً كان الدين أحد أهم ركائزه . وإذا كانت التنقيبات حتى الآن لم توفر معلومات كافية تسد الفجوة الحضارية [١] في تطور تاريخ اليمن القديم إلا أن بعض النقوش بينت أساسيات ثابتة لأسرة الآلهة في اليمن ، سارت عليها جميع الأقوام التي تعاقبت على النفوذ ، في اليمن ، شأنها شأن حضارة وادي الرافدين ووادي النيل [٢] . وأن دلت بعض التنقيبات على الأثر الواضح لحضارة وادي الرافدين في حضارة اليمن [٣] ، غير أن هذا التأثير لا يقلل من شأن النظام الديني لإنسان اليمن ، والذي ساهم بشكل فعال في تثبيت الكيان السياسي لتلك الحضارة لمدة غير قصيرة وعكس صورة مستقلة لحضارة اليمن جعلت منها نداً كفئاً لحضارات المنطقة ولا سيما إذا ما قيست مقومات الحضارة لهذا البلد مع مقومات الحضارة للبلدان الأخرى مثل بلاد وادي الرافدين ووادي النيل .

عبد سكان اليمن الكواكب بالدرجة الأولى [٤] . وهذا حكم الموقع الجغرافي سواء كانت الوظيفة الأساسية لهذا الموقع التجارة أو النشاط الزراعي المحدود . وكان

---

(١) الفجوة الحضارية : هي الفجوة بين نشأة الاستقرار البشري في اليمن وبين ظهور دولة المكارب في القرن التاسع قبل الميلاد . وقد عثرت بعثة التنقيبات في مغارة قزة على بدايات العصور الحجرية ويأمل أن يكشف تطور التنقيب عن معلومات تملئ الفجوة الحضارية .

(٢) لقد أستمر الأكديون ومن بعدهم الآشوريون الآراميون في أتباع النظام الديني الذي أنشأه السومريون وهو عبادة الثالوث المتكون من السماء والريح والماء كذلك فعل المصريون في عبادة الإله الخالق الشمس في سلالاته المتعاقبة فكان أهل اليمن قد اتبعوا هذا المبدأ وعبدت الأقوام المتعاقبة على النفوذ الثالوث المتكون من القمر والشمس والزهرة .

(٣) جواد مطر رحمة الحمد ، الديانة اليمنية ومعابدها قبل الإسلام ، رسالة ماجستير ، (كلية التربية – جامعة البصرة ، ١٩٨٩) ، ص ٦٠ ، ٩٥ ، ٩٩ – ١٠٠ ، ١٣٣ وما بعدها ؛ أسمهان الجرو ، الفكر الديني عند عرب جنوب شبه الجزيرة العربية ، مستلة من أبحاث اليرموك – سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية – مجلد ١٤ ، (عدد ١ ، ١٩٩٨) ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥.

(٤) بافقية ، تاريخ ، ص ٢١٣ ؛ الحمد ، الديانة ، أنظر الباب الثاني الفصل الأول ؛ الجرو ، الفكر ، ص ٢١٩ .

الثالوث المكون من القمر والشمس والزهرة يقف في القمة من دون قاعدة من الآلهة الصغرى ومن دون آلهة مساعدة [١] . وظهر هذا الثالوث بسماته الذكورية القائدة وطبيعته التوالدية مستقراً لدى الأقوام التي تعاقبت على النفوذ بغض النظر عن الأسماء التي أطلقتها عليه أو الصيغ الرمزية التي رمزت بها له . بمعنى آخر كان هذا الثالوث يمثل النظام الديني الوضعي الذي اعتمدت عليه دولة اليمن لبناء مجتمعها وتكوين كيانها السياسي [٢] . بعدّه الثالوث المسبب للحياة سواء بالخصب الزراعي أو الازدهار التجاري ، أما كيف يصنع الخصب والازدهار فهو أمر يتوقف على الإنسان لهذا لم تظهر قاعدة من الآلهة المساعدة وربما يفسر هذا بالبساطة والواقعية التي تتسم بها حياة الإنسان في شبه جزيرة العرب وهي ما نسميه (ببساطة الحياة البدوية) حتى وان كانت ذات مدنية متقدمة.

إن دراسة إنسان اليمن وعلاقته بالأسرة الإلهية تكشف لنا بوضوح أسباب ذلك الاختيار ، والإطار الفلسفي لهذا الاختيار في وعي إنسان اليمن . فاليمن هضبة معقدة تطل على شواطئ متعددة من خلال شريط ساحلي نشط في التجارة حيث البضائع التي تأتي عبر البحر من الهند وأفريقيا وتلك التي تنتجها أراضي اليمن التي شكلت بضائع العصر الحضارية المرغوبة عند شعوب العالم في ذلك العصر [٣] . ثم أن تعقيدات الهضبة الشديدة عقدت التنقل وعقدت الإفادة من نظام الري بشكل يسمح بحياة زراعية أوسع [٤] ، مما جعلت الحاجة إلى ضبط التغيرات المناخية بدقة وجعلت القناعة أساساً في بساطة الحياة . من هنا أصبحت الصلة بالسماء والكواكب صلة عميقة ومستمرة ومباشرة وحتى الانتقال من مكان لآخر بغض النظر عن دوافعه فأنه عزز هذه الصلة ولا سيما في الليل عندما يكون القمر دليلاً رئيساً ينير

---

(١) بافقية ، تاريخ ، ص ٢١٢-٢١٣ ؛ الحمد ، الديانة ، الباب الثاني ، الفصول ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ؛ الجرو ، الفكر ، ص ٢٢٠-٢٢٦ .

(٢) الجرو ، الفكر ، ص ٢٤٠-٢٤١ ؛ بافقية ، تاريخ ، ص ٢١٢ .

(٣) الحديثي ، أهل اليمن ، ص ٤٥-٤٦ .

(٤) بافقية ، تاريخ ، ص ١٩٥-١٩٧ ؛ الحديثي ، أهل اليمن ، ٣٧-٣٩ .

دروب الصحراء ويؤنس المسافر في وحشة الليل [١] . وقد ظهرت الحاجة لكوكب الزهرة في تحديد الاتجاهات في أثناء سير القوافل [٢] ، فأصبح هذان الكوكبان من الآلهة المقربة لنفسية إنسان اليمن . مع الاعتراف بإله الشمس باعتباره الحامي لتلك القوافل ويعطي ظهوره إيذاناً براحة القوافل وطمأنينتها وممارسة جميع الطقوس التي تـــــوفر اســـــتعادة الأقــــوام حيويتهــــا لإكمــــال سيرها ليلاً من جديد .

شكلّ إنسان اليمن إطاراً فلسفياً لمستقبله . وقد رسم هذا الإطار لأول مرة معالم الاستقرار الجماعي لتلك الأقوام ، فبدأت تتشكل شعوب تتحد بعضها مع بعض لحسابات آنية تتعلق باستمرارها في الحياة إزاء الخطر المحدق بها [٣]. ولأن استقرار الشعوب لا يقوم إلا على أساس توفر مصدر دائم للحياة فقد كان التفكير بتطوير نظام الري وبناء سد مأرب الذي يوفر الماء الدائم لأراضٍ تتقاسمها الشعوب كمصدر لاستمرار استقرارها ، وتوفر أسباب عيشها الدائم . من هنا جاءت القدرة على التحول إلى المرحلة الجوهرية من التطور التاريخي وهي نشوء كيان سياسي أكبر من المألوف يعتمد التجارة مورداً أساسياً في تثبيت دعائم الدولة التي أصبحت لها أرض توفر الاستقرار لساكنيها وتوفر هي عنصر الحياة الدائم (الماء) [٤] . على هذه المعادلة قام التطور اللاحق في اليمن الذي كانت سمته الأساسية دولة تؤمن الماء وشعب يتحد ليتاجر ويمد الدولة بعنصر القدرة . وكانت محصلة هذا حضارة رائعة دامت لقرون عديدة . وكانت الآلهة تحمي كل هذا ملوكا وقبائل وأقوام في اليمن. وكان على الإنسان أن يعبد الآلهة ويقدم لها النذور.

---

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٨) ، ٦ / ٥٢ ؛ عواطف أديب علي سلامة ، قريش قبل الإسلام (دورها السياسي والاقتصادي والديني) ، (الرياض : دار المريخ ، ١٩٩٤) ، ص ٢٦٣ .

(٢) سلامة ، قريش ، ص ٢٦٣ .

(٣) عبد الله حسن الشيبه ، دراسات في تاريخ اليمن القديم ، (تعز : مكتبة الوعي الثوري ، ٢٠٠٠) ، ص ١٥-١٦ .

(٤) بافقية ، تاريخ ، ص ١٩٥ – ١٩٨ .

أن النجاح الكبير للنظام الديني الوضعي في اليمن هو في محافظته على الإرث الحضاري للحضارات السابقة مع خصوصية التطور الذي حصل في المنطقة . فالإله القمر عند البابليين (سين)نُقل كما هو عند الحضارمة [١] ، أما بقية الأقوام فقد استخدمت له أسماء عدة فهو (المقه) عند السبأيين و(عم) عند القتبانيين و(ود) عند المعينيين والآوسانيين و(كهل) عند كندة و(تألب ريام) عند قبائل همدان [٢] . أما الإله الشمس [٣] الذي أطلق عليه البابليون اسم شمش فقد وردت تسميته عند أقوام اليمن باسم مقارب (شمس) عدا قومي معين وقتبان وإذ يتشابه إله الشمس لدى معين (نكرح) مع إله الشمس (ننكرشو) إله الوركاء السومري والبابلي [٤] . ينفرد قوم قتبان باختلاف تسميته عن البابليين فإله الشمس لديهم يطلق عليه (أثرت) [٥] .

أما كوكب الزهرة (عثتر) فهو عشتار البابلية وبعيداً عن الترجيحات القائلة بظهوره أولاً في جنوب شبه الجزيرة ثم انتشاره في شمالها [٦] . فأن شهرته بهذه الصفة جاءت من البابليين في أول الأمر أيا كانت الأقوام التي أتت به ثم ذاع صيته في شبه الجزيرة العربية ومنها اليمن . لكن بالتأكيد هناك تطور في مراحل تكوين هذا الإله في اليمن نجهل معالمه منها تذكيره أولاً وهو مؤنث عند الآخرين جميعاً وثبات

---

(١) بافقية ، تاريخ ، ص ٢١٣ ؛ الحمد ، الديانة ،ص ٢٥-٢٦ ؛ الجرو ، الفكر ، ص٢٢٣.

(٢) ويفترض البكر ان القبائل الاوسانية أصلها من العراق ، انظر منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (جامعة البصرة : دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٣) ، ص ٢١٣ ، ١٧٧ ، ١٥٤ ؛

Grohmann: A, kulturgeschichte des Alten orints (111 , 4) arabien, muench (1963) ,p 243 .

قام بترجمة الجزء الخاص باليمن الدكتور خالد إسماعيل أُستاذ في كلية اللغات – جامعة بغداد .

(٣) ديتلف نيلسن وآخرون ، التاريخ العربي القديم ، ترجمة د. فؤاد حسنين علي ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٢٧) ، ص ١٧٧ ؛ الحمد ، الديانة ، ص ٦٣ ؛ Grohmann , Kulturgeschichet , p 243.

(٤) الجرو ، الفكر ، ص ٢٢٥ .

(2) Grohmann , Kulturgeschichet , p 243 .

(٦) الجرو ، الفكر ، ص ٢٢٤ .

اسمه ثانيا لدى جميع الأقوام المتعاقبة على الحكم [١] . وعلى الأرجح فان لهذا التفرد صلة بتطور المجتمع ونظامه القرابي الذي نجهل الكثير عنهما الآن .

ويبقى السؤال المهم لماذا انتقل المستوى الثاني من آلهة وادي الرافدين إلى اليمن وليس الأول ؟ ما علاقة هذا بالفجوة الحضارية في اليمن وما علاقته بعمر التطور الحضاري في كل من القطرين ؟ سؤالاً مشروعاً ينتظر الإجابة .

أقوام شمال شبه الجزيرة العربية (عرب الشمال) :

لم يكن حظ الأقوام التي كانت تنتشر في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية جيداً فخروجهم نحو الشمال رافق نجاح الاحتلال الأجنبي في إنهاء الدولتين في وادي الرافدين ووادي النيل اللتين مثلتا مصدر الإرث الحضاري الذي كانوا يحملون مؤثراته وبقاياه الذي كان مزيجاً من الآلهة عراقية والهة أقوام جزرية انتشرت قبلهم في وادي الرافدين وبلاد الشام ومصر وتركت الكثير من معتقداتها الدينية منتشرةً بينهم [٢] . وهذا يفسر لنا تعدد صفات المعبودات الدينية واختلاف أهميتها وترتيبها عند تلك الأقوام ويفسر أيضاً عدم امتلاك هذه الأقوام نظاماً دينياً موحداً يشكل إطاراً عاماً لتلك المعبودات .وباستثناء دولة الأنباط التي امتلكت نظاماً دينياً يعكس في تطور مراحله تطور فكرة الدولة وبنيتها [٣] ، لم نجد أي ذكر لمثل هذا النظام لدى الأقوام الأخرى [٤] . وتقف وراء ذلك عوامل كثيرة يأتي في مقدمتها عامل

---

(١) الحمد ، الديانة ، ص ٦٣ ، ١٣٣ ؛ الجرو ، الفكر ، ص ٢٢٤ .

(٢) علي ، المفصل ، ١ / ٥٧٣ – ٦٢٠ ، ٢ /٦٠٠– ٦٢٥.

(٣) بسام أحمد محمد غرايبة ، المعبودات النبطية من خلال نقوشهم ، رسالة ماجستير ، (معهد الآثار والأنثروبولوجيا – جامعة اليرموك ، ١٩٨٨) ، ص ٥٤.

(٤) تكون هذا الرأي من خلال البحث عن هذا الموضوع في كتابات كل من جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء السادس الخاص بالديانات ، والنقوش المكتشفة من قبل طلاب معهد الأنثروبولوجي الأردني بخصوص هذا الموضوع كل من غرايبه في رسالته الموسومة (المعبودات النبطية من خلال نقوشهم) والبشاشة في رسالته الموسومة (الإله رضو –رضي في النقوش الثمودية والصفوية) وطلفاح في رسالته الموسومة (الآلهة عند الثموديين) قدموا أساس هذا الرأي

الجغرافية. فالماء الذي يشكل عامل استقرار أساسي دائم للبشر لا يتوفر بشكل يكفي للاستقرار في حقبة موضوع بحثنا ؛ لهذا كان نصيب هذه الأقوام الترحال الدائم بحثاً عن الماء والكلأ . فضلاً عن ضغط الإمبراطوريات الكبيرة التي توالت على المنطقة (اليونان ثم الرومان من الشمال والغرب والساسانيين الذين خلفوا الإمبراطورية الاخمينية من الشرق)، الذي شكل عاملاً آخراً ساهم في عدم استقرار هذه الأقوام وأفشل محاولاتها لتشكيل سلطة طالما تضاربت عوامل استقرارها مع مصالح تلك الإمبراطوريات . لقد عاشت تلك الأقوام وسط ظروف من القلق الدائم متعدد الأشكال وبدلاً من التكتل نجدها بدافع من العوامل الطبيعية والسياسية تلجأ إلى التنافس والتوسع على حساب مثيلاتها في مراحل النمو والتطور بحكم محدودية الحيز الجغرافي الملائم ومحدودية الإمكانات لهذا غابت أية فرصة للتأسيس المشترك ، بل أصبحت الآلهة وفقاً لمسمياتها تعكس خصوصية المرحلة وتعزز انطواء الأقوام والقبائل على نفسها ، بدلاً من أيجاد نواة وحدة . وكان هذا عامل ضعف آخر أفادت منه الإمبراطوريات الجديدة وساهمت كل منها في تعميقه لأن وحدة هذه الأقوام والممالك تشكل خطراً حقيقياً يهدد مستقبل هذه الإمبراطوريات ، وقد وصف القرآن الكريم هذه المرحلة في الآية الكريمة : " ء أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار " [١] .

تميز الأنباط بنجاحهم في تطوير نظامهم الديني الذي اكتسب أهمية خاصة ، فهو يعكس فكرة الأقوام الجزرية الشمالية (عرب الشمال) عن الدين والأساطير الدينية (الميثولوجيا) . مَثّلَ (ذو شرى) المعبود القومي للأنباط أساس النظام الديني لهذه المملكة وعكس تطوره مراحل تطور مؤسسة الدولة . وعلى ما يبدو هناك اختلاف

حيث اعتمدوا فضلاً عن النقوش آراء المستشرقين الذين سبقوهم في هذا البحث مثل ريكمانز وديسو وستاركي ونيلسن وكروهمان .

(١) سورة يوسف ، الآية ٣٩ .

في تسميته [١] ، بيد أن المرجح أنه أخذ اسمه من اسم الموطن الأول لسكن الأقوام النبطيـــة وهـــي جبـــال الشـــراة القريبـــة مـــن عاصـــمة الأنبـــاط (البتراء) [٢] .وذو شرى في الأصل كان حجراً مربعاً أو مستطيلاً لونه أسود وله أربع زوايا بارتفاع أربعة أقدام واتساع قدمين [٣] ، فربما يكون قد أخذ من أحجار هذا الجبل . فهو إذن قد يكون محصلة للبراكين أو بقايا عبادة قديمة وربما حجر مذبح لمعبد قديم أخذه الأنباط عندما كانوا بدواً غير مستقرين يعيشون حياة التنقل ولكن سقوط الدولة البابلية وتغير موازين القوى أعطى للأنباط فرصة لعب دور اقتضى منهم الاستقرار في الزاوية التي شكلت نقطة اتصال الأطراف الثلاثة المهمة آنذاك

---

(١) يرى هاردنج ان اسم ذو شرى منسوب إلى جبال الشراة التي لا تزال محتفظة بهذا الاسم حتى اليوم أما في التوراة فيطلق عليها اسم سعير . وتصف التوراة (يهوى) بأنه أشرق من سعير فكأنه (ذو شرى) نفسه . وكان (يهوى) يقيم في بيت من حجر يدعى أحياناً بيت إيل أي بيت الله وكانت هياكله الكبرى تقام في المرتفعات تماماً مثل (ذو شرى) ويؤيد هذا الرأي عبد العزيز سالم فيذكر ان ذو شرى صاحب أرض قد تكون الشراة وهي منطقة جبلية حول البتراء أما عبودي فيرى أن ذو شرى تحريف للفظ آرامي (دوسر) أما الاسم (أعرا) فهو اسم آرامي قديم وقد أُطلق أحياناً على ذي شرى اسم (ذو شرى أعرا) ويرى موسكاتي أن (ذا شرى) و(اعرا) اله واحد فأعرا هو الاسم الآرامي القديم لهذا الاله وذو شرى لقب عربي أطلقه عليه الانباط ومعناه سيد الشرى أما ستاركي فيرى أن الأنباط عاشوا في منطقة بصيرة منذ القدم وكان اسم هذا الاله آنذاك (الأغر) إذ يتبين من إحدى الكتابات التي ُوجدت في الحجر والتي تعود إلى (٤٠ ق. م) بأنها تشير إلى الأغر وانه آله (رب ايل)الذي يعتقد ستاركي بأنه رب ايل الأول الذي نُقل مقره الرسمي من البتراء إلى بصيرة ويستدل ستاركي من خلال اشتقاق الاسم من المصدر غرى بمعنى دهن وهذه العملية تدل على ممارسة طقس دهن الصنم ذو شرى بدم الأضاحي التي تقدم له فسمي لذلك عندهم بذي شرى الاعر لأنهم كانوا يضعون على تمثاله من دم ضحايا القربان . نقلا عن غرايبة ، المعبودات ، ص ٤٩-٥٠ .

(٢) غرايبة ، المعبودات ، ص ٥٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢.

العراق و شبه الجزيرة ومصر [١] . ارتبط استقرار الأنباط بالزراعة أولاً ومن ثم التجارة وقاد هذا التحول إلى أن يصبح ذو شرى إلهاً شمسيا (إله المحاصيل) [٢] ، وان عبادته ترتبط بمجتمع الفلاحين وأنها كانت واسعة .

ثم حصل التطور في النظام الديني بظهور (شيع القوم) إلهاً للتجار يحمي قوافلهم مواكباً لتطور اقتصاد الدولة بظهور النشاط التجاري فهو آله النخبة المالية . قاد الاستقرار والدور التجاري إلى التفكير الدائم بزيادة الموارد ، وكان النشاط التجاري هو الأكثر استجابة لهذا التفكير. فكان لابد من السيطرة على الطرق التجارية وتأمين سير القوافل بخلق مزيد من فرص الاستقرار والإفادة من تعدد مراكز القوى للاحتفاظ بدور خاص [٣] . ظهر اثر هذا التوجه في تطور وظائف (ذو شرى) من إله للخصب إلى إله للخمر [٤] إذ طالما أن اليونان قوة فمن الضروري الحوار بين ذو شرى وبين الإله اليوناني (زيوس) أو قد تكون الزراعة تحولت إلى زراعة المواد الداخلة في صناعة النبيذ غير أن هذا لم يمنع من اقتباس آلهة عراقية ومصرية مثل اللات ومناة وهي آلهة عراقية [٥] ، والعزى وهي ربما تكون أيزيس المصرية [٦] . وهبل والذي له صلة بالإله بعل الموآبي وهو أكبر أصنام الفينيقيين والكنعانيين ومن جاورهم [٧] .

احتفظ الثموديون والصفائيون بالإرث الحضاري القديم في المنطقة . وكانت المعتقدات الدينية من جوانب هذا الإرث ، ولا سيما أن هذه الأقوام كانت تتحرك في المسرح الجغرافي لتلك الحضارات حيث شواهد معتقداتها الدينية . وإذا أخذنا بالآراء

---

(١) علي ، المفصل ، ٣ / ٢٠ ؛ العلي ، محاضرات ، ص ٣٦-٣٨.
(٢) غرايبة ، المعبودات ، ص ٥٢ ، ٥٣ ؛ العلي ، محاضرات ، ص ٤٤ .
(٣) علي ، المفصل ، ص ٢٠ ؛ العلي ، محاضرات ، ص ٤٢ – ٤٣ .
(٤) غرايبة ، المعبودات ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .
(٥) خان ، الأساطير ، ص ١١٧ ؛ غرايبة ، المعبودات ، ص ٩٧ ، ١١٠-١١١.
(٦) بدج ، الديانة ، ص ١٢٨ ؛ غرايبة ، المعبودات ، ص ٨٥ .
(٧) غرايبة ، المعبودات ، ص ١٢٠ .

التي ترجح صلات هذه الأقوام بأقوام جنوب الجزيرة (اليمن) نقف على مدى اتساع قاعدة تأثر هذه الأقوام بالآخرين [١] .

تكشف النقوش الثمودية والصفائية عن العدد الكبير من المعبودات وتشمل عدداً غير قليل من الآلهة [٢] . مما يجعل الحديث عن نظام ديني وضعي لهذين القومين سابقاً لأوانه . إذ لم نقف على فهم دقيق لهذه المعبودات والآلهة يساعد في كشف نظام ديانة عليا واضحة المعالم لدى الثموديين والصفائيين .

تدل النقوش الثمودية على قدم هذه الأقوام التي يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن السابع ق. م [٣] . غير اننا لم نستطع معرفة ما إذا كانت هذه الأقوام استطاعت أن تبني كياناً خاصاً أم لا ؟ غير اننا نعرف كيف تأثرت القبائل الثمودية التي عاشت في تيماء بالمعبودات العراقية التي نقلها نابونائيد في أثناء اتخاذه تيماء مركزاً لحكمه سنة (٥٤٩ ـ ٥٣٩ ق. م) . فالآلهة صلم واللات ومناة هي معبودات من حضارة تلك الحقبة [٤] .

أما القبائل الثمودية القاطنة في اليمن فقد نقلت معها في تحركها إلى شمال شبه الجزيرة معبودات جنوبية كعثتر وكهل ويثع [٥] . فلما سقطت الدولة البابلية

---

(١) أحمد سالم طلفاح ، الآلهة عند الثموديين ، رسالة ماجستير ، (معهد الآثار والانثروبولوجيا – جامعة اليرموك ، ١٩٩٣) ، ص ١٢-١٦ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٤ ؛ البشاشة ، الإله ، ص ١٢.

(٢) علي ، المفصل ، ١ / ٣٣٠ ؛ محمود محمد الروسان ، القبائل الثمودية والصفوية (دراسة مقارنة) ، (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود ، ١٩٨٧) ، ص ١٥٩ وما بعدها ، ٤٢٥ وما بعدها ؛ غرايبة ، المعبودات ، الفصول الخاصة بالآلهة ؛ طلفاح ، الآلهة ، الفصول الخاصة بالآلهة ، البشاشة ، الآله ، ص ٣٧-٤٢.

(٣) علي ، المفصل ، ١ / ٣٣٠ ؛ طلفاح ، الآلهة ، ص ٣٢-٣٣ ؛ البشاشة ، الإله ، ص ١٦.

(٤) علي ، المفصل ، ١ / ٣٢٩ – ٣٣٠ ، ٣/ ١٣٤ -١٥٣ ؛ خان ، الأساطير ، ص ١١٧ ؛ الروسان ، القبائل ، ص ١٧٣ ، ١٨٠ ؛ طلفاح الإلهة ، ص ٧٧ .

(٥) الروسان ، القبائل ، ص ١٧٤ – ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٩٣ ؛ طلفاح ، الآلهة ، ص ٨٤ ، ٩١ ،١٢٣ ؛ منذر عبد الكريم البكر ، معجم أسماء الآلهة والأصنام لدى

وتمتع الثموديون بنفوذ أقوى شعروا أنهم مطالبون بمحاكاة آلهة كانت تُعبد في شمال شبه الجزيرة وقد تكون آلهة محلية مثل بعل سمين وملك فضلاً عن ذو شرى معبود الأنباط الرئيسي [١] .

شاركت الأقوام الصفائية في معبوداتها الأقوام الثمودية فاللاة وبعل شمين وذو شرى وأزيس ومناف وسعد وشمس ويثع ورضى [٢] كلها معبودات مشتركة بين القومين بيد أن أهمية المعبودات اختلفت لاعتبارات خاصة عند كلا القومين ، ففي حين كان الإله (ناهي) من المعبودات الثمودية المهمة [٣] كانت (اللاة) تمثل هذه الأهمية لدى الصفائيين [٤] وفي حين كانت أهمية المعبود (رضى) متوازية عند القومين [٥] . أنفرد الصفائيون بمعبودات شاركوا فيها تدمر مثل (نائر ورحيم) واشتركوا في المعبود (شيع القوم) مع الأنباط [٦] . ومن خلال هذا التباين في أهمية المعبودات بين الأقوام الشمالية واشتراك كثير من أقوامها بالعبادة مع الدول ذات النفوذ يبين عدم معرفة هذه الأقوام لمعبود خاص بها أو أنه أخذ موقعه وسط كثرة المعبودات التي انتشرت بين تلك الأقوام أثناء بحثها عن الماء

العرب قبل الاسلام ، (مستلة من ملحق مجلة الآداب / جامعة البصرة ، ١٩٩٨) ، ص ٣٢-٣٣ ، ٤٩ ؛ البشاشة ، الإله ، ص ٣٧.

(١) الروسان ، القبائل ، ص ١٦٣ -١٦٤ ، ١٨٤ ؛ طلفاح ، الآلهة ، ص ٤٧-٤٨ ، ٥٧-٥٩ ، ١٠٦ ؛ البكر ، معجم ، ص ٨ ، ٢٠-٢١ ، ٤٢٢ .

(٢) البشاشة ، الإله ، ص ٣٧ وما بعدها .

(٣) رضا جواد الهاشمي ، العرب في ضوء المصادر المسمارية ، مستلة من مجلة كلية الآداب (العدد ٢٢ ، ١٩٧٨) ، ص ٦٥٠ ؛ طلفاح ، الآلهة ، ص ١١٧ . يعتقد الباحث ان الإله ناهي أو نوهاي يرجع أصله إلى اسم النبي نوح عليه السلام وهو اتونا بشتم أو زيو سودرا أو اترخسيس الذي خلدته الآلهة في حضارة وادي الرافدين فأخذه العرب باسم نوحاي .

(٤) البشاشة ، الإله ، ص ٣٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

والكلأ واضطرارها إلى تعدد التحالفات السياسية لذلك فإن الحديث عن نظام ديني لهذه الأقوام سابقاً لأوانه لكن يجب عدم تعميم هذه الفكرة على الأقوام الشمالية كلها لأن الحضر وتدمر مثلاً مدينتان تحتاجان إلى دراسة نظاميهما الديني فكلاهما يشكلان حالة منفردة في دياناتها لا يستطيع الباحث تغطيتها لأن غاية هذا الفصل هو التعريف بالكيفية التي نشأت بها الديانة والكيفية التي انتقلت بها المعبودات إلى شبه الجزيرة العربية وانتشارها بين العرب في شبه الجزيرة وهو موضوع البحث [١].

كان الشعور بهذه التجزئة قائماً لا يفارق مخيلة الأقوام الشمالية . واستغلت الأقوام الغازية هذه الظروف وساعدت على استمرارها . فقد زحف الساسانيون منذ القرن الرابع الميلادي من العراق عبر ساحل الخليج العربي الشرقي وسيطروا على المنطقة وأقاموا قاعدة بحرية في البحرين [٢] ، وسيطر الرومان على شمال الجزيرة والشام ومصر منذ القرن الأول قبل الميلاد ، وذهب اليمن فريسة للحبشة (٥٢٥م) ثم الفرس عام (٥٧٥م) ، وسقطت إمارة كندة سنة (٥٢٨م) في الشمال ووجدت القبائل العربية نفسها محصورة في المنطقة الصحراوية التي هي عمق الجزيرة [٣] . وكان الزمن قد بعد بين الأجيال الجديدة في العراق والشام وبين أصولها الضاربة في عمق الجزيرة يوم كانت الجزيرة هي مصدر خروجهم الأول . وعندما أصبحت هذه الأجيال تحت سلطة الاحتلال كان إرثها الحضاري يذوي تدريجياً ولم تنفع صلاتها بالوطن الأول للاحتفاظ بما لديها . فأصبحت تدريجياً تحس بغربة بينما كان الذين يعيشون في عمق الجزيرة يتمسكون بأصل المعتقد

---

(١) قامت زينة بدراسة الحياة الدينية للحضر في رسالتها الموسومة (الحياة اليومية في مدينة الحضر في ضوء الشواهد الأثرية) . انظر زينة خليل السلطان ، رسالة ماجستير ، (كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٩٦) ، ص ١٢٧ وما بعدها .

(٢) عبد الرحمن عبد الكريم العاني ، البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج، رسالة ماجستير ، (كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٧١) ، ص ١٤٧ وما بعدها .

(٣) نزار عبد اللطيف الحديثي ، الأمة والدولة في سياسة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٧) ، ص ٣١ – ٣٣ .

الديني الذي أصبح يعرف (رب السماء) وهذه هي الصيغة الملائمة للبدوي ذو الطبيعة دائمة الترحال المحدود التزود .

لقد تمحور هذا التطور حول مكة بعد سقوط اليمن ويمثل ظهور سوق عكاظ هذا التحول فهو حسب رواية البكري حصل بعد خمسة عشر عام من الاحتلال الثاني لليمن أي في حدود سنة (٥٤٠م) (١) .

أصبحت المنطقة مهيأة لتكوين كيان سياسي خاص بهذه الأقوام العربية. وكان لابد لهذا الكيان من نظام ديني يخلق مجتمع منظم ويحميه. فكانت مكة هي نواة هذا النظام ، وأتاح موقع مكة الجغرافي البعيد عن كل الأقوام الغازية إيجاد مجتمع متماسك له نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي بعيد عن كل الضغوط . وبما أن منطقة مكة لا تصلح للزراعة ، كان التفكير بالتجارة حلاً أمثل لبناء هذا النظام . ولقد تهيّأ لمكة قادة حقيقيون فكروا بجدية بهذا الموضوع وتمكنوا من توظيف كل ما يملكون من أجل بناء كيانهم السياسي .

أوحت الخبرات المتراكمة لأجيال الأقوام العربية بأن عامل التجارة يمكن الاستفادة منه كعامل استقرار اعتماداً على الإمكانيات الاروائية والزراعية المحدودة وكانت مملكة دومة الجندل خير دليل على ذلك . بيد أن قادة مكة وظفوا هذه الخبرات خير توظيف وجعلوا من التجارة مصدر العيش لكل فرد من أفراد المجتمع حتى أصبح لكل بيت أو أسرة في مكة مبلغاً مالياً بسيطاً يستثمره في التجارة (٢) . فبدأ يتجمع رأس المال ، واستطاعت قيادات مكة عن طريقه صرف مبالغ كثيرة لبناء نظام ديني يجمع جميع القبائل العربية المنتشرة في المنطقة الواقعة بين حدود الأقوام الغازية حول مكة . توفر في هذه الحقبة لمكة شخصية قائدة مثلها عمرو بن لحي الذي ساهم بشكل مباشر في تأسيس نظام ديني خاص بمكة وتثبيته قدر المستطاع لتبقى مكة مركز الأقوام العربية دينياً . وعندما تصبح مكة هي المركز الديني للأقوام العربية بالتأكيد ستكون مؤهلة لبناء كيان الدولة السياسي والذي نظمه لاحقاً قصي بن

---

(١) البكري ، معجم ، ٣ / ٢١٨ .

(٢) العلي ، محاضرات ، ص ٩٩ .

كلاب منذ منتصف القرن الخامس للميلاد الذي ورث فكرة عمرو بن لحي واستوعبها وأعطاها مضموناً معاصراً بعد أن ثبت النظام الديني في مكة ولم يعد أمامه سوى تنظيم الاستقرار فيها وتنظيم معاملات ومحالفات تضمن سير القوافل وتوفير أساس الكيان السياسي وقد نجح قصي بن كلاب في ذلك لتصبح مكة في ما بعد مركزاً للدين ومركزاً للقوافل التجارية في نفس الوقت .

يمكن القول ان تزايد أسواق العرب [١] وظهور مستويين من الأسواق أسواق صغرى (محلية) وأسواق كبرى بعضها يرتبط بدورة التجارة العربية مثل عكاظ [٢] وبعضها تدوره التجارة العالمية من خلال أسواق الموانئ (مثل سوق صحار وعدن والمشقر ودبا) [٣] يُعد مؤشراً على نمو اقتصادي داخلي ودور خارجي فعال وتعبير عن حاجة جماعية ترتبط على نشاط الحج وان ارتباط التجارة بالحج تجعلنا نرجح صلة ذلك بإجراءات عمرو بن لحي غير ان معلوماتنا قليلة لا تمكننا من كشف العلاقة بين الدورة التجارية وبين الحج بشكل دقيق ومن ثم تقدر قيمة وأهمية تلك العلاقة . لقد ظهرت العلاقة بين الحج والتجارة واضحة في المدة بين قصي بن كلاب وهاشم بن عبد مناف ربما بسبب التحالفات والايلاف التي عقدت ولكن يجب ان لا نغفل أهمية الحج لأنه كان وراء تحديد المواقيت وتخصيص اشهر حرم تنظم العلاقة بين ما يحتاج العرب التفاهم عليه فنشأ نظام التوفيق بين ما يريده المحلون الذين لا يقرون بنظام الحرم ولا يحرمون الشهر الحرم وما يريده المحرمون الذين يقرون بالحرم ويحترمون الأشهر الحرام ، هذا التوفيق هو الذي أتاح أشهراً حرماً (محرم ، صفر ، ذي الحجة ، ذي القعدة) يتاجر بها الناس ويحجون أي يمارسون حراكهم البشري بأمان . لقد استلزم هذا تحديد خفارات الطرق وأي القبائل تتولاها وقاد إلى شوء نظام خفارات الأسواق أيضاً وهكذا أصبح النظام الديني مؤمناً للنظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي . ومن أجل أن تتحقق الدورة الاقتصادية العربية

---

(١) عن الأسواق العربية قبل الإسلام . انظر علي ، المفصل ، ٧ / ٣٦٩ وما بعدها .
(٢) المصدر نفسه ، ٧ / ٣٧٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ٧ / ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

في الأسواق هدفها فأن سوق (عكاظ) كان سوقاً لا عشور فيه ولا خفارة ولا اعتداء تم تحديد مواقيته مرتبطة بمواقيت الحج فبعد أن يُكمل الناس تجارتهم في الأسواق يقصدون (عكاظاً) في ذي القعدة لعشرين يوماً ثم يكملون الشهر في سوق (ذي المجنة) عشرة أيام فإذا هَلَ ذي الحجة حضروا سوق (ذي المجاز) ثمانية أيام ثم خرجوا إلى التروية في سوق (ذي المجاز) إلى عرفة [١] ويعزز هذا الاعتقاد الإشارات التي أوردها الرواد إلى كون أماكن الأسواق كانت أماكن مقدسة [٢] .

جدول رقم (١) (*) آلهة العرب قبل الإسلام [١]

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
١	أساف	خزاعة	أنحاء مكة في مر الظهران وما يليه (من جبالهم الابواء والبشام)			
		قريش – الأحابيش	مكة			
٢	أسحم				صنم أسود	
٣	أشهل	بنو عبد الأشهل (الأنصار)	يثرب			

(١) الازرقي ، تاريخ ، ص ١٢٩ .

(٢) علي ، المفصل ، ٧ / ٣٨٢ – ٣٨٣ .

(*) بعد ثلاثة سنوات من البحث توصلنا الى هذا الجدول ، غير اننا وجدنا ان الدكتور الربايعة سبقنا في دراسته الموسومة (عبادة الأصنام في الجزيرة العربية قبل الاسلام ووظيفتها الاجتماعية) الى تشكيل جدول يحوي على (١٢) إله مركزا فيه على القبائل العابدة وسدنة الإله وشكله . انظر ص ٤٤ – ٤٥ .

(١) ابن الكلبي ، الأصنام ؛ ابن هشام ، السيرة ، ٩٩ – ١١١ ؛ الأزرقي ، تاريخ ، ص ١٢٤ – ١٣٢؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ٢١٨ – ٢٢٠ ؛ البغدادي ، المحبر ، ٣١٥ – ٣١٩؛ أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الميداني (ت ٥١٨هـ) ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٩٥٥) ، ١ / ٢٢٧ . السهيلي ، الروض ، ص ١٠٢ – ١٠٨ ؛ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، الأصابة في تمييز الصحابة ، (مصر ، دار العلوم الحديثة ، ١٣٢٨هـ) ، ص ٢١٩/٢ ، ٣ / ٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ١٦/٤؛ ديتلف نيلسن وآخرون ، التاريخ العربي القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين علي ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٢٧) ص ١٩٠ – ٢٣٠؛ محمد عبد المعين خان ، الأساطير العربية قبل الإسلام ، (القاهرة : ١٩٣٧) ، ص ١٠٧ – ١٣٣ ؛ علي ، المفصل ، ص ٢٢٧ – ٢٨٩؛ البكر ، معجم أسماء الآلهة ؛ عبيد ، أحمد محمد ، معجم أصنام العرب (دبي : ٢٠٠٠م) .

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
٤	الاقيصر	قضاعة	الشحر ، نجران ، الحجاز ، الشام (انتشرت في المنطقة المحصورة بين مصر غرباً والحجاز جنوباً والعراق شرقاً)			
		لخم – جذام	الشام			
		عاملة	اليمن والشام			
		غطفان	نجد مما يلي وادي القرى وجبل طي			

		هوازن	نجد مما يلي اليمن			
٥	أوال	بكر بن وائل	شرق الجزيرة ، اليمامة ، البحرين ، أطراف سواد العراق			
		تغلب بن وائل	شمال العراق (سنجار) ، نصيبين (ديار ربيعة)			
٦	باجر	الازد	اليمن			
		طي	اليمن ، جبلي طي (اجأ وسلمى) ، نجد فيما بين اليمامة والبصرة والكوفة ، وادي القرى			
		قضاعة	الشحر ، نجران ، الحجاز ، الشام (انتشرت في المنطقة المحصورة بين مصر غرباً والحجاز جنوباً والعراق شرقاً)			

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
٧	بجة					ـه فُسر حديث الرسول ﷺ ان الله قد أراحكم من الشجة والبجة .
٨	بلج					
٩	بوانة					الفاكهي عن عبد الله بن خيثم عن أبيه عن حجير بن أبي أهاب قال : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل وأنا عند

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
						صنم يقال له بوانة
١٠	تيم	تميم	نجد ، البصرة ، اليمامة ، البحرين ، الكوفة .			
١١	جبهة					اسم منزل من منازل القمر وكذلك النجم الذي يقال له جبهة الأسد وهي أربعة أنجم ينزلها القمر
١٢	جد					عند السريانيين الحظ .
١٣	جريش					
١٤	جلسد	كندة	اليمن (مما يلي حضرموت) ، الحجاز		نحت لرجل عظيم وهو من صخرة بيضاء له رأس أسود	سدنته بنو شكامة من السكون

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
١٥	جهار	هوازن	نجد مما يلي اليمن	سفح أصحل		سدنته آل عوف النصريون
		محارب	عكاظ			
١٦	حلال	فزارة	نجد ، مصر			
١٧	حمام	بنو هند من بني عذرة	وادي القرى			
١٨	خمام					
١٩	دار					

٢٠	الدُّمية					
٢١	ذات أنواط		بين مكة وحنين		شجرة عظيمة خضراء	
٢٢	ذات الودع	قريش				وثن
٢٣	ذريح	كندة	اليمن (مما يلي حضرموت) ، الحجاز	النجير		

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
٢٤	ذو الخلصة	باهلة	اليمامة		مروة بيضاء منقوش عليها ما يشبه التاج	سدنته بني هلال بن عامر
		خثعم – بجيلة – جرم – دوس	سراة اليمن ، نجد (ما بين بيشة وتربة وظهر تبالة)			
		حارث بن كعب	نجران			

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
		زبيد	اليمن ، نجد			
		ازد السراة	نجد			
		بطون هوازن	نجد مما يلي اليمن			
		هلال بن عامر	الحجاز ، نجد ، الشام			
		غوث بن مرة بن اد				
٢٥	ذو الرجل					
٢٦	ذو شرى	الحارث بن يشكر (الازد)	الشراة		حجر مربع أو مستطيل لونه أسود وله أربع زوايا بارتفاع أربع أقدام واتساع قدمين	
		دوس	نجد (تثليث وتربة وبيشة)			
		الأنباط	شمال الجزيرة			
٢٧	ذو الكفين	خزاعة	اليمن ، أنحاء مكة في مر الظهران وما يليه (من جبالهم الابواء والبشام) .			
		دوس	نجد (تثليث وتربة وبيشة)			

٢٨	ذو اللبا	عبد قيس	البحرين	المشقر		سدنته بنو عامر من بني عبد قيس
٢٩	الزون					
٣٠	السجة					
٣١	سعد	مالـك وملكـان ابنـي كنانة	مكة	تنوفة	صخرة طويلة	الاسـم لـه علاقـة بالكواكـب فهنـاك عشـرة أسـماء لكواكب مرتبطة به
		عك	اليمن ونجد			
		هذيل	اليمن ونجد			
		الانباط	شمال الجزيرة			
		الصفائيون	شمال الجزيرة			
٣٢	سعيدة	سعد هذيم	نجد	أُحد		سدنته بنو عجلان كـان بيـت تحجـه ربيعة في الجاهلية

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
		قضاعة (غير بني وبرة)	الشحر ، نجران ، الحجاز ، الشام (انتشرت في المنطقة المحصورة بين مصر غرباً والحجاز جنوباً ,العراق شرقاً)			
		الازد	اليمن			

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
		ربيعة	نجـد ، البحـرين ، الحجاز			
٣٣	سعير	عنزة	نجد إلـى الحجاز ، بادية الشام			
٣٤	سقب	بكر بن وائل	شـرق الجزيـرة ، اليمامـة ، البحـرين ، أطراف سواد العراق			صنم لبكر اغار عليهم عمرو بن شـيبان بـن محارب بن شهر فآخذه فأكله
٣٥	سواع	هذيل	اليمن ونجد	رهـاط (ينبـع) وقيـل بنعمان		سـدنته بنـي جاهلة من هذيل
		كنانة	جهـات مكـة ، الحجاز			
		مزينة	نجـد (بـين المدينـة ووادي القرى)			
		همدان	اليمن			
		بنو سليم	عالية نجد ، تيماء			
		عمرو بن عيلان				
٣٦	شارق					ذكـر ابـن منظـور : " شـريق صـنم يضاً "

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
٣٧	شمس	تميم	نجد ، البصرة ، اليمامة ، البحرين ، الكوفة	له بيت		عبد شمس بطن من بطون قريش قيل سموا بذلك الصنم وأول من تسمى به سبأ بن يشجب
		ضبة	الناحية الشمالية التهامية من نجد			
		عدي	اليمامة			
		عكل	قراهم الشقراء والاشيقر			
		ثور				
٣٨	صدا					
٣٩	صمودا					
٤٠	ضيزن	المنذر الأكبر (لخم) ، جذيم الأبرش (الأزد – تنوخ)	الحيرة (العراق)			الضيزنان صنمان اتخذهما المنذر بباب الحيرة كان يسجد لهما
٤١	ضمار	سليم	عالية نجد ، تيماء			
٤٢	عائم	ازد السراة	جبال السراة	عوان		
٤٣	عبد رضى	ربيعة بن كعب بن زيد مناة (تميم)	نجد ، البصرة ، اليمامة، البحرين ، الكوفة			

		طي	ورثوا منازل تميم بأرض نجد في ما بين البصرة والكوفة واليمامة			
٤٤	عبد غنم	تغلب (غنم بن تغلب بن وائل)				
٤٥	عبد كلال					
٤٦	عبد ياليل					
٤٧	عبعب	قضاعة	الشحر ، نجران ، الحجاز ، الشام (انتشرت في المنطقة المحصورة بين مصر غرباً والحجاز جنوباً والعراق شرقاً)	عبعب		
٤٨	عزى	سليم	عالية نجد ، تيماء	حراض أزاء الغمير	شجرة	كانت لغطفان بنو عليها بيتاً ، بنى لها ظالم بن أسعد بيتاً وكان سدنتها من بني صرمة بن مرة
		قريش – خزاعة – اسد بن عبد العزى	مكة			
		كنانة	جهات مكة ، الحجاز			

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
		غطفان – غنى – نصر	نجد			

		باهلة	اليمامة			
		جميع مضر – سعد بن بكر	بين دجلة والفرات مجاورة الشام ، الحجاز			
		ثقيف	الطائف			
		جشم	اليمن ، نجد			
		لخم	حول الرملة إلى نابلس			
٤٩	عمرة	كلب				
٥٠	عميانس	خولان (الادوم)	اليمن	أرض خولان		
٥١	عوض	بكر بن وائل	شرق الجزيرة ، اليمامة ، البحرين ، أطراف سواد العراق			بنو عوض قبيلة
٥٢	عوف					
٥٣	عير					
٥٤	فراض	سعد العشيرة	اليمن			سادنه من بني وقشة
٥٥	فلس	طي	اليمن ، جبلي طي (اجأ وسلمى) ، نجد فيما بين اليمامة والبصرة والكوفة ، وادي القرى	أجأ (جبل)	كان انفاً أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له اجأ أسود كأنه تمثال إنسان	سدنته من بني بولان
٥٦	قراط	سعد العشيرة				صنم أبو ذباب المذحجي
٥٧	قزح		قرب مكة			

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
٥٨	قلس	بنو غصين				سدنته بنو غصين

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
٥٩	قيس					
٦٠	كثرى	جديس ، طسم				كسره نهشل بن الربيث (بن عرعرة)
٦١	كسعة	قيس عيلان				
		وقيل حمير	اليمن			
٦٢	كعيب		اليمن	القليس (كنيسة بناها ابرهه)	خشبة من ساج منقوش عليها طولها ستون ذراعاً	
٦٣	اللات	قريش	مكة	الطائف	صخرة مربعة بُني عليها بناءً	
		ثقيف	الطائف			
٦٤	محرق	بكر بن وائل	شرق الجزيرة ، اليمامة، البحرين، أطراف سواد العراق			جعلوا في كل حي من ربيعة له ولداً وسدنته آل الأسود العجليون
		ربيعة	نجد ، البحرين، الحجاز			
		لخم	الحيرة			
٦٥	مدان		أهل الحجاز			بنو مدان بطن
٦٦	مرحب	حضرموت	حضرموت			سادنه ذو مرحب وبه سمي
٦٧	مطعم الطير	قريش	مكة	المروة		

٦٨	مناة	الأوس والخزرج	يثرب	قديد بين المدينة ومكة على ساحل البحر من ناحية المشلل	صخرة	كانت ربيعة ومضر على بقية من دينه وسدنته الغطاريف من الازد
		ربيعة	نجد ، البحرين ، الحجاز			
		مضر	بين دجلة والفرات مجاورة الشام ، الحجاز			
		هذيل	اليمن ونجد			
		ازد شنوءة	السراة			
		خزاعة	مكة			
		غسان	الشام			
		سعد هذيم	نجد			
٦٩	مناف	قريش	مكة			
		بنو سلمة	يثرب			
٧٠	منطبق	السلف – عك – الاشعريون	اليمن		صنم من نحاس	
٧١	نائلة	خزاعة– قريش	مكة	الصفا		
٧٢	نسر	حمير	اليمن	بلخع		ذكر ابن حبيب انه كان في غمدان (قصر ملك اليمن

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
٧٣	نهم	مزينة	نجد (بين المدينة ووادي القرى)			سدنته كانوا من عبد نهم وهو خزاعي بن عبد نهم من مزينة من بني عذرة
		بجيلة	سراة اليمن ، نجد (ما بين بيشة وتربة وظهر تبالة)			
		خزاعة	مكة			
٧٤	نهيك مجاود الريح	قريش	مكة	الصفا		
٧٥	هبا					
٧٦	هبل	قريش	مكة	جوف الكعبة	عقيق أحمر على سورة إنسان مكسور اليد اليمنى	نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . اسم بطن من كلب(الهبلات)
		مالك وملكان	بجهات مكة			
		بكر (من كنانة)	قرب سوق عكاظ			
		كنانة	جهات مكة ، الحجاز			

ت	الصنم	القبيلة	مكانها	المعبد	الرمز	الملاحظات
٧٧	ود	كلب بن وبرة	دومة الجندل ، تبوك ، اطراف الشام	دومة الجندل		
		تميم	نجد، البصرة ، اليمامة ، البحرين ، الكوفة			
		طي	اليمن ، جبلي طي (اجأ وسلمى) ، نجد فيما بين اليمامة والبصرة والكوفة ، وادي القرى			
		الخزرج	يثرب			
		هذيل	اليمن ونجد			
		لخم	الشام			
٧٨	اليعبوب	جديلة طيء	اليمن ، جبلي طي (اجأ وسلمى) ، نجد فيما بين اليمامة والبصرة والكوفة ، وادي القرى			
٧٩	يعوق	همدان(ارحب) – خولان	اليمن	خيوان	فرس	
		كنانة	جهات مكة ، الحجاز			
٨٠	يغوث	مذحج– أهل جرش	اليمن	انعم	اسد	

الفصل الثاني
الآلـهة في شبه جزيرة العرب

مدخل :

نسب الرواة الذين تحدثوا عن آلهة العرب وعبادتهم معظم الآلهة إلى القبائل [1] . ولم يهتموا بالجغرافية كثيراً ، لذا يواجه الباحث صعوبة في معرفة التوزيع الجغرافي لهذه الآلهة ومعرفة البيئات التي نشأت فيها . وتفسير ظهورها وما يتعلق بعبادتها . ومما يزيد في صعوبة الموضوع أننا نجهل المواطن الأولى لهذه القبائل التي ارتبطت الآلهة بها . إذ ان أغلب معلوماتنا عنها روايات شفاهية تناقلها الرواة ، وأياً تكون قدرة الحفظ عندهم فان رواياتهم تعكس وعياً بزمن محدود لا يرقى إلى النشأة الأولى للقبيلة أو يواكب انتشارها إنما هي صورة سادت قبل الإسلام وحتى زمن التدوين [2] ، كما أننا نجهل الزمن الذي كانت فيه هذه القبائل في مواطنها التي ذكرها الرواة . فضلاً عن أن هذه القبائل لم يثبت معظمها في مكان واحد إنما

---

(١) وردت الروايات عن قبائل العرب من النسابة والاخباريين وبعض الجغرافيين . وفي حين حرصت روايات النسابة على تقديم فكرة عن بنية القبيلة ذهب الجغرافيون إلى الاهتمام بالمواقع الجغرافية للقبيلة ؛ انظر هشام أبو المنذر محمد بن السائب بن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، جمهرة النسب ، تحقيق محمود فردوس العظم ، (سوريا : دار اليقظة العربية ، ١٩٨٣) ؛ أيضاً ، نسب معد واليمن الكبير ، (سوريا : دار اليقظة العربية ، ١٩٨٨) ؛ أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦هـ) ، نسب قريش ، تصحيح ليفي بروفنسال ، ط٣ ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٢) ؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، (مصر : دار المعارف ، ١٩٦٢) ؛ أبو العباس أحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الابياري ، (القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩) ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ؛ البكري ، معجم ما استعجم ؛ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، تحقيق فستنفلد ، (طهران : مكتبة الأسدي ، ١٩٦٥) . وتميز البكري من الجغرافيين في المقدمة التي تحدث فيها عن انتشار القبائل ، ص ٧-٨٠ .

(٢) فؤاد سيزكين ، تاريخ التراث العربي ، ترجمة محمود فهمي حجازي وفهمي أبو الفضل ، (مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧) ، ١ / ٣٩٥ .

تنقلت وتعرضت إلى الانشطار وتفرقت وتباعدت مساكنها ولم تعد تحتفظ ببنيتها الأولى [1] . لا تتوافر في الروايات الخاصة بالآلهة معلومات كافية عن طبيعة هذه الآلهة ، أو عبادتها وعلاقة القبيلة بها كي تفيدنا في تحديد في أي جيل من أجيال القبيلة بدأت عبادة هذه الآلهة بما يمكننا من وضع تصنيف تأريخي لتطور الآلهة وعبادتها عند العرب .

استعنتُ بالمعاجم اللغوية لاستخراج الدلالة اللغوية لأسماء الآلهة [2]. واستخدمتُ كتب الجغرافية على اختلاف مناهجها لمعرفة توزيع القبائل والتطّورات التي طرأت على حياة القبيلة ومواضعها في محاولة لإجراء تصنيف جغرافي . وكانت حصيلة هذا الجهد الجدول (رقم ٢) . لقد استخدم بعض الرواة الاسم العام للمنطقة مثلاً اليمن أو الحجاز أو نجد [3] ، ونحن نعرف جيداً أن التطابق بين الاسم العام ودلالته على الأرض هي الأخرى موضع خلاف في الروايات من حيث امتداده ووضعه التاريخي ، وإذ كان مصطلح اليمن قد حظي بنصيب وافر من الوضوح فالمشكلة معقدة جداً في تهامة والحجاز ونجد والعروض [4] .

دقق بعض الرواة في مواطن القبائل فذكروا للقبيلة مركزاً حضرياً سكنته وقدموا لنا صورة عن وضعه في الإسلام بغض النظر عن حجمه (مدينة أو قرية) وليس عن وضعه قبل الإسلام أو حين سكنته القبيلة أول مرة . لهذا كله ومن أجل تقريب الصورة ذهبنا إلى الإفادة من الوصف أو التحديد الجهوي قدر الإمكان فاستخدمنا المصطلحات ذات الدلالة الجهوية العامة (غرب الجزيرة ، اليمن ، شرق

---

(١) خير مثال على انشطار القبائل وتفرقها ما أورده الرواة عن تفرق قضاعة والأزد وقبائل معد ؛ البكري ، معجم ، ١ / ٢٠ وما بعدها .

(٢) كان الاعتماد بالدرجة الأولى على ابن منظور ، لسان العرب ؛ محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الستار أحمد الفراج وآخرون ، (بد. م : مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٥) .

(٣) انظر الاختلاف في تحديد وامتداد أقسام جزيرة العرب في الروايات التي أوردها البكري ، ١ / ٧-١٢ .

(٤) البكري ، معجم ، ١ / ١٢ وما بعدها .

الجزيرة) مثلاً ، وحيثما كان ذلك ضرورياً . ويظهر من هذا الجدول أن غرب الجزيرة حظي بأكبر عدد من الآلهة إذ ارتبط به سبعة وثلاثون آلها ، يليه اليمن الذي ارتبط به ست وعشرون آلها ، فيما أشارت الروايات إلى ثلاثة عشر اله فقط في شرق الجزيرة [١] . ويبدو أن الطبيعة أدت دوراً في تحديد شرق الجزيرة ، فالمساحات الرملية الواسعة تحيط به من جهات الشمال والغرب والجنوب بينما يحيط به الخليج ومياهه المالحة من الشرق مما أكسبه عزلة ظهر تأثيرها في الحياة اليومية للسكان . لذلك أتسم التطور المحلي فيه بالمحافظة ولنا أن نفترض ظهور نتائجه في الدين وفي العلاقات الاجتماعية . فكان حظه من الالهة محدوداً . لا يعني هذا الوضع ان هناك نوعاً من التخصص المطلق وإنما يمكن القول ان بعض هذه الإلهة كان الهاً قبلياً أو محلياً وربما بسبب عدم الإشارة إلى اهتمام قبائل أو مناطق أخرى به بينما أشارت الروايات إلى عبادة بقية الآلهة في أكثر من منطقة وعند أكثر من قبيلة . فهناك اثنا عشر الهاً مشتركاً بين غرب الجزيرة واليمن [٢] ، وستة الهة اشتركت بعبادتها قبائل من غرب الجزيرة ومن شرقها [٣] ، وآله واحد اشترك اليمن بعبادته مع شرق شبه الجزيرة [٤] ويمكن تفسير ظاهرة الاشتراك في عبادة الآلهة من خلال معرفة المكان الأول الذي نشأت فيه عبادة الاله وأي القبائل عبدته أولاً ، وتتبع حراكها في جزيرة العرب ومعرفة العلاقات التي نشأت بينها وبين قبائل أخرى مجاورة أو مصاهرة أو تحالفاً للوقوف على الآلية التي انتشرت بها عبادة الآلهة .

ذكرت الروايات أسماء آلهة اختصت بعبادتها قبيلة معينة أو ذكرت مركزاً حضرياً معيناً اختص بعبادتها ، ويصح تسمية هذه الآلهة بالآلهة القبلية أو المحلية إذ لم ترد في الروايات إشارة إلى عبادتها من قبيلة أخرى أو أنها عبدت في منطقة أخرى . وفي غرب الجزيرة وجدت ثمانية آلهة من هذا النوع هي اشهل ، وحلال ، وحمام ، وسعير ، وظمار ، ومطعم الطير ، ومناف ، ونهيك مجاود الريح

---

(١) انظر الجدول رقم (٢) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

[1] . اما في اليمن فذكرت الروايات عشرة آلهة قبلية هي جلسد ، وذريح ، وعائم، وعبعب، وعميانس، وفراض، وفلس، ومرحب، ونسر، ويعبوب [2] .

أن وجود إله خاص بالقبيلة تعبير عن اثر أخر مرحلة من التجزئة القبلية التي أوجـدت تعدديـة فـي الآلهـة . والرجـوع إلـى جـدول رقـم (١) يـدعم هـذا الاتجاه . وتفسير ذلك أن القبيلة ابتعدت عن أصلها أو عن الظرف الذي نشأت فيه ديانتها . ولم تعد آلهتها القديمة مؤثرة بحكم تغير الظروف التي جعلت القبيلة اكثر ارتباطاً بالمستجدات في حياتها لا سيما عندما يوجد إله يرتبط بالظروف المستجدة وله قوة تأثير ، ولا يمكن تأشير حد زمني واحد لبدء التجزئة القبلية أو ظهور التعددية الدينية فهناك قبائل انفصلت عن الكتلة ألام واستقلت في وقت مبكر واتخذت لها آلهة منذ انفصالها مثل حمير الجيل الخامس من قحطان التي عبد ت الإله (نسر) [3]الذي ارتبط بالقبيلة وتعكس عبادته تمسكاً قبلياً بهذا الإله . بينما قبائل أخرى انفصلت عن كتلها في زمن لاحق قد يكون أحدث عهداً مثل بني هند من عذرة من الجيل الثالث والعشرين من قُضاعة التي عبدت الإله (حمام) [4] .

أولاً : التوزيع الجغرافي للآلهة :

(١) آلهة غرب الجزيرة :

يعني غرب الجزيرة الأراضي الواقعة بين اليمن بدءاً من مدينة جرش إلى تخوم بلاد الشام بقسميه تهامة والحجاز [5] . ويشمل المناطق التي فيها الطائف ومكة والمدينة وحواضر وادي القرى وتبوك ، كان معظم هذه المنطقة حيزاً تمدد فيه نفوذ العراق بدءاً من الحملات الآشورية في عهد توكلتي ننورتا (٨٩٠-٨٨٤ ق. م) وخلفائه في العهد الوسيط [6] وتجلات بلاصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق. م) وخلفائه

---

(١) انظر الجدول رقم (١) ، الآلهة تسلسل ٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، الآلهة تسلسل ١٤، ٢٣، ٤٢، ٤٧، ٥٠، ٥٤، ٥٨، ٦٦، ٧٢، ٧٨.

(٣) المصدر نفسه ، الإله تسلسل ٧٢ .

(٤) المصدر نفسه ، الإله تسلسل ١٧ .

(٥) الحديثي ، أهل ، ص ٣٧ . اعتبر جرش الحد الحضاري والبشري لليمن قبيل الإسلام .

(٦) باقر ، مقدمة ، ص ١٨١-١٨٤ .

[1] ، حتى سقوط الدولة البابلية سنة (٥٣٩ ق. م) [2] وقد عاصرت هذا النفوذ قبيلتا ثمود ولحيان وأتاح انحسار نفوذ العراق الفرصة لامتداد نفوذ اليمن فيما بعد وتضعنا الروايات أمام تسميات لا نعرف شيئاً عن صلتها بسابقتها مثل جرهم وقضاعة والازد وانتشار قبائلها مثل خزاعة في مكة وبنو قيلة (الأوس والخزرج) في يثرب .

تشكل الرقم الطينية والنقوش الأخرى مصدر معلوماتنا عن قبائل هذه المنطقة فيمدة النفوذ البابلي فيها في حين تُعد روايات النسابة والإخباريين التي أوردها المؤرخون مصدرنا فيما يتعلق بنفوذ اليمن في غرب الجزيرة وإلى حد ما بعض النقوش المعينية والسبئية .

ذكرت الرقم الآشورية آلهة عامة عبدها العرب ومنها عتر سماين (عثتر سمين) ودبلات ودايا (دية) ونوهيا (نهيا) (نهي) وأبيريلو وعثتر قرميه (عثر قرمي) [3] كما ذكرت النقوش اللحيانية أسماء آلهة أخرى ليست لها صلة بما ورد في الرقم الآشورية [4] ، وفيما عدا هذا لم ترد إشارة إلى إله لقبيلة قبل خزاعة في مكة ، فليس لدينا على وجه الدقة اسم لإله عبدته جرهم أو إله ارتبط بمكة قبل خزاعة [5] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٨٦-١٩٩ .

(٢) تتحدث الروايات عن قيام بخت نصر (يرجح نبوخذ نصر) بحملة تأديبية في جزيرة العرب الذي لدينا فقط حسب الرقم الطينية البابلية هو دخول نابونائيد ملك بابل إلى تيماء واستقراره فيها قرابة عشر سنوات ؛ علي ، المفصل ، ٦٠٧ وما بعدها ؛ الهاشمي، العرب ، ص ٦٦١- ٦٦٢ .

(٣) علي ، المفصل ، ١/ ٥٩٢ ؛ الهاشمي ، العرب ، ص ٦٥٠ .

(٤) علي ، المفصل ، ٢/ ٢٥٦ – ٢٥٧ ، ٣١٤/٦ وما بعدها .

(٥) ذكرت الروايات ان هبل كان إله خزيمة بن مدركة وهي روايات غير ذات قيمة حقيقة لأننا لا نعرف أين كان يسكن خزيمة بن مدركة في ذلك الوقت ؛ انظر الكلبي ،

اختص غرب شبه الجزيرة بعبادة (٢١) إله بينما اشترك مع اليمن في (١٢) إله ومع شرق شبه الجزيرة في (٦) آلهة . ويعكس هذا الوضع حيوية الحياة في المنطقة وعمق الحراك البشري فيها والذي وضعها في تمازج مع اليمن ومع شرق شبه الجزيرة [1] .

يمكننا القول أن المعتقدات الدينية في المنطقة تعود إلى تصورات سكان المنطقة القدماء بالتأكيد كون المنطقة جزءاً من شبه جزيرة العرب التي لها نمط حضاري واضح ومحدد يحكم نظرتها إلى الكون والحياة ، بقي مؤثراً في تطور معتقداتها الدينية . لكن لا يمكن إغفال ما حملته القبائل معها في أثناء انتقالها أو أدخلته الدول التي مدت نفوذها السياسي في المنطقة أو جاءت به التجارة التي ارتبطت طرقها بين الشمال والجنوب بهذه المنطقة منذ أقدم العصور . وأقدم إشارة في هذا المجال هي نزول نابونائيد الملك البابلي في أواخر عهده (٥٥٠-٥٣٩ ق. م) في تيماء ، وعبادته الإله القمر سين [2] . والذي وصل إلينا في العبادات المتأخرة بأسماء عديدة [3] ، لهذا من الصعب تحديد أي الآلهة مصنوع من أهل المنطقة وأيها منقول لها من الخارج .

(٢) آلهة اليمن :

اختص اليمن بعبادة (١٧) إله حسب الجدول رقم (٢) وهو رقم جيد إذا أخذنا في الحسبان موقعه في جنوب شبه الجزيرة العربية وانفتاحه على شمال غرب شبه

الأصنام ، ص ٢٨ ؛ أبو الفوز محمد أمين البغدادي السويدي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل وأنساب وتاريخ العرب ، (الموصل : مطبعة الزهراء الحديثة ، ١٩٨٤) ، ص ١٠٤ .

(١) جدول رقم (٢) .

(٢) باقر ، مقدمة ، ١/ ٣٧١ .

(٣) مثلاً في اليمن وحدها سمي المقة ، وعم ، وكهل ، وتألب ريام ، وود الذي شاعت عبادته في الجزيرة العربية بهذا الاسم ؛ انظر الجرو ، الفكر ، ص ٢٢١ وما بعدها .

الجزيرة وشمال شرقها فقط مما يعطي انطباعاً عن تقدم النشاط الحضاري في اليمن والنشأة الخاصة للمعتقدات الدينية فيه . ويظهر أبرز تفاعل بين اليمن وغرب الجزيرة حيث اشتركا في (١٢) إله بينما لا يظهر تفاعلا مع شرق الجزيرة حيث لم تشترك اليمن معها إلا في إله واحد ويفسر هذا ان اتجاه أهل اليمن كان عبر غرب شبه الجزيرة نحو الشمال الأكثر انفتاحاً فيما يخلص فقر شرق الجزيرة وطبيعته علاً أمام هذا التوجه فضلاً عن قوة العراق وتأثيره في اتجاهات الحراك البشري ويفسر أيضاً بأن شرق الجزيرة كان له تطوره الخاص الذي أفاد من عدم وجود عوامل إغراء لمزيد من الحراك البشري نحوه . وتدلل المعلومات المحصلة من الحقبة الأقرب إلى الإسلام خلو شرق الجزيرة من الأصنام فيبدو ان ضعف النشاط المادي للإنسان في المنطقة أدّى دوراً في اتجاه الاعتقاد الديني وهو ما سنعرض له لاحقاً .

تتسم آلهة اليمن بوضوحها فهي أسرة كوكبية وجميع الدلالات الأخرى ذات صلة بها وهذا يعكس فكرة وحدة الحياة إلى حد ما في الأقل بالنسبة لأهل اليمن الذين عبروا عن تجاوزهم نظرة الكوكب (السيد أو المتسيد) إلى الأسرة الكوكبية فهم يحتاجون إلى القمر والشمس والزهرة لأن هذه الأسرة على صلة بالخصب والراحة والأمان والاطمئنان وعدم التيه .

(٣) آلهة شرق شبه الجزيرة :

يكشف الجدول رقم (٢) فقر الحياة الدينية في شرق شبه الجزيرة فقد اختص بسبعة آلهة واشترك مع غرب الجزيرة في ست آلهة ومع اليمن باله واحد ويبدو ان عدم وجود عوامل أخرى مادية في المنطقة أثر في اتجاهات الحراك البشري نحو المنطقة ويكشف انتشار القبائل كما عرضه البكري عن ضعف التوجه نحو شرق شبه الجزيرة . وتكشف المعلومات المحصلة عن الحقبة الأقرب إلى الإسلام خلو شرق شبه الجزيرة من الأصنام ، ومع أن الحديثي [١] قد استعرض في رسالته عن اليمامة الحياة الدينية في المنطقة عموماً وثبت وجود الصنم كثرى الذي عبدته طسم وجديس وكُسر في أول الإسلام إلا أن الإشارة تبدو مفردة حتى مع الوعي برواية أبي

---

(١) نزار عبد اللطيف ، اليمامة وردة مسيلمة ، رسالة ماجستير ، (كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٧١) ، ص ١٠٦ وما بعدها .

رجاء العطاردي عن عبادة الحجر [1] ، ويعتمد الحديثي رواية جروهمان [2] عن شيوع عبادة آلهة الخصب في المنطقة في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وقد لاحظ اشتراك شرق شبه الجزيرة مع العربية الجنوبية بعبادة آلهة الينابيع ويفسر هذا ما ورد في رواية أبي رجاء العطاردي : "إذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به " [3] . وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام فالآلهة التي نسبت إلى شرق شبه الجزيرة اتسمت بغياب المعلومات عنها في الروايات وانها ذكرت مجردة من أي معلومات تفيد في فهم طبيعتها أو صفاتها وتمكن من تصنيفها .

ثانياً : التوزيع القبلي للالهة :

(١) آلهة القحطانيين :

ارتبطت القبائل في اليمن بالدول خاصة القبائل القديمة التي يصح تسميتها بالقبيلة الدولة فحملت أسماءها مثل معين وسبأ حمير وهمدان وحضرموت وقتبان وآوسان على عكس شمال الجزيرة حيث لم يظهر هذا الارتباط بين الدولة والقبيلة . وذكرت الروايات قبائل لم ترتبط بالدول لأنها ظهرت منفصلة عن تلك الدول . غير ان المعلومات التي ترتبط ببعض تلك القبائل كالأسماء مثلاً تؤشر مراحل تطور اجتماعي أقدم حتى من قبائل الدول فقضاعة مثلا لم ترتبط بدولة غير أن أسماء الجيل السابع عشر من قضاعة يعكس مرحلة مبكرة من النظام الاجتماعي كان الحيوان أساس في حياة الإنسان وربما يصح القول بأنها مرحلة الصيد (جمع القوت) [4] . بل ان احتكاك بعض القبائل بأقوام معروفة لدينا يوازي الزمن الذي حدد للدول . فالمصادر الكلاسية ذكرت قضاعة وطي بوقت مواز لدول اليمن المعروفة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ نقلا عن ابن قيم الجوزيه ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، (حيدر آباد – الدكن : المطبعة النظامية ، ١٨٨٠) ، ١ / ٣٠٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٨ نقلاً عن

Grohmann, kulturgeschichte , p. 269.

(٣) الحديثي ، اليمامة ، ص ١٠٧ نقلاً عن البخاري وابن قيم الجوزية .

(٤) انظر نسب كلب بن وبرة وأبناءه الأحد عشر في الجيل السابع عشر وجميع أسمائهم هي أسماء حيوانات ؛ ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٥٢ ؛ لوحة رقم (٨) .

[(١)] . ومعلوماتنا عن هذه القبائل تبدأ منذ زمن خروجها من اليمن أو بأوضاعها خارج اليمن مثل قضاعة والأزد وطي حتى ان غياب المعلومات عن حياة بعضها في اليمن مثل طي وقضاعة جعلت أصولها موضع خلاف بين النسابة . ويكاد يتفق الباحثون أن قضاعة هي الكتلة الأقدم فيما عرف بالقبائل القحطانية [(٢)] . كما أن تطور بنية القبيلة يؤشر أدواراً تاريخية موغلة في القدم [(٣)] . ويظهر أن هذه القبيلة تشترك مع الأزد وطي بعبادة الإله باجر [(٤)] وربما نشأ هذا الاشتراك أيام كانت قضاعة في اليمن قبل خروجها فالإله ارتبط بالاسم الأكبر للقبيلة قبل خروجها وتفرقها إلى قبائل وبطون تباعدت مساكنها . أصبحت القبيلة على تماس بالقبائل البدوية الأخرى في حافات اليمن مثل قبائل كهلان وبعض بطون قيس عيلان . وظهر أثر هذه الحقبة في اشتراك قضاعة مع قبائل يمانية مثل كهلان ولخم وجذام وعاملة وقبائل عدنانية من قيس عيلان مثل غطفان وهوازن في عبادة الإله الاقيصر [(٥)] . وعندما استقرت قضاعة في الحجاز قبل خروج الأزد نتج عن هذا الاستقرار اشتراكها مع قبائل الأزد اليمانية ومع قبيلة ربيعة العدنانية في عبادة الإله سعيدة [(٦)] . ويبدو ان هذا الاشتراك تّم في وقت ليس بعيد من زمن خروجها وانها كانت لا تزال على اتصال بموطنها القديم، لأن اشتراك الأزد معها في عبادة هذا الإله يعطي هذا الانطباع . أما في المرحلة الأخيرة من استقرار

---

(١) علي ، المفصل ، ١/٣١-٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ٤/ ٤١٥ ، ٤١٩ وما بعدها .

(٣) خضير عباس فياض الجميلي ، قبيلة الازد ودورها في شبه جزيرة العرب ، رسالة دكتوراه ، (كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٦) ، ص ٤٥ . يذكر خروج قضاعة منذ أيام ملوك حمير .

(٤) انظر الجدول رقم (١) ، تسلسل (٦) .

(٥) كانت منازل غطفان بنجد مما يلي وادي القرى وجبل طي ، أما منازل هوازن فكانت في نجد مما يلي اليمن ، البكري ، معجم ، ١٢/ ٧٨ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧) ، ٣ / ٨٨٨ .

(٦) انظر الجدول رقم (١) ، تسلسل (٣٢) .

قضاعة في الحجاز وبعد خروج الأزد من اليمن وانتشارهم في الجزيرة وتسيد خزاعة على مكة فقد أصبحت (مناة)إلهاً مشتركاً بين قبائل قحطانية وعدنانية وبضمنها قضاعة وطي [١] وانتشرت عبادته في جميع أنحاء الجزيرة العربية خلا شرقها وربما يكون هذا الاشتراك ناتجا عن مجاورة جمعت الأجيال الأولى من هذه القبائل أو مصاهرة أدت إلى انتشار عبادة هذا الإله بينها فلّما تفرقت حملت معها الإله مناة . أو ربما هو اشتراك ناجم عن قيام خزاعة بقيادة عمرو بن لحي تنظيم عبادة القبائل العربية ويرجح هذا الاحتمال اشتراك مازن من غسان وأزد شنوءة والأوس والخزرج وخزاعة من قحطان ومضر وربيعة وهذيل من عدنان في عبادة مناة .

الراجح ان الماء يأتي في مقدمة أسباب خروج الأزد من اليمن [٢] هو المياه سواء كان ذلك ناجماً عن انهيار سد مأرب أو تغيرات مناخية ترتب عليها اندثار التحضر في المنطقة التي كانت من قبل مقراً لنشاط اقتصادي زراعي . واختلفت الروايات في تحديد تاريخ ذلك الخروج ، ولعل كل ما ذكر بهذا الخصوص بقي في حدود الفرضيات والنظريات التي وضعها الرواة الأوائل وتابعهم فيها المؤرخون المحدثون [٣] . لكن المهم ان هذه القبيلة كانت في مراحلها الأولى في اليمن تشكل كتلة قبلية كبيرة ارتبطت بعبادة إلهين هما باجر وهو الإله الأقدم الموروث عن زمن سابق بدليل اشتراكها مع قضاعة وطيء في عبادته ثم الإله سعيدة مع قضاعة وربيعة . والأرجح أن هذه الشراكة تعود إلى مرحلة كانت فيها الأزد مجاورة لبني معد أول خروجها من اليمن مع اننا نجهل مكان هذه المجاورة .

أما الآلهة الأخرى التي عبدتها قبيلة الازد فيبدو ان عبادتها تعود إلى تفرّق هذه الكتلة القبلية الكبيرة وانتشارها . فقبيلة تنوخ وفيها بطن من الأزد تشترك مع ملوك الحيرة في الاله ضيزن وانتشرت عبادة الإله مناة في بطون من الأزد مثل أزد

---

(١) انظر الجدول رقم (١) ، تسلسل (٦٨) .

(٢) خضير عباس فياض الجميلي ، دور قريش قبل الإسلام ، رسالة ماجستير ، (معهد الدراسات القومية والاشتراكية – الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٦) ، ص ٤٧ وما بعدها حيث قدم أحدث متابعة تحليلية مبررة عن خروج الأزد .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ وما بعدها .

شنوءة وخزاعة والأوس والخزرج ومازن من غسان من الأزد مع كل من مضر وربيعة وهذيل من عدنان وقضاعة وسعد هذيم من قضاعة وتميز من بطون الأزد أزد السراة الذين عبدوا ثلاثة الهه من دون قبائل الآزد اثنان منها تفردوا بعبادتها وهما عائم وذو شرى الذي بقيت دوس [١] على عبادته من دون ازد السراة في زمن لاحق أما الاله ذو الخلصة فقد اشتركت في عبادته قبائل ازد السراة مع قبائل عدنانية مثل غوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وهوازن من قيس عيلان وهلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ويبدو ان هذا الاشتراك له طبيعة تحالفية نتجت عن خروج الكتلة الأكبر للقبيلة من اليمن فكان لأزد السراة حاجة لمثل هذا التحالف بعد استقرارهم في السراة عندما صعدت قبائل الآزد شمالاً لتضمن استقرارها أمام أطماع ساكنين آخرين لهذه المنطقة ، وقد لا يكون مستبعداً ان هذا التحالف حدث أيام تسيد خزاعة على مكة .

أما قبيلة طيء التي لم يكن نصيبها من المعلومات كثيراً لا فيما يخص وجودها في اليمن أو خروجها منه . فأن عبادتها للإله باجر يؤشر أثر مرحلة مجاورتها المبكرة لقبائل قضاعة والأزد [٢] بيد ان عبادة طيء للإله يغوث مع أختها مذحج وأهل جرش يرتبط بمرحلة مجهولة من مراحل إقامة طيء في اليمن علماً اننا لا نستطيع معرفة ما إذا بقي بعض من القبيلة في اليمن فعبدوا هذا الإله أم هو اله قديم عبدته طيء مع مذحج وأهل جرش لأن هناك رواية تشير إلى أن عمرو بن لحي قد دفع هذا الإله إلى مذحج فانتشرت عبادته بينهم [٣] وجيل عمرو هو الجيل العشرون أما مذحج فهي في الجيل (الحادي عشر) وليس لدينا إشارة في أي جيل خرجت طيء من اليمن ، ومع ذلك فهذه الرواية تتحدث عن علاقة خزاعة بمذحج

---

(١) كانت دوس تسكن في السراة أيضاً ؛ البكري ، معجم ، ١/ ٥٨ ؛ كحالة ، معجم ، ١ / ٣٩٤ .

(٢) كحالة ، معجم ، ١/ ١٥ وما بعدها .

(٣) أبو منذر هشام بن محمد بن السائب بن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٢٤) ، ص ٥٧ .

وعلاقة لقبيلة طيء بمذحج وخزاعة نجهل ظروفها . خرجت طيء من اليمن وكانت على ما يبدو على علاقة مع قبيلة تميم في بادئ الأمر نجهل طبيعتها بدليل اشتراكهما في عبادة الإله عبد رضى . ثم عبدت طيء الإله ود في مرحلة لاحقة مع قبائل قحطانية مثل لخم من كهلان والخزرج من الأزد وكلب بن وبرة من قضاعة وقبائل عدنانية مثل هذيل بن مدركة بن الياس فضلاً عن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس [١] . ثم عبدت القبيلة الإله فلس والإله يعبوب وهما الهان انفردت بعبادتها وهي عبادة تعكس لنا مرحلة متأخرة من مراحل تحرك القبيلة واستقرارها وابتعادها عن الكتلة الأم والقبائل الأخرى دفعتها إلى الانفراد بعبادة آله محلي أو قبلي وهي حالة جديدة في حياة القبيلة تعكس مرحلة تناثر أوجدت تعدد آلهة .

تثير المرحلة الجديدة في حياة طيء سؤالاً عن الموضع الذي حصل فيه هذا التطور ؟ فهذه القبيلة كانت عند ظهور الإسلام في (أجا وسلمى) جبلي طيء وامتدت شرقاً إلى شرق الجزيرة لتجاور تميم وتحل محلها في الكثير من الأراضي وتغلبت على نطاق من الأرض يقع بين غرب الجزيرة وشرقها من طرفها الشمالي ، ويبدو انه كان ممراً للطريق التجاري بين جرها في الخليج العربي واللحيانين على ساحل البحر الأحمر الشمالي [٢] ، وكان لقبيلة طي وقبيلة تميم استقرار قديم وخفارة لطريق التجارة وربما يكون التطور في المعتقدات الدينية للقبيلتين تطوراً متناغماً يعكس حالة تعايش مشترك على الطريق يرجع إلى ذلك الزمن المبكر فعبدت القبيلتين الإله (عبد رضى) وهو إله شمالي ورد في النقوش الثمودية والصفائية [٣].

ومن الكتل القبلية القحطانية قبيلة الأزد وتهمنا من هذه الكتلة قبيلة خزاعة ، فقد كان لها وضع خاص . فعلى الرغم من انها جزء من كتلة الأزد الأكبر إلا انها تميزت بخصوصية ربما لأنها سكنت مكة وربما لسبب نجهله ولكن يبدو لاختيارها السكن في مكة أثره في تطور القبيلة فسيطرتها على مكة وضعت بيدها مسؤولية

---

(١) انظر الجدول رقم (١) ، تسلسل (٧٧) .

(٢) كحالة ، معجم ، ٢ / ٦٨٩ .

(٣) البشاشة ، الإله ، ص ٢٤ – ٢٧ .

ولاية البيت وحجابته ، غير ان مصالحها في مكة دفعتها لتطوير وضع مكة من خلال تطوير دورها الديني . لقد كانت مكة بيت إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليه السلام ، وهي مركز عبادة التوحيد حسب الرواية الدينية عندما دخلتها خزاعة وانتزعت السيطرة عليها من جرهم بمساعدة أبناء إسماعيل عليه السلام الذين كانوا يطمحون إلى إقصاء أخوالهم جرهم الذين انفردوا بمكة وأخلوا باتفاقهم مع هاجر [١] . ومعلوماتنا عن عبادة هذه القبيلة فيها نظر فهي لم تشترك مع الكتلة الأم (الأزد) في عبادة أي اله ولدينا إشارة واحدة إلى اشتراكها مع دوس في عبادة الإله ذو الكفين ودوس قبيلة من ازد شنوءة من الجيل العشرين وهو جيل عمرو بن لحي الخزاعي والأرجح ان هذه المشاركة تعود إلى مدة استقرارها في سراة الأزد . وعلى العكس من علاقتها بالأزد نجد خزاعة تشترك مع قريش في عبادة أساف ونائلة وهما إلهان موروثان عن جرهم أيام كانت في مكة [٢] .غير أن وضع خزاعة لا يُناقش على أساس انها قبيلة شأنها شأن قبائل العرب فخزاعة في عهد سيدها عمرو بن لحي أدخلت عبادة الأصنام إلى مكة حسب الروايات [٣] ، ومن ثم فأيا تكون أهداف عمرو من هذا الأجراء فانه يدعونا إلى ان ننظر لخزاعة من خلال كل الأصنام التي أدخلتها والوقوف على دوافعها من هذا الإجراء ، فعملية الجمع هذه كانت تهدف أساساً إلى تعظيم نفوذ مكة وزيادة أهميتها وجعلها مثابة مشتركة لكل العرب تستخدم أساساً لتأسيس نظام عربي واحسن عناصر هذا التأسيس هو الدين ، وتطوير أهمية مكة من وجهة نظر عمرو بن لحي يتم بجعلها بيت الله وبيت لإلهة العرب في آن معاً . وهو إجراء ربما يذكّر بوحدة الجوهر في عبادة هذه الإلهة التي يغلب عليها طابع الصفات أكثر من كونها آلهة مستقلة .

---

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٩٦ – ١٠٠ .

(٢) محمود سليم الحوت ، في الطريق إلى المثيولوجيا (بحث مسهب في المعتقدات والأساطير العربية قبل الإسلام) ، ط٢ ، (بيروت : دار النهار ، ١٩٧٩) ، ص ٥٤ .

(٣) أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ) ، السيرة النبوية ، تقديم طه عبد الرؤوف سعد ، (القاهرة : شركة الطباعة المتحدة ، ١٩٧١) ، ١/١٠٠ .

أدخل عمرو بن لحي عبادة هبل وحسب الروايات جاء به من مآب في أرض البلقاء وقيل غير ذلك [1] . وحسب رواية ابن إسحاق في الأزرقي وزع الأصنام الأخرى على القبائل ومنها مناة [2] . غير ان الواقع التأريخي شيء آخر فمناة ظهر لدى مضر وربيعة ابني نزار بن معد بن عدنان في الجيل الحادي عشر ومازن من الأزد وقضاعة في نفس الجيل وانتشر في هذيل المضرية في الجيل الرابع عشر ثم في الجيل السابع عشر ظهر عند خزاعة وسعد هذيم ثم الأوس والخزرج فجميع القبائل عرفت عبادته قبل ظهور خزاعة [3] . كما ان الإله هبل حسب الروايات يعود لخزيمة بن مدركة وهو من الجيل الرابع عشر بينما خزاعة من الجيل السابع عشر [4] .

عبدت خزاعة آلهة مشتركة مع قبائل متعددة قحطانية وعدنانية وهو ما يرجح الاحتمال بأنها ناتجة عن متغيرات مستجدة في حياة خزاعة بعد تفرق الأزد واستيلائها على مكة وخير مثال على ذلك مناة والعزى اللذان انتشرت عبادتهما

---

(١) ابن هشام ، السيرة ، ١ / ١٠١ .

(٢) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٢٤ –١٢٥ .

(٣) انظر اللوحة رقم (١) .

(٤) انظر اللوحة رقم (٢) ؛ ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٢٨ .

(١) مازن (غسان) :

لم ترد إشارة عن زوجته وأمه .

(٢) قضاعة : أمه معانة بنت جوشن بن جلهمة بن عمرو بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم . تزوج مليكة بنت الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب وعزمد بنت الغافق بن الشاهد بن عك بن عدنان .

(٣) ربيعة : أمه الجذالة بنت وعلان بن جوشن بن جلهمة بن عمرو بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم . تزوج أُم الأسبع بنت الحاف بن قضاعة .

(٤) مضر : أمه سودة بنت عك بنت الديث بن عدنان تزوج من رباب بنت حيدة بن معد بن عدنان .

(٥) هذيل : أمه سلمى بنت اسلم بن الحاف بن قضاعة تزوج ليلى بنت فران بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٦) أزد شنوءة :

لم ترد إشارة عن زوجته وأمه .

(٧) حارثـة : تـزوج بنـت اد بـن طابخـة بـن آليـاس بـن مضـر لـم تـرد إشـارة عن أمه .

(٨) سعد هذيم : أمه عاتكة بنت مر بن أد بن طابخة بن آلياس بن مضر تزوج بنت اد بن طابخة بن الياس بن مضر .

(٩) و(١٠) الأوس والخزرج :

أمهما قيلة بنت الأرقم بن عمر بن جفنة بن عمرو بن عامر وقيل ان قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد هذيم بن زيد من قضاعة . تزوج الخزرج من بنت عامر الغطريف الأزدي وبنت علي بن قيس الغساني .

(١) كنانـة : أمه عوانة بنت سعد بن قيس وقيل هند بن عمرو بن قيس عيلان .

تزوج من برة بنت مر أخت تميم بن مر والذفراء وهي فكيهة بنت هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٢) و (٣) مالك وملكان :

أمهما برة بنت مر أخت تميم بن مر وزوجة مالك جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي ولم ترد إشارة عن زوجة ملكان.

(٤) بكر : أمه هند بنت بكر بن وائل بن قاصد . تزوج من أم خارجة والصحارية من قضاعة .

(٥) قريش : أمه جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي . تزوج من ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر .

(٦) عمرو بن لحي :

أمه فهيرة بنت عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي . تزوج من تماضر بنت الحارث بن ثعلبة بن دودان بن اسد ورهم بنت كاهل بن اسد وأم خارجة بنت سعد بن عبد الله بن قداد البجلية .

في قبائل الأزد (مازن ، شنوءة) وقضاعة ومضر وربيعة وهذيل والأوس والخزرج ولخم وكنانة وقريش وغطفان وباهلة وسليم وسعد وثقيف وجشم ونصر [١] . ولم تظهر لنا آلهة خاصة بخزاعة تربطها بالأزد خلا ذو الكفين الذي اشتركت في عبادته مع دوس (أزد شنوءة) وأغلب الظن انه يعود لزمن استقرارها في مكة حيث أصبحت ترتبط مع دوس في ديار أزد شنوءة أي السراة في نوع معين من المصالح ذات الطابع الاقتصادي السياسي . ان عدم وجود آلهة تربط خزاعة بالأزد ربما يكون معززاً أيضاً للرأي القائل أنها تنتسب إلى أبناء إسماعيل وهي قضية لا يمكن بحثها الآن وأكتفي بما توصل له الدكتور الجميلي [٢] .

---

(١) انظر الجدول رقم (١) ، تسلسل ٦٨ ، ٤٨ .

(٢) الجميلي ، الأزد ، ص ١١ هامش (٥) ، ص١٢ هامش (٢) .

أما نهم فهو إله عبدته مزينة ومساكنها بين يثرب ومكة وعبدته أيضاً بجيلة وهي من أزد السراة جنوب مكة ، كما عبدته خزاعة وهو إله حلف تجاري على أكثر تقدير لأن كلا القبلتين تقعان على الطريق المؤدية إلى مكة (١) .

(٢) آلهة العدنانيين :

ينتسب عرب الشمال أو العدنانيون إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، فهم موحدون يدينون بدين أبيهم إسماعيل وجدهم إبراهيم عليهما السلام ويسكنون حول مثابة عُرفت فيما بعد (مكة) . غير ان هذا لا يفسر تطور المعتقدات الدينية لهذه المجموعة فرواية ابن اسحاق تشير إلى ان أبناء إسماعيل استبدلوا بمرور الزمن دين الأباء بعبادة الحجارة التي كانوا يحملونها معهم من الحرم في صنعتهم والتماسهم البلدان ، من دون ان يمنعهم ذلك من تعظيم بقايا دين الآباء مما كانوا يتمسكون به (تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفه والمزدلفة وهدي البدن والاهلال بالمناسك) (٢) وأول إشارة لأقدم صنم عبده ُ أبناء إسماعيل ارتبطت بخزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (٣) وكان يعبد هبل (٤) . غير ان هذا لا يفيد في تحديد تطور المعتقدات الدينية للمجموعة الشمالية من القبائل العربية . فالتوزيع القبلي للآلهة يظهر لهذه القبائل معتقدات أقدم . وان فهم هذه المعتقدات يحتاج إلى الوقوف على التطور التأريخي لهذه القبائل وتحديد مكان نشأتها والحيز الجغرافي الذي تحركت فيه .

---

(١) انظر الجدول رقم (١) ، تسلسل (٧٣) .

(٢) ابن هشام ، السيرة ، ١ / ١٠١ .

(٣) خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . أمه سلمى بنت أسلم بن الحاف بن قضاعة وقيل بنت السيد بن الحاف وزوجته عوانه بنت سعد بن قيس عيلان ويقال هند بنت عمرو بن قيس عيلان وكانت منازلهم في تهامة وما والاها من البلاد ؛ انظر ابن الكلبي ، نسب ، ١/ ٦ ؛ البكري ، معجم ، ١/ ٨٨ .

(٤) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٢٨ .

لقد رفض المسلمون روايات النسابة عما قبل عدنان التزاماً بحديث شريف [١] . وما زالت معلوماتنا عن أبناء عدنان تعتمد على الروايات على الرغم من ورود ذكر لأبناء عدنان في النقوش مثل معد ونزار [٢] ، إلا أن عدنان نفسه لم نجد له نقشاً يعزز رواية وجوده ، وحتى النظام القرابي لأبناء عدنان غير واضح والروايات المتوفرة لا تخدم هذا الهيكل العمودي لنسب العدنانيين .

أثبت النسابة من أولاد أدد بن زيد بن عدنان ونبت (الأشعر) [٣] . ومن عدنان اهتم النسابة بولديه معد والديث [٤] . ومن معد اهتموا بنزار بن معد وحيدة وسنام والقحم [٥] . ثم ركز النسابة اهتمامهم بأولاد نزار وأخذت قاعدة معلوماتهم تتسع حيث تابعوا عمود النسب في مضر من ولديه الناس (قيس عيلان) والياس (خندف) وفيهم يبدأ التفرع الواسع إلى قبيلتين كبيرتين ومن عدنان إلى قصي ذكر النسابة سبعة عشر جيلاً وأوردوا روايات عن زيجاتهم يظهر منها أن أبناء عدنان

---

(١) أخبرنا محمد بن حبيب عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال : " كان رسول الله ﷺ إذ انتهى في النسب إلى معد بن عدنان امسك ثم قال وكذب النسابون " . وقرأ : ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ ؛ ابن الكلبي ، جمهرة ، ١ / ١ ؛ خليفة بن خياط العصفري البصري (٢٤٠هـ) ، الطبقات ، تحقيق سهيل زكار ، (دمشق : مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، ١٩٦٦) ، ١/ ٨ ؛ القلشندي ، نهاية ، ص ٣٥٢ ؛ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العاصمي الشافعي المكي (ت ١١١١هـ) ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، تحقيق الشيخين أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨) ، ١٩٤/١ ؛ فاضل الربيعي ، شقيقات قريش (الأنساب ومائدة الطعام والزواج عند العرب) ، جريدة القدس العربي ، لندن ، (العدد ٤٠٧٠ ، ١٨ / ٦ / ٢٠٠٢) ، ص ١٣ .

(٢) علي ، المفصل ، ٤/ ٥٣٩ .

(٣) هناك اختلاف في نسب الأشعر وقد نسب إلى القحطانية ؛ ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٩٧ ؛ القلقشندي ، نهاية ، ص ٤١ ، ١٦٨ .

(٤) ولد الديث الحارث وهو عك ؛ ابن الكلبي ، جمهرة ، ١/ ٢ .

(٥) ابن الكلبي ، الأصنام ، ١/ ٤ ؛ انظر لوحة رقم (٣) .

كانوا على صلة بقبيلة جرهم حيث تزوج أبناء القبيلة من الأجيال الثاني والرابع والعاشر نساء جرهميات . كما تظهر مجاورة القبيلة مع عك حيث ظهرت زيجتان مبكرتان في الجيل الثالث والجيل الخامس من أولاد عدنان وجميع هذه الزيجات في خط معد بن عدنان الذي يتفرع إلى ثلاثة تفرعات بقيت متقاربة بدليل زواج مضر بن نزار من الجيل الرابع من الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان من الجيل الرابع أيضاً [1] . أما بعد ذلك فتبقى المجاورة قائمة بين تفرعات ذرية معد الثلاثة ولكن المجاورة الأقوى كانت مع قضاعة وهي قبيلة من خارج النسب العام حيث ظهرت زيجتان من قضاعة فرع الحاف . فتزوج الياس بن مضر وابنه مدركة بن الياس وهما في الجيل الخامس والسادس من ذرية عدنان من نساء قضاعيات [2]. وتظهر ثلاث زيجات في الجيل السابع أحدها فرع من فروع قضاعة عندما تزوج

---

(١) انظر لوحة رقم (٣) .

(٢) زوجة الياس خندف وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وزوجة مدركة سلمى بنت أسلم بن الحاف بن قضاعة وليلى بنت السيد بن الحاف بن قضاعة . ابن الكلبي ، جمهرة ، ١ / ٥ – ٦ .

(١) **معد:** زوجته معانة بنت جوشم ابن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم .

(٢) **نزار**: زوجته سودة بنت عك بن الديث بن عدنان .

(٣) **مضر**: زوجته الرباب بنت حيدة بن معد .

(٤) **ربيعة**: زوجته أُم الأسبع بنت الحاف من قضاعة .

(٥) **الياس**: زوجته خندف وهي ليلى بنت حلوان القضاعية .

(٦) **أسد**: زوجته مريهة بنت عمران بن الحاف القضاعية .

(٧) **مدركة**: زوجنه سلمى بنت أسلم بن الحاف القضاعية أُم خزيمة وهذيل .

(٨) **عمرو**: زوجته جديلة بنت مر بن أد .

(٩) **هذيل:** زوجته ليلى بنت فران بن بلي القضاعية .

(١٠) **خزيمة:** زوجته عوانة بنت سعد بن قيس عيلان وقيل هند بنت عمرو بن قيس عيلان .

(١١) **كنانة:** زوجته فكيهة بنت هني بن بلي القضاعية .

(١٢) **النضر:** زوجته عكرشة بنت عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان .

(١٣) **تميم:** زوجته صفية بنت القين بن جسر القضاعية .

(١٤) **زيد مناة:** زوجته رقاش بنت كبير القضاعية .

(١٥) **مالك:** زوجته جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي .

(١٦) **محارب:** زوجته ليلى بنت عدي بن عمرو بن ربيعة من خزاعة .

(١٧) **غالب:** زوجته عاتكة بنت يخلد بن النضر وقيل سلمى بنت عمرو بن ربيعة بن حارثة بن خزاعة .

(١٨) **حنظلة:** زوجته أُسية بنت عمرو من بني وبرة من قضاعة .

(١٩) **شيبان:** زوجته دعد بنت منقذ بن غاضرة بن حبيشة بن كعب بن خزاعة .

كنانة بن خزيمة من فكيهة بنت هني بن بلي [١] ، وتستمر الزيجات من قضاعة فتزوج أسد بن خزيمة وهو من (الجيل الثامن) من قضاعة وتزوج زيد مناة بن تميم وهو من (الجيل العاشر) من قضاعة وتزوج ابنه حنظلة وهو من (الجيل الثالث عشر) من قضاعة أيضاً وتزوج لؤي بن غالب وهو من (الجيل الثالث عشر) من امرأة قضاعية من فرع وبرة بن تغلب [٢] .

تفرع أبناء مضر إلى قبيلتين كبيرتين هما خندف (مدركة وطابخة وقمعة) بنو الياس بن مضر. وقيس عيلان بن مضر ويبدو ان هذا الانقسام لم يظهر في شكل

---

(١) وتزوج أد بن طابخة من قضاعة وتزوج خصفة بن قيس عيلان من ريطة بنت وبرة أخت كلب وهي من قضاعة . ابن الكلبي ، جمهرة ، ١ / ٢٧١ ، ٢ / ١ .

(٢) انظر لوحة رقم (٣) .

تباعد جغرافي حتى الجيل التاسع . فقد تزوج خزيمة بن مدركة من (الجيل السابع) والنظر بن كنانة من (الجيل التاسع) من نساء من قيس عيلان [١] . بيد ان التباعد الجغرافي حدث بعد الجيل التاسع حيث اختفت الزيجات المتبادلة وبدءاًمن كنانة تبدأ الزيجات في أبناءه من نساء من خندف لا سيما من بنات مر بن أد وهذيل بن مدركة بن الياس [٢] .

تظهر بدءاًمن الجيل الثاني عشر زيجات من إحدى كتل الازد الكبيرة (خزاعة) . فقد تزوج بنو الحارث ومحارب ابني فهر من نساء خزاعيات قبل نزول خزاعة في مكة . وتظهر الزيجات في الجيل السادس عشر من الكتلة الأم (الأزد) أي ان التماس بين قريش وخزاعة سبق التماس بينهما وبين الكتلة الأم (الأزد) كما أنه سبق زيجة قصي وأخيه زهرة من خزاعة [٣]. ولنا أن نفترض ان ذلك سبق نزول خزاعة في مكة مما يضعنا أمام مسؤولية البحث عن مكان آخر للمجاورة بين القبيلتين .

تطرح هذه العلاقات تساؤلات كثيرة لعل أهمها ما يتعلق بالجوار بين قريش والقبائل القحطانية لا سيما وان قبائل خندف الثلاثة بقيت متجاورة إلى مدة طويلة حتى الجيل التاسع بدليل الزيجات . فقد تزوج خزيمة برة بنت مر ثم خلف عليها كنانة بن خزيمة وولدت له النظر ومالك وملكان [٤] . كما تزوج عمرو بن قيس عيلان من جديلة بنت مر [٥] . أما بعد ذلك فتختفي هذه العلاقة والراجح ان ذلك يعود إلى تفرق هذه الكتلة ، وظاهرة بنات مر الخمس ملفتة للنظر فقد تزوجن في كنانة وفي وائل وانجبن بكر وتغلب [٦] . وفي قيس عيلان وأنجبن غطفان واعصر

---

(١) زوجة خزيمة عوانة بنت سعد بن قيس عيلان وزوجة النظر بن كنانة عكرشة بنت عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان . ابن الكلبي ، جمهرة ، ١/ ٦ ، ٨ .

(٢) ابن الكلبي ، جمهرة ، ١ / ٧ ، ٩ .

(٣) الجميلي ، قريش ، ص ٢١٩ . (ملحق ٥) .

(٤) ابن الكلبي ، جمهرة ، ١ / ٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ٢ / ١٠٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ٢ / ١٩٣ .

[1] . وفي خصفة وأنجبن سليم وسلامان [2] . وفي قيس عيلان وأنجبن فهم وعدوان ابني عمرو بن قيس [3] وفي قضاعة وأنجبن سعد هذيم [4] والراجح ان هذه الزيجات تعكس مجاورة سبقت تفرق هذه القبائل أيضاً .

يمكن القول أن دراسة الزيجات تصلح كمحاولة لمعرفة ما إذا كانت المصاهرة تعكس مجاورة جغرافية أو نظاماً اجتماعياً لم نعرفه حتى الآن ولأن هذه المصاهرات قد تفيد في انتقال الآلهة وشيوع عبادتها فاننا سوف نركز على ديانة قضاعة وعلاقاتها ببنات قضاعة اللواتي تزوجن في معد .

تمتلك قضاعة ستة آلهة ، منها مناة وسعيدة . والزيجات توضح الكيفية التي انتقلت بها عبادة هذه الإلهة إلى القبائل الأخرى . فعبادة الإله (سعيدة) ظهرت في الجيل العاشر من قحطان وقضاعة من الجيل الحادي عشر وهو انتشار طبيعي ناجم عن المجاورة واستمرار عبادته في بني سعد هذيم أمر طبيعي لأنه من أبناء قضاعة فهو سعد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن قضاعة [5] . لكن انتشاره في ربيعة العدنانية التي تقابل في نسبها الجيل الحادي عشر من قحطان هو الأمر الغامض فكيف انتقل هذا الإله إلى ربيعة ؟ تكشف الزيجات أن ربيعة تزوج من أم الاسبع بنت الحاف بن قضاعة [6] وربما هذه هي الطريقة المحتملة لانتقال عبادة الإله سعيدة إلى ربيعة وهو تعزيز لأواصر مجاورة أو قد تكون محالفة على أكثر تقدير [7] .

أما انتشار عبادة مناة فتعطي صورة أوضح فإذا استثنينا مازن من الأزد المجاورة لقضاعة نجد انتشار عبادة مناة في ربيعة العدنانية الذي تزوج أم الأسبع

---

(١) المصدر نفسه ، ٢ / ١٠٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ١ .
(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ١٨٢ .
(٤) ابن الكلبي ، نسب ، ٣ / ١٥ .
(٥) ابن الكلبي ، نسب ، ٣ / ١٥ .
(٦) ابن الكلبي ، جمهرة ، ٢ / ١٩٢ .
(٧) لوحة رقم (٤) .

بنت الحاف بن قضاعة من الجيل الحادي عشر من قحطان ومضر أخو ربيعة . واستمرت عبادته في خط نسب مضر إلى هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وأمه هي سلمى بنت أسلم بن الحاف بن قضاعة وهي من الجيل الرابع عشر من قحطان وتزوج من ليلى بنت فران بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة [١] من الجيل السادس عشر واستمرت عبادة هذا الإله في سعد هذيم من الجيل السابع عشر من قضاعة ثم في الجيل التاسع عشر عند الأوس والخزرج وأمهم قيلة ابنة كاهل بن عذرة بن سعد بن هذيم من قضاعة [٢] . ان مثل هذا الارتباط بين عبادة إله ما وزيجات بين قبائل عدنانية وقحطانية ذات علاقة أساسها المصاهرة يُعطي فكرة واضحة لكيفية انتقال المعتقدات الدينية وتأثيرها في نواحي الحياة الأخرى .

أما الإله باجر الذي عبدته قضاعة والأزد وطيء ، فالروايات عن الزواج تشير إلى أن طيء تزوج من عدية بنت مرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن

---

(١) ابن الكلبي ، جمهرة ، ١ / ٦ ، ١٨٨ .

(٢) ابن الكلبي ، نسب ، ٢ / ٨ .

(١) الازد :

لم ترد إشارة عن زوجته وأمه .

(٢) قضاعة :

أمه معانة بنت جوشن بن جلهمة بن عمرو بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم . تزوج من مليكة بنت الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب وعزمد بنت الغافق بنت الشاهد بن عك بن عدنان .

(٣) ربيعة :

أمه الجذالة بنت وعلان بن الجوشن بن جلهمة بن عمرو بن عدي بن دب بن جرهم . تزوج من أم الاسبع بنت الحاف بن قضاعة .

(٤) سعد هذيم :

أمه عاتكة بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر .

قضاعة [١] ، فهل يمكن ان تكون عبادته انتقلت بين القبيلتين عن طريق الزواج رغم ان هذا حسب الأجيال يعد مستحيلاً فعدية من الجيل التاسع عشر بينها وبين طيء تسعة أجيال بمعنى ان هناك فرق مائة وثمانون سنة [٢] بين طيء وعدية كذلك الإله ود فطيء أول من انتشرت فيها عبادة هذا الاله وهو إله قضاعي على ما يبدو واستمر في نسل قضاعة في قبيلة كلب بن وبرة وانتقل إلى هذيل بسبب أمه وزوجته القضاعيتان ثم انتشر في الخزرج وأمه أيضاً قضاعية وتستثنى لخم من هذه القاعدة إذ ليست لها علاقة زواج من قضاعة . يعطي الإله ود فكرة عن آلهة اندثرت

---

(١) ابن الكلبي ، نسب ، ١ / ١٧٩ .

(٢) بحساب الجيل ٢٠ سنة .

عبادتها في القبيلة الأم واستمرت في أحد فروعها لكن الزيجات أعطتنا فكرة عن عبادة مثل هذا الإله في القبيلة الأم وربما الإله ود أيضاً انتقل إلى تميم خاصة إذا عرفنا أن أُم تميم وهي صفية بنت القين بن جسر بن شيع الله بن اسد بن وبرة من قضاعة [١] . ويعطي سواع صورة أوضح للموضوع فقد انتشرت عبادته لدى همدان القحطانية أما انتشاره في القبائل العدنانية فهو أمر ملفت للنظر ويبدو أنه إله قضاعي انتشر في هذيل بسبب علاقة هذيل بقضاعة وانتشر في كنانة وهو زوج الذفراء القضاعية وانتشر في مزينة وزوجته قضاعية بنت كلب بن وبرة [٢] ، وانتشر بزواج داخلي بين أبناء عدنان في عمرو وسليم من قيس عيلان وكلاهما تزوج من بنات مر بن أد وهو أخو مزينة وزوجة مزينة قضاعية [٣] . وتكشف هذه الروايات كيف ان الإله سواع إله قضاعي اندثرت عبادته في الكتلة الأم استمر في القبائل العدنانية وهي حالة تكشف نوعاً من التأثير الناتج عن مجاورة في زمن معين من حياة هذه القبائل قد تكون مجاورة جغرافية وقد تكون بسبب حلف وقد تكون بسبب مصاهرة وهي الفرضية التي لها سندها في واقع هذه القبائل .

لقد دفع عمرو بن لحي بسواع إلى الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل من الجيل السادس عشر [٤] ، وهي إشارة تحدد مكانة القبيلة في سياسة عمرو بن لحي . ولاحظنا كيف اشترك في عبادته مع هذيل أبناء عمومتهم كنانة ، وشاعت عبادة هذا الإله في أولاد مضر خارج الحرم وهم مزينة وسليم وعمرو بن قيس عيلان [٥] . لكن يبقى السؤال لماذا اشتركت همدان مع القبائل العدنانية في الإله سواع . ويطرح السؤال نفسه في حالة اشتراك هذيل مع قبائل عدنانية وقحطانية في عبادة ود ومناة .

---

(١) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٥٣ – ٤٥٤ .

(٢) ابن الكلبي ، جمهرة ، ١ / ٤٠١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٥٧.

(٥) انظر اللوحة رقم (٥) .

وبعيداً عن أثر المجاورة امتلكت كنانة خمسة معبودات واحد خاص بمالك وملكان ابني كنانة وهو الإله سعد الذي ظهر في اسماء بني معد من الجيل السابع وحتى لجيل السابع عشر من بني عدنان مبتدئاً بفرع مضر في الجيل السابع ثم في الجيل التاسع في فرعي أياد وربيعة وهذا الاله له علاقة بالقدر وقد ظهر مرتبطاً به في اسم سعد مناة بن مالك بن باهلة وهو في الجيل العاشر من العدنانية فرع قيس بن عيلان بن مضر . ويطلق على أربعة منازل ينزل بها القمر . ان قدم هذا الإله يحدد ظهوره في بني معد بن عدنان نتيجة مجاورة لعك بن عدنان على الأرجح حيث تزوج نزار بن معد بنات عك سودة وشقيقة . أما أهم معبودات كنانة فهو الإله هبل الذي يعود إلى خزيمة بن مدركة الذي انتشرت عبادته بين أولاد ابنه كنانة مالك وملكان وبكر بن عبد مناة بن كنانة وقريش بن مالك بن النظر بن كنانة واختصوا به [1] .واشتركت كنانة شأنها شأن جميع أولاد مضر في العزى فظهر في الجيل الخامس عشر عند كنانة وغطفان بن سعد بن قيس عيلان. وانتشرت عبادته في ست قبائل يرجع نسبها إلى قيس عيلان وهم كل من باهلة وسليم في الجيل السابع عشر وسعد في الجيل التاسع عشر وثقيف وجشم نصر في الجيل العشرين واستمر في أولاد كنانة متمثلاً بقريش في الجيل الثامن عشر

---

(١) انظر اللوحة رقم (٢) .

(١) اوسلة همدان :

لم ترد إشارة عن زوجته وأمه .

(٢) عمرو :

أمه غمرة بنت الياس بن مضر . تزوج من جديلة بنت مر بن أد .

(٣) هذيل :

أمه سلمى بنت أسلم بن الحاف بن قضاعة . تزوج من ليلى بنت فران بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٤) كنانة :

أمه عوانة بنت سعد بن قيس وقيل هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان . تزوج من برة بنت مر أخت تميم بن مر والذفراء وهي فكيهة بنت هني بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٥) مزينة :

وهو عمرو . تزوج من مزينة بنت كلب بن وبرة .

(٦) سليم :

أمه تكمة بنت مر بن أد . تزوج من العصماء بنت بهثة بن غنم بن غني .

بالاشتراك مع خزاعة [١] . أما الإله يعوق فاشتركت كنانة في عبادته مع كل من قبيلة همدان وخولان وهو تفسير منطقي لمجاورة كنانة لهذه القبائل .

ومن الكتل القبلية الشمالية كتلة مر بن أد وقد لاحظنا أثر بنات مر الخمس في القبائل من خلال زيجاتهم التي تعكس طوراً تأريخياً في تطور النظام الاجتماعي ليس من السهل تفسيره فإذا أردنا أن نتقمص طبيعة الزمن الذي نشأت فيه هذه الزيجات فهي تشبه طبيعة عائلة من عدد من الأزواج تزوجوا من بنات عائلة قريبة

---

(١) انظر اللوحة رقم (٦) .

لهم غير أن الصورة معكوسة . فبنات عائلة معينة هن اللاتي تزوجن من أشخاص نجهل علاقاتهم القرابية بدقة نموا وأصبحوا فيما بعد قبائل جمعها النسابة في أب واحد (تميم بن أو بنت مر) ليصبح جد لقبيلة كبيرة فالمجاورة في طورها الأول هي بيئة التأثير في حالة وجوده وهو ما يجب أن نبحث عنه أما الأخ الوحيد لهؤلاء الأخوات فهو أو (هي) جد لكتلة قبلية هي تميم التي اختلف النسابة في جنسها فقالوا تميم بن مر وقالوا بنت مر ودلالته اللغوية التعوذ من الآفات وقيل الإجابة إلى الشيء وقيل هي اسم ليلة من ليالي الشتاء يكون فيه الليل أطول ما يكون حتى تظهر فيه كل النجوم وكان الرسولﷺ يوليه اهتملاً أكثر من غيره وقيل طولها ثلاث عشرة إلى خمس عشرة ساعة حيث يتم فيها القمر[(١)] ، وتميم قبيلة من الجيل التاسع من بني عدنان [(٢)] ، لم يدرس تطورها التأريخي فهي في الأصل تفرعت من مر بن اد وأباه اد بن طابخة من خندف وقيل ان تميم كانت تعرف في القديم جؤثة [(٣)] وإذا أخذنا هذه الروايات في الحسبان فانها تؤشر مراحل تطور في حياة القبيلة إلى أن انفصلت واستقلت باسمها ويغلب على أسماء المراحل الأساسية في تطورها طابع ديني فاد بن طابخة اشتق اسمه من الإله (أد)

---

(١) ابن منظور ، لسان ، ١٢ / ٦٧ – ٧١ .

(٢) لوحة رقم (٣) .

(٣) ابن منظور ، لسان ، ٢ / ١٢٦ .

(١) مضر : أمه سودة بنت عك بنت الديث بن عدنان تزوج من رباب بنت حيدة بن معد بن عدنان .

(٢) لخم : أمه رقاش بنت همدان . لم ترد إشارة إلى زوجته .

(٣) كنانة : أمه عوانة بنت سعد بن قيس وقيل هند بن عمرو بن قيس عيلان . تزوج من برة بنت مر أخت تميم بن مر و الذفراء وهي فكيهة بنت هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة

(٤) غطفان : أمه تكمة بنت مر . تزوج من أسيلة بنت عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٥) باهلـة : وهو مالك أمه باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة . تزوج من هند بنت شباب بن عبد الله بن غطفان .

(٦) سـليم : أمـه تكمـة بنـت مـر بـن أد . تـزوج مـن العصـاء بنـت بهثـة بـن غنم بن غني .

(٧) قريش : أمه جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي . تزوج من ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة .

(٨) عمرو : أمه غمرة بنت الياس بن مضر . تزوج من جديلة بنت مر بن اد .

(٩) سعد : أمه بنت عوذ مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن أياد . تزوج من بنت عامر بن الضرب .

(١٠) ثقيف : أمه أميمة بنت سعد بن هذيل . تزوج من زينب وأميمة بنتي عامر بن الضرب العدواني .

(١١) جشم : أمه مليكة بنت جشم بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل . لم ترد إشارة عن زوجته .

(١٢) نصر : أمه رقاش بنت ناقم وهو عامر بن جدان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . تزوج من بنت عامر بن الضرب .

أو (أدد) كما ان أحد أبرز معبوداتها هو الإله (تيم) والتيم الاستعباد ومنه اشتق تيم الله اسم لحي من بكر وهو تيم الله بن ثُعلبة بن عكابة ، وتيم الله في النمر بن قاسط وتيم في قريش وتيم بن غالب بن فهر وتيم بن عبد مناة بن اد بن طابخة وتيم بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة وتيم بن ضبة وتيم اللات في ضبة وفي الخزرج وفي طي واللات اسم للشمس والشمس أبرز آلهة تميم عبدته منذ كانت في نجد [1] عبدت

---

(١) ابن منظور ، لسان ، ١٢ / ٧٥ .

تميم أربعة آلهة ارتبطت بجد الكتلة نقلتها معها إلى شرق الجزيرة فأدخلت في المنطقة متغيراً رفع عدد آلهة المنطقة إلى ثلاثة عشر . بمعنى آخر أن قرابة الربع من الإلهة في شرق الجزيرة مصدرها تميم . وألهتها تقدم بعض المعلومات عن تطور بنية القبيلة التي انتقلت من نجد إلى شرق الجزيرة . ففي موطنها الأول (نجد) كان إله الكتلة الأم (تميم) معبودهم القبلي شمس . والإله شمس هو أول إله يعبد من قبل هذه القبيلة ، فجميع من عبده كان من أولاد أد بن طابخة . وانتشرت عبادته بين الجيل الخامس عشر إلى الجيل التاسع عشر من هذه الكتلة [(١)] . تحركت تميم من نجد إلى شرق الجزيرة وهنا تأثرت القبيلة بعبادة موروثة عن القبائل الصفائية أو الثمودية التي كانت تعبد الإله عبد رضي [(٢)] . وعندما جاورت طي منازل تميم تأثرت بعبادة هذا الإله أيضاً واشتركت مع تميم في عبادة ود [(٣)] . وتبدو المجاورة بين تلك القبيلتين قد حملت أثار مرحلة كان الصفائيون والثموديون يتجاورون بين جرها على الخليج العربي وبين البحر الأحمر وكان الطريق الذي يربط المنطقتين مباشرةً يمر بأعالي نجد [(٤)] .

---

(١) انظر اللوحة رقم (٧) .

(٢) الجدول رقم (١) ، تسلسل ٤٣ ؛ علي ، المفصل ، ٣ / ١٤٣ .

(٣) لوحة رقم (٨) .

(٤) علي ، المفصل ، ١ / ٣٢٦ ، ٣ / ١٤٣ .

(١) ضبة : تزوج من ليلى بنت لحيان بن مدركة . لم ترد إشارة عن أمه .

(٢) تميم : تزوج من صفية بنت القين بن جسر و سلمى بنت كعب بن عمرو أخت الحارث بن كعب ويقال الزوفاء بنت ضبة بن اد .

(٣) و(٤) عدي وثور : أمهما سلمى بنت نهد بن زيد من قضاعة وقيل انها مغداة بنت ثعلبة بن دودان وأمها هي سلمى بنت نهد . لم ترد إشارة عن زوجاتهما .

(٥) عكل (عوف) : أمه بنت ذب اللحية من حمير وحضنته عكل أمة له فغلبت عليه .

(١) طيء : تزوج من عدية بنت الامري بن مهرة وهو مرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٢) لخم : أمه رقاش بنت همدان .

(٣) هذيل : أمه سلمى بنت اسلم بن الحاف بن قضاعة . تزوج من ليلى بنت فران بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

(٤) تميم : تزوج من صفية بنت القين بن جسر وسلمى بنت كعب بن عمرو اخت الحارثة بن كعب ويقال الزوفاء بنت ضبة بن أد .

(٥) كلب : أمه أم الاسبع أسماء بنت دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . تزوج من حبة بنت أبي عرم بن كوكلان بن زهر بن عاملة .

(٦) الخزرج : أمه قيلة بنت الارقم بن عمر بن جفنة بن عمرو بن عامر ويقال قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد هذيم بن قضاعة . تزوج من بنت عامر الغطريف الازدي وبنت علي بن قيس الغساني .

وأخيراً انفردت قبيلة تميم بعبادة الإله تيم وهو إله محلي يمثل انقطاع هذه القبيلة عن الكتلة الأم (بني أد) ومحاولة التميز في العبادة يمثل استقلالية القبيلة وربما يكون تسمية هذا الإله قد استوحى من اسم جد القبيلة تميم أو نتيجة تطور بنيوي داخل القبيلة غير معروف .

جدول رقم (٢)

توزيع الآلهة على أقسام الجزيرة

العدد	غرب الجزيرة			اليمن			شرق الجزيرة		
	مفرد	مع اليمن	مع شرق الجزيرة	مفرد	مع غرب الجزيرة	مع شرق الجزيرة	مفرد	مع غرب الجزيرة	مع اليمن
٣٨	٢١	١٢	٦						
٢٩				١٧	١٢	١			
١٣							٧	٦	١

جدول رقم (٣)

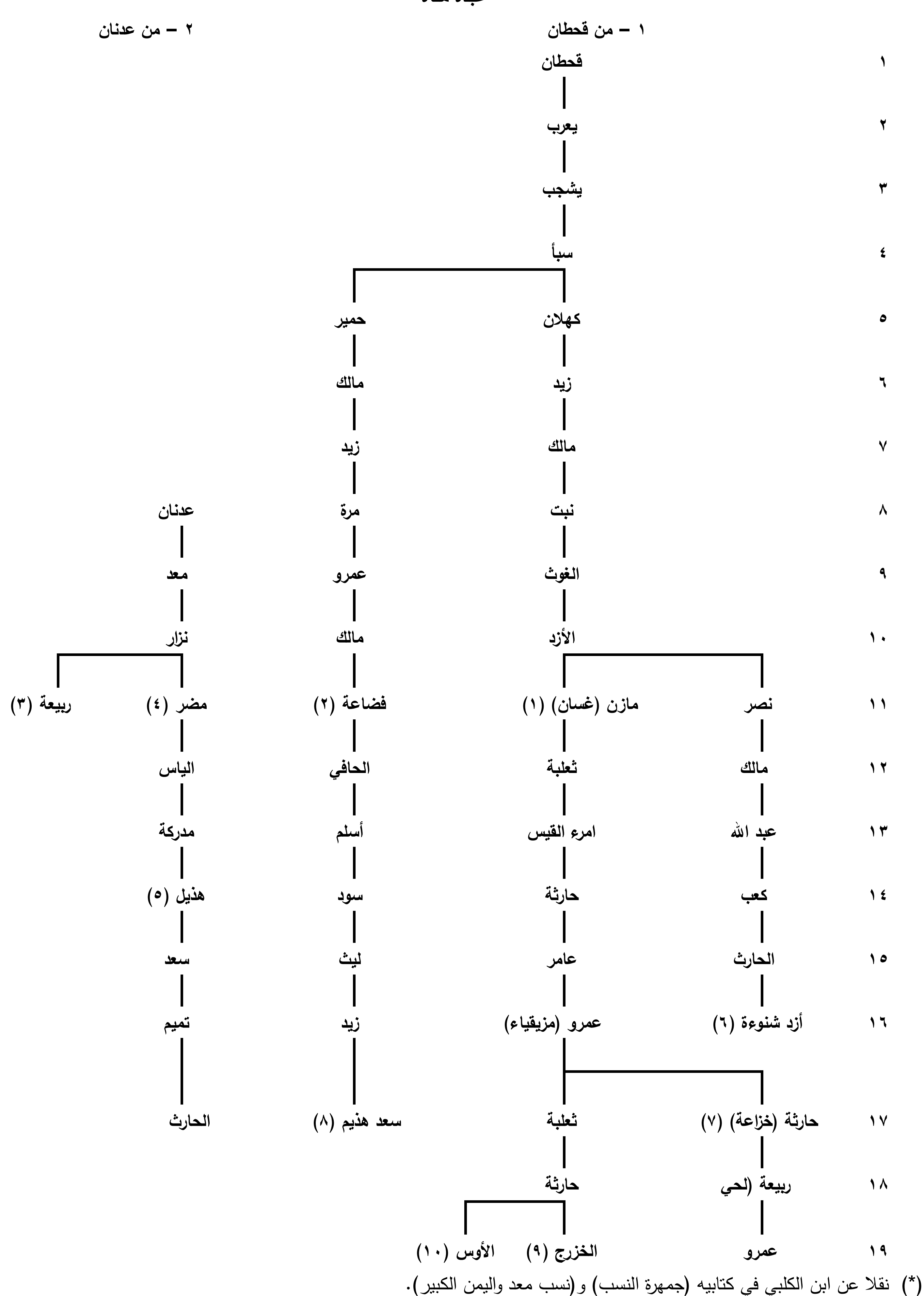
توزيع الآلهة على القبائل

ت	القبائل القحطانية	عدد الآلهة	القبائل العدنانية	عدد الآلهة
١	الأزد	٧	قريش	٧
٢	خزاعة	٦	غطفان	٢
٣	قضاعة	٥	هوازن	٣
٤	لخم	٤	بكر بن وائل	٣
٥	طي	٦	تغلب بن وائل	١
٦	عك	٢	تميم	٤
٧	جذام	١	محارب	١
٨	عاملة	١	باهلة	٢
٩	كندة	٢	كنانة	٥
١٠	خثعم	١	هذيل	٥
١١	بجيلة	٢	ربيعة	٣
١٢	دوس	٣	مزينة	٢
١٣	جرم	١	قيس عيلان	٢
١٤	زبيد	١	سليم	٣
١٥	سعد هذيم	٢	ضبة	١
١٦	همدان	٢	عدي	١
١٧	خولان	٢	عكل	١
١٨	سعد العشيرة	٣	ثمود	١
١٩	حضرموت	١	غنى	١
٢٠	الاوس	١	جشم	١
٢١	الخزرج	٢	نصر	١
٢٢	غسان	١	ثقيف	٢
٢٣	أشعر	١	مضر	٢

ت	القبائل القحطانية	عدد الآلهة	القبائل العدنانية	عدد الآلهة
٢٤	السلف	١	بكر / كنانة	١
٢٥	حمير	٢	فزارة	١
٢٦	بنو مرة	١	غوث بن مر بن اد	١
٢٧	مذحج	١	هلال بن عامر	١
٢٨	أهل جرش	١	عبد قيس	١
٢٩	عبد الأشهل	١	مالك وملكان	٢
٣٠	بنو هند / عذرة	١	عنزة	١
٣١	الحارث بن كعب	١	سعد بن بكر	١
٣٢	بنو سلمة	١	أسد بن عبد العزى	١
٣٣	جديلة طي	١		
٣٤	بنو غصين	١		
٣٥	بنو كلب	١		

لوحة رقم (١) (*)

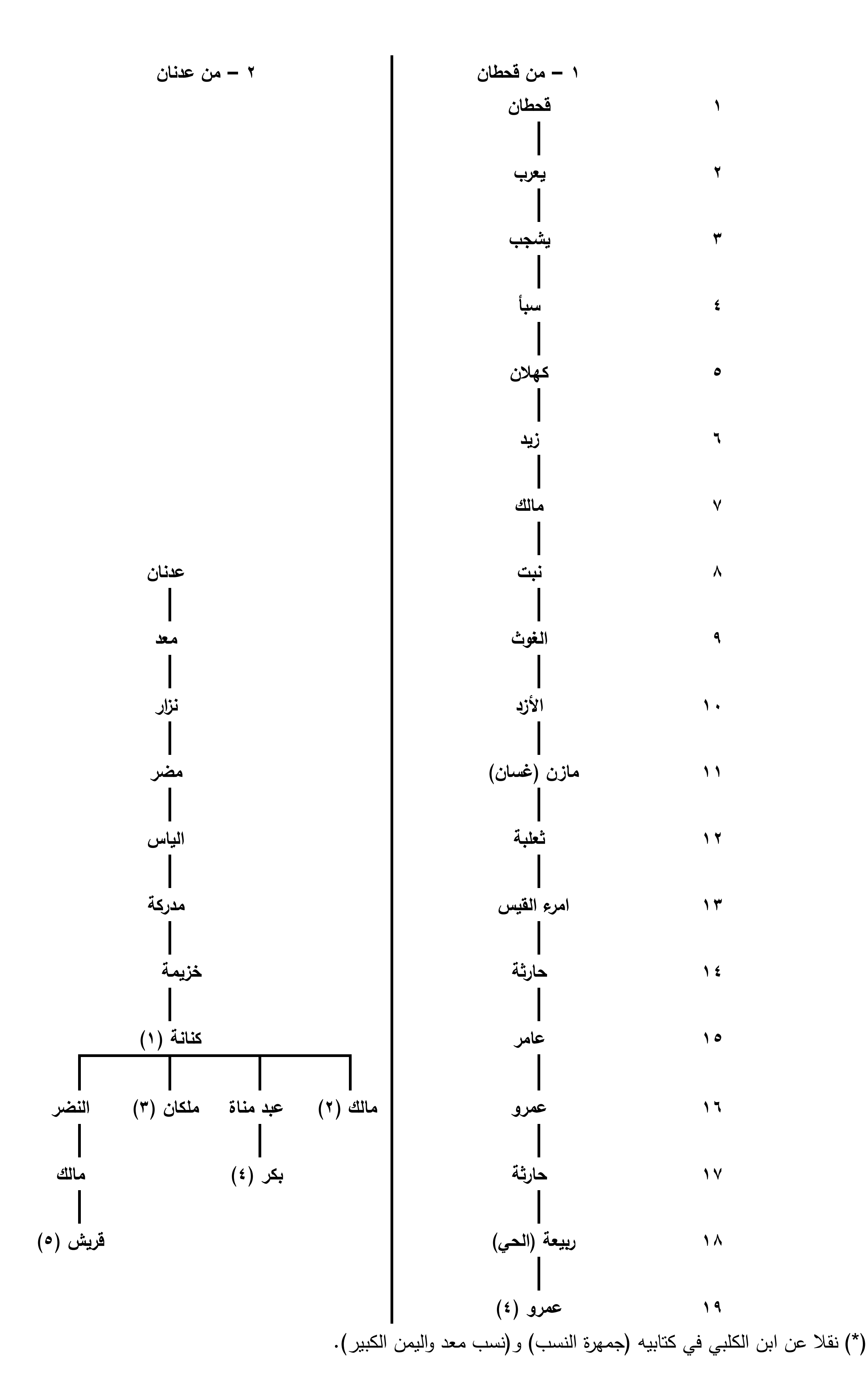
عبدة مناة



(*) نقلا عن ابن الكلبي في كتابيه (جمهرة النسب) و(نسب معد واليمن الكبير).

لوحة رقم (٢) (*)

عبدة هبل



(*) نقلا عن ابن الكلبي في كتابيه (جمهرة النسب) و(نسب معد واليمن الكبير).

لوحة رقم (٤) (*)

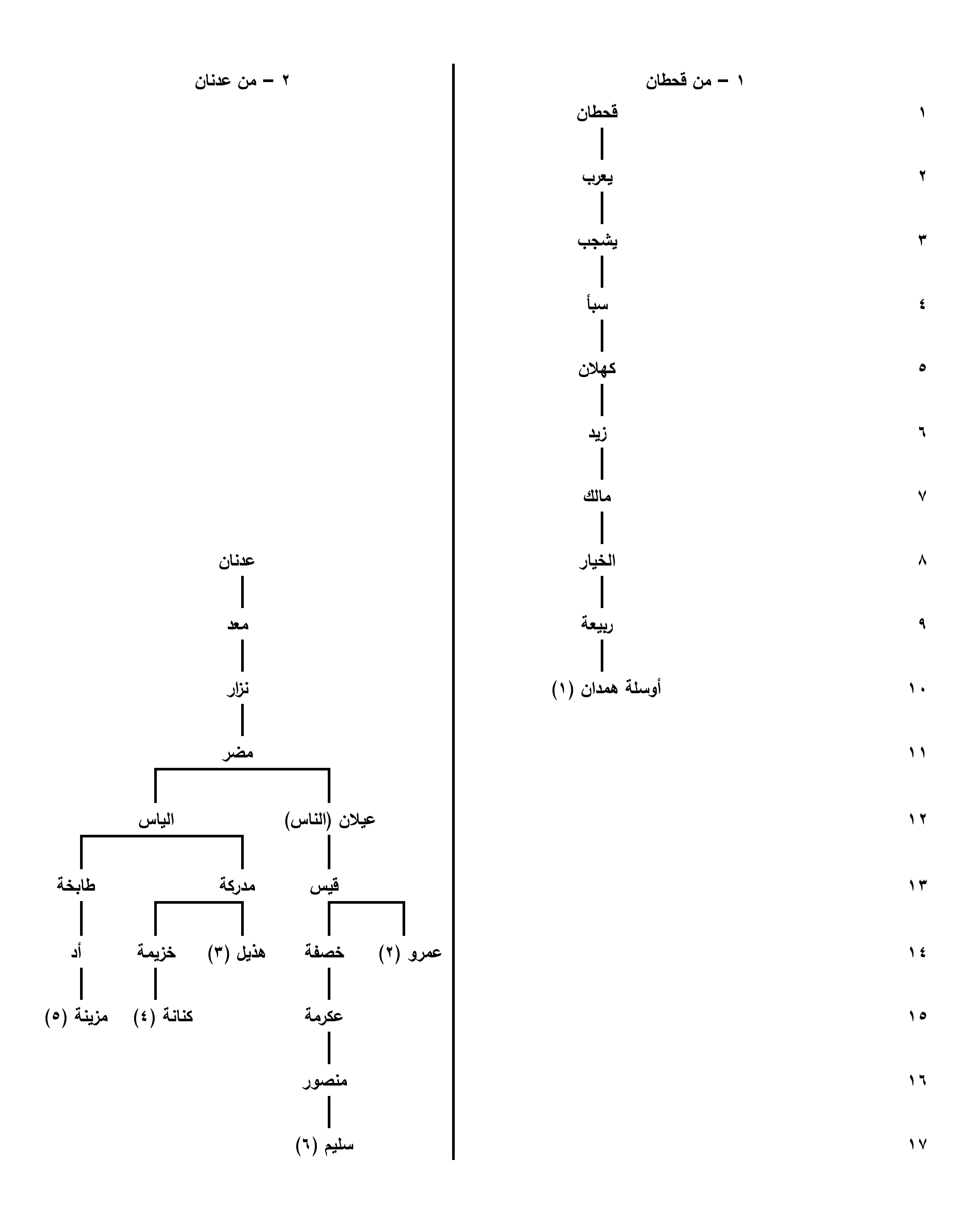
عبدة سعيدة

	١ – من قحطان		٢ – من عدنان
١	قحطان		
٢	يعرب		
٣	يشجب		
٤	سبأ		
٥	كهلان	حمير	
٦	زيد	مالك	
٧	مالك	زيد	
٨	نبت	مرة	عدنان
٩	الغوث	عمرو	معد
١٠	الأزد (١)	مالك	نزار
١١		قضاعة (٢)	ربيعة (٣)
١٢		أسلم	
١٣		سود	
١٤		ليث	
١٥		زيد	
١٦		سعد هذيم (٤)	

(*) نقلا عن ابن الكلبي في كتابيه (جمهرة النسب) و(نسب معد واليمن الكبير).

لوحة رقم (٥) (*)

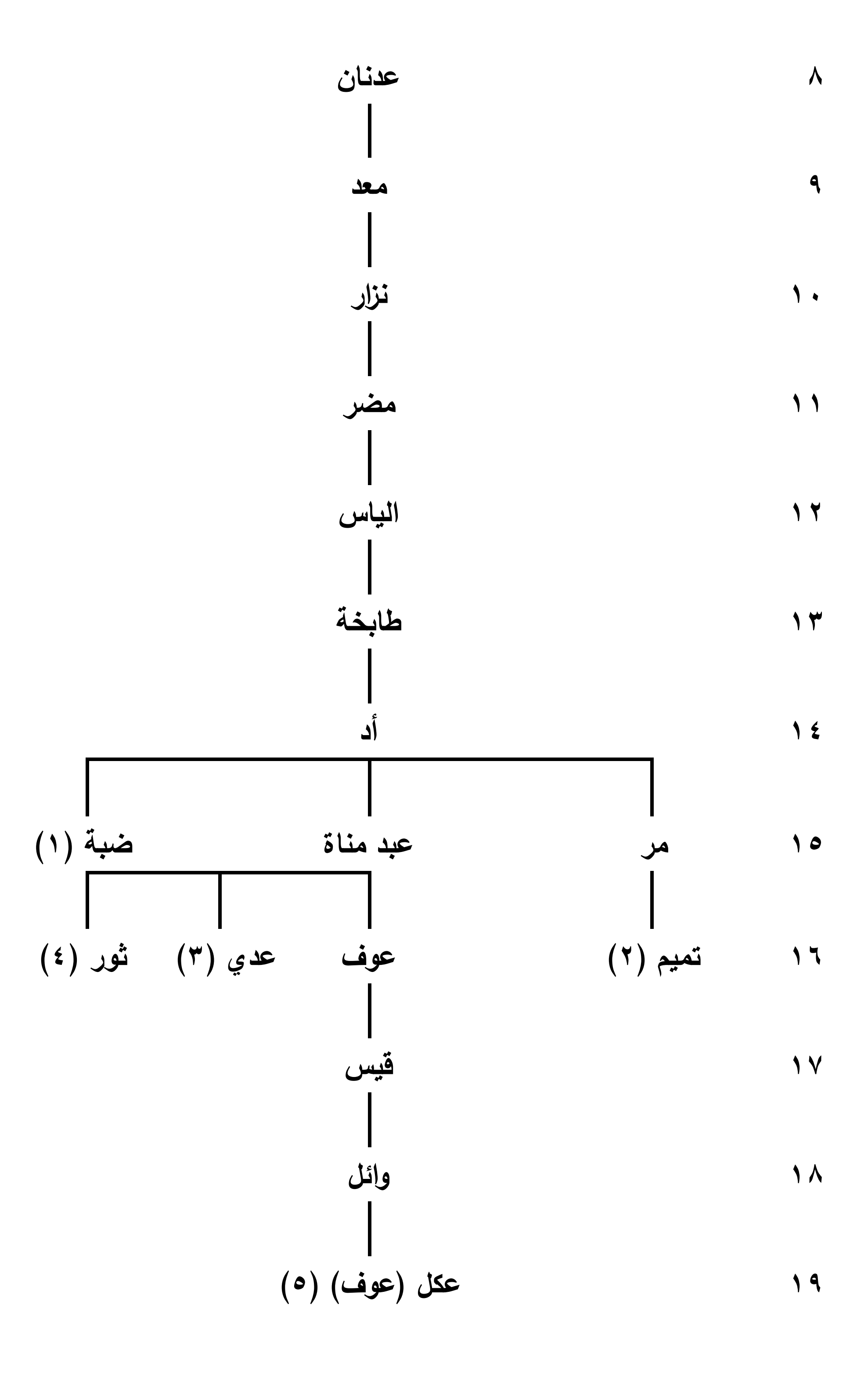
عبدة سواع



(*) نقلا عن ابن الكلبي في كتابيه (جمهرة النسب) و(نسب معد واليمن الكبير).

لوحة رقم (٧) (*)

عبدة شمس



(*) نقلا عن ابن الكلبي في كتابيه (جمهرة النسب) و(نسب معد واليمن الكبير).

الفصل الثالث

الدلالات اللغوية لأسماء الآلـهة
في الديانـة الوضعية في شبه الجزيرة العربية

مدخل :

استخدم الرواة مصطلحات مثل (صَنْم) و(وَثَن) و(نَصْب) في حديثهم عن الديانة الوضعية في شبه جزيرة العرب ولكل من هذه المصطلحات دلالة لغوية أوردها اللغويون وشرحوا معانيها غير انهم لم يقدموا فروقاً جوهرية في المعنى ولم يستطيعوا تقديم تفسيرات عميقة لها خاصة فيما يتعلق بالمصطلحين (صنم) و(وثن) . كذلك لم يظهر في الكتابات القديمة حتى الآن ما يعين في التفريق بينهما مع أنه من الصعب القبول بفكرة اشتراكهما في الدلالة فوجودهما يعني أن هناك شيئان احتاج الإنسان إلى مصطلحين للتدليل على كلٍ منهما أو ظاهرتين بغض النظر عن تشابههما وان القدماء عندما وضعوا هذه المصطلحات إنما وضعوها نتيجة الحاجة في توصيف وتسمية الأشياء . وعلى العكس من مصطلحي صنم ووثن فأن اللغويين والمفسرين والمؤرخين الأوائل ميزوا المصطلح نصب .

لقد وردت جميع هذه المفردات في الشعر العربي القديم [١] .

وأشار لها القرآن وأعطى صورة واضحة لبعضها [١] والراجح ان هذه المفردات من القدم بحيث لم تستوعبها مصادر العصر اللاحق للعصر الذي وُضعت فيه هذه

---

(١) **عبيد بن الأبرص :**

فتبدلوا اليعبوب بعد إلههم   صنماً فقروا ياجديلة واعذبوا

ذكر **فضالة بن عمير بن الملوح الليثي** يوم الفتح :

وُما رأيت محمداً وجنوده   بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت نور الله أصبح بينا   والشرك يغشى وجهه الاظلام

الأعشى :

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه   ولا تعبد الأوثان والله فاعبد

زهير ابن أبي سلمى :

نزل عنها وأوفى رأس مرقبه   كمنصب العتر دمى رأسه النسك

المصطلحات فلما جاء الإسلام كان التفريق بينها مسالة غير ذات أهمية ، وربما لأن الأشياء التي تدل عليها لم تعد على قدر من الأهمية أو التعقيد بحيث تحتاج التمييز . وقد حاول المؤرخون المحدثون تقديم فروق لتحديد تمايز المصطلحين

اعتماداً على تبريرات وفرضيات معينة وضعوها هم أو التزموا بها [٢] .

---

(١) وردت لفظة صنم في القرآن الكريم في خمس آيات : قال : " وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين " سورة الأنعام ، الآية ٧٤ . قال تعالى : " وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال أنكم قوم تجهلون " . سورة الأعراف ، الآية ١٣٨ . قال تعالى : " وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وأجنبني وبني أن نعبد الأصنام " سورة إبراهيم ، الآية ٣٥ . قال تعالى : " تالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين " . سورة الأنبياء ، الآية ٥٧ . قال تعالى : "قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ". ووردت لفظة وثن في القرآن الكريم ثلاث مرات : قال تعالى :" فاجتنبوا الرجس من الأوثان وأجتنبوا قول الزور " . سورة الحج ، الآية ٣٠ . قال تعالى : "إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون أفكاً أن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فأبتغوا عند الله الرزق وأعبدوه واشكروا له وإليه ترجعون " . سورة العنكبوت ، الآية ١٧ . قال تعالى : "وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين " . سورة العنكبوت ، الآية ٢٥ . وردت لفظة نصب في القرآن الكريم ثلاث مرات : قال تعالى : " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يأس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم وأخشون " . سورة المائدة ، الآية ٣ . قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فأجتنبوه لعلكم تفلحون " . سورة المائدة ، الآية ٩٠ . قال تعالى : "يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون " . سورة المعارج ، الآية ٤٣ .

(٢) كرنكو ، الصنم ، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت افندي وآخرون ، (مصر : الابشيهي ، ١٩٣٣) ، ٣٥٦/١٤ ؛ علي ، المفصل ، ٧١/٦ ، ٧٣ - ٧٤ .

الصنم :

الصنم مفرد جمعه أصنام وقيل أنه تطور لغوي لمفرد شمن [١] . وشمن وشنم من المفردات التي وردت في النقوش اليمنية [٢] . وحسب ابن سيده الصنم شيئاً يصنع من خشب أو يصاغ من فضة أو نحاس . وقيل الصنم كل ما أتخذ إلهاً من دون الله . وقيل هو ما كان جسماً أو صورة فأن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن . قال ابن الأعرابي الصنمة والنصمة الصورة التي تعبد . وقال ابن عرفة ما اتخذوه من الهة ولم يكن صورة فهو وثن فإذا كان له صورة فهو صنم أي صورة بلا جثة وقيل العكس . والصنم الصورة بلا جثة ومن العرب من جعل الوثن المنصوب صنماً . قال الحسن الصنمة الداهية وقال الأزهري أصلها صلمة [٣] . وهي مؤنث صلم وهو اله أشتهر عند أهل تيماء بتأثير النفوذ البابلي في عهد نابونائيد (٥٥٥-٥٣٩ ق. م) الذي سكن المنطقة . كما أشتهر عند الثموديين الذين سكنوا تيماء فيما بعد [٤] . وورد في النقوش اليمنية بصيغة (صلمن) [٥] .

الوثن :

---

(١) ابن منظور ، لسان ، ١٢ / ٣٤٩ .

(٢) علي ، المفصل ، ٦ / ٧٢ .

(٣) ابن منظور ، لسان ، ٣٤٠/١٢ ، ٣٤٩ ، ٤٤٢/١٣ ، الزبيدي ، تاج ، ٣٧١/٨ ؛ الربايعة ، عبادة ، ص ٤٤ .

(٤) خان ، الأساطير ، ص ١١٢ ؛ علي ، المفصل ، ٦/ ٧٢ ؛ طلفاح ، الآلهة ، ص ٧٧ وما بعدها .

(٥) وهي بمعنى صنم وتمثال ومثال . (صلمن ذ صرفن وصلمنن ذ ذهبن) أي تمثال من فضة وتمثالان من ذهب . علي ، المفصل ، ٦ / ٧٢ . وبمعنى صورة رجل أو تمثال رجال أو تمثال امرأة . أ. ف.ل بيستون وآخرون ، المعجم السبئي ، (لوفان الجديدة : دار نشريات بيترز ، ١٩٨٢) ، ص ١٤٣ ، ١٧٢.

َوثَـنَ أقـام وثَبـُـتَ أو رَكَدَ . والـوثن الـدائم الإقامـة . وقيـل الـوثن هـو الصـنم ما كـان . وقيل الصنم الصغير . قال ابن الأثير الوثن كل ماله جثة معمولة من جـواهر الأرض أو مـن خشـب أو الحجـارة كصـورة الأدمـي تعمـل وتنصـب فتعبد [١] . وقد يطلق الوثن على غير الصورة والجمع أوثان . ووثن أثن على إبدال الهمزة والواو . قال الأزهري قال شمر الأوثان عند العرب كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضـة أو نحاس أو نحوهما ، وكانت العرب تنصبها وتعبدها ، وكانت النصارى نصبت الصليب وهو كالتمثال تعظمه وتعبده ، ولذلك سماه الأعشى وثناً . قال وقال عدي بن حاتم قدمت على النبيﷺ وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال لي الق هذا الوثن عنك أراد به الصليب [٢] .

وقد وردت كلمة وثن في النقوش اليمنية ، ففي أحد نصوص المسند ذكر : " وليذبحن وثنن درا بخر فم ذبصم صححم أنثيم وذكرم " . أي وليذبح للوثن مرة في السنة ذبحاً صحيحاً أنثى أو ذكراً [٣] نخلص من هذا الاستعراض إلى عدم وجود ما يـدل علـى فـرق بـين المفـردين فـالبعض جعلهـا واحـد ، والـبعض فـرق بينهما . وظهر الارتباك عند اللغويين وخالفهم بعض المؤرخين والمفسرين ، وثمة إشـارة مهمـة أوردها جواد علـي ولـم يتعمـق فـي دراستها فهـو يـرى أن الفـرق بـين المصطلحين يرجع إلى اصل قبلي ، فبعض القبائل استعملت المفرد وثن والبعض الآخر استعملت المفرد صنم فلما جمع علماء اللغة مفردات اللغة من البدو وقع هذا التباين والاختلاف في تفسير الكلمتين [٤] . ومع أن هذا لا ينفي وجود دلالتين غير أننا فـي هذه الحالـة مطالبين بالبحث فـي الظروف التـي تجعل القبائل تختلف فـي استخدام المفردات التي استخدمتها للتدليل على معبوداتها وما إذا كان الخلاف ناتجاً

---

(١) ابن منظور ، لسان ، ١٣/ ٤٤٢ .

(٢) ابن منظور ، لسان ، ١٣/ ٤٤٢ . ٤٤٣ ؛ الربايعة ، عبادة ، ص ٤٤.

(٣) علـي ، المفصـل ، ٦ / ٧٣ .وتحديـداً عنـد السـبأيين كانـت بمعنـى حجـر الحـدود أو نصب . بستون ، المعجم ، ص ١٦٦ ؛ فـاروق إسماعيل ، اللغـة اليمنيـة القديمـة ، (تعز : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠) ، ص ٢٥٠ .

(٤) علي ، المفصل ، ١/ ٧٤ .

عن طبيعة المعبود أو الظرف الموضوعي للقبيلة ؟ غير أن عدم وجود دراسة انثروبولوجية للقبائل العربية يجعل من الصعب الخوض في بحث هذا الجانب من الموضوع .ويبقى البحث في هذا الموضوع مهماً إلى أن نتوصل استنتاجاً أو من خلال معلومات جديدة تنفع في تحديد الدلالة اللغوية لكل من المصطلحين ولصفات كل منهما .

والأرجح أن كلمة وثن هي الأقدم والقول بالديانة الوثنية معناها الديانة الوضعية الأولى التي كانت تطلق على الآلهة الشركاء لله من دون خصائص أو صفات بمعنى آخر أن الديانة الوثنية هي الديانة التي كانت تهتم بالكتلة من دون التشريح الذي يوضح الصفة فهي الحجر الذي كان يعبد وهي الشجر أو أي مسمى أخر أي أنها ترتبط بالحالة البدائية . وقد استمر المفرد قيد الاستخدام حتى في المراحل الأولى التي انتقل فيها الإنسان في التأليه والعبادة من الكتلة إلى الشكل بغض النظر عن دقة التشريح . وأن استمرار البدائية في بعض القبائل يفسر استمرار استخدام هذا المفرد حتى بعد شيوع استخدام المفرد صنم ، الذي يرتبط ظهوره بتطور نظرة الإنسان إلى الكتلة وهو التطور الذي دفعه إلى نحت الحجارة ونصبها في مكان معين فأصبحت صنماً أي بدأت الكتلة تأخذ ملامح أو صفات وخصائص فتطورت الحجارة إلى تمثال منحوت بمستوى من التشريح يكفي لايضاح الصفة أو الخاصية . وقاد هذا التطور إلى نصب التمثال في مكان محدد أي تقلص الحيز الجغرافي من العام المطلق إلى المحدود . وربما تكون هذه النقلة رافقت الاستقرار في المجتمع البدوي والانتقال من البداوة إلى التحضر وتعود فكرة المكان المخصص للإله لهذه الانتقالة ، ومنها ظهرت فكرة البيت عندما ظهرت الحاجة إلى حماية الإله ، ومع تطور المعتقدات الدينية مفهوماً ومضموناً وطقوس عبادة ، ومع تقدم فن تشريح التمثال اصبح هناك تمييزاً بين اله متنقل يحمله الإنسان معه ليواكب ظاهرة الحراك الاجتماعي ، وإله ثابت منصوب [١] في حيز جغرافي لا يتغير ، له بيت واضح المعالم ومن هنا أيضاً يمكن

---

(١) ابن منظور ، لسان ، ١٢ / ٣٤٩ .

القول بظهور فكرة البيت العتيق [١] وهي دلالة على قدمه وقدم التحول من العبادة المتنقلة إلى الاستقرار وظهور فكرة الحيز المقدس (الحرم) .

أطلقت كلمة صنم على جميع تماثيل الآلهة في وقت متأخر لأنها اكتسبت كل الخاصية التي أوحى بها التطور في المعتقدات الدينية وأصبحت عبادة الأصنام تطغى على عبادة الأوثان لكنها لم تلغها . ويتضح لنا من دراسة جدول (٤) ما يعزز هذه الفرضية حيث لم يبق الا وثن واحد وهو ذات ودع والسبب على ما يبدو أن هذا الإله فقد ميزته ولم يتطور فبقى على حاله حجراً في الأرض أو أحجار معلقة على الكعبة [٢] فأجمع علماء اللغة على أنه وثن فيما اختلفت الروايات في بعض الآلهة الأخرى مثل اللات وكسعة وهي مسألة تحتاج إلى دراسة أعمق وفي موضوع اللات تحديداً فأن قسماً ممن كان يعبدها بقى يطلق عليها اسم وثن بينما أطلقت عليها القبائل الأخرى صفات وخصائص جعلت منها صنماً منصوباً بغض النظر عن دقة التعبير في الشكل الخارجي .

النصب :

النَّصْب والنُّصُبُ كل ما عبد من دون الله . والأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله . وأنصاب الحرم حدوده والنصبة السارية وقوله تعالى " والأنصاب والازلام " وقوله وماُ ذبح على النصب . الأنصاب الأوثان . وعند القتيبي النصب الصنم أو الحجر وكانت الجاهلية تنصبه تذبح عنده فيحمر للدم ومنه حديث أبي ذر في إسلامه قال فخررت مغشياً عليَّ ثم ارتفعت كأني َنصبُ أحمر يريد أنهم ضربوه حتى أدموه فصار كالنصب المحمر بدم الذبائح [٣] وعند المفسرين هي حجارة حول الكعبة تعبد ويذبح

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٦١٧ .

(٢) ابن منظور ، لسان ، ٨ / ٣٨٦ – ٣٨٧ .

(٣) ابن منظور ، لسان ، ١ / ٧٥٨ – ٧٦٠ . ويبدو ان هذه التعابير كانت مستخدمة لدى أهل اليمن . انظر بيستون ، المعجم ، ص ٩٩ ؛ إسماعيل ، اللغة ، ص ٢٤٧ ؛ الربايعة ، عبادة ، ص ٤٤ .

عليها [١] . ولم يختلف الرواة والإخباريون مع المفسرين فابن الكلبي يصفها بأنها حجر أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ، يطوفون حوله كطوافهم بالبيت ، وكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها [٢] . وفي رواية أخرى كان للعرب حجارة غيـــــر منصــــوبة يطوفــــون بهــــا ويعتــــرون [٣] عنــــدها يســــمونها الأنصاب [٤]ويمكننا ان نستنتج ان النُصب في الأصل هي حجارة استُخدمت لتحديد حدود الحرم فهي أشبه بأحجار حدود المدن السومرية وبمرور الزمن أصبحت لها قدسية موازية لقدسية الإله نفسه .

الوثنية في شبه الجزيرة العربية :

يمكن القول أن الوثنية هي بداية المعتقدات الدينية البدائية عندما أعتقد الإنسان بالوهية الأشياء المادية والظواهر الكونية التي لم يألفها أو يفهمها وعندما ارتبطت بعض الأشياء المادية (الحجارة) خاصة ببعض الظواهر الكونية غير المدركة كالشهب والنيازك أو مقذوفات البراكين . اصبح ثمة اعتقاد بأن الإله يمكن أن يحل في شيء مثل الحجارة ثم تطورت الفكرة إلى إمكانية الحلول في الأشجار أو المياه ... وفي الحياة العربية نقف على روايات حاول المهتمون بدراسة المعتقدات الدينية أن يفسروا بها وثنية العرب . الاعتقاد الأساس لدى هؤلاء أن الدين كان في البدء التوحيد ثم نشأت الوثنية ، وقد ارتبط التوحيد بالنبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام في مكة حيث (البيت العتيق) فلما بدأ أبناء إسماعيل حراكهم الاجتماعي أخذوا يحملون معهم حجارة من حجارة مكة حباً بها وتعظيماً للبيت . فحيثما حلوا وضعوه

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ط ٣ ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٩٧٨) ، ٦ / ٤٨- ٤٩ .

(٢) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٣٣ .

(٣) العتيرة : الشاة ذبحها وهي أول ما ينتج كانوا يذبحونها لآلهتهم والعتيرة التي كانت تعترها الجاهلية هي الذبيحة التي كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها . ابن منظور ، لسان ، ٤ / ٥٣٧ .

(٤) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٤٢ .

وطـافوا بـه كطـوافهم بالكعبـة . وهكـذا حتـى اسـتبدلوا ديانـة النبـي إبـراهيم والنبـي إسماعيل عليه السلام بالحجارة فأنتقلوا إلى الوثنية [١] .

تهمل هذه الرواية المدة بين بدء الخلق والنبي إبراهيم عليه السلام وكأنها كانت من دون دين . وإذا وضعنا المعلومات الآثارية والتاريخية جانباً التي تؤكد وجود ديانة مبكرة سبقت إبراهيم الخليل عليه السلام فأن القرآن الكريم يضعنا أمام ديانة شغلت تلك المدة حتى مجيء النبي إبراهيم عليه السلام . وقد تفسر الرواية الأنفة الذكر رجوع أبناء إسماعيل عن التوحيد لكنها بالتأكيد لا تفسر لنا التطور العام للمعتقدات الدينية .

كانت الوثنية عند العرب قديمة قدم نشأتهم ، مع أن الروايات ربطت بينها وبين عمرو بن لحي، وهو ربط لا يدل على معرفة دقيقة بنشأة المعتقدات الدينية.

يرى ابن الكلبي ان ظهور الأصنام قديم يرتبط بأبناء آدم وأنه نتج عن تقدير الأبناء لإبائهم وان الأصنام الخمسة الأولى إنما ترتبط بخمسة أقوام صالحين [٢] كان قوم نوح يعبدونها وانها كانت بشاطئ جدة ، ثم يتحدث عن مرحلة ثانية من الوثنية ترتبط بأبناء مدركة فهذيل بن مدركة أول من اتخذ الأصنام من ولد إسماعيل ، وإلى خزيمة بن مدركة تعود عبادة هبل حتى انه عُرف بهبل خزيمة [٣] ويبدو ان المقصود هنا (الأصنام) أما الوثنية بمعنى عبادة الحجر فانها قديمة في أبناء إسماعيل [٤] .

ثم يتحدث عن مرحلة ثالثة من الوثنية ترتبط بعمرو بن لحي الخزاعي وكان كاهناً له رؤى من الجن أخبره بمكان الأصنام وطلب إليه إخراجها ودعوة العرب إلى عبادتها [٥] فقصد بها الحج ووزعها على العرب فاستجاب له عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحارث بن قضاعة فدفع إليه ود فأخذه إلى وادي القرى فوضعه في دومة الجندل وسمى ابنه

---

(١) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣ ، ٥٠ – ٥١ .
(٣) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٩ ، ٢٧ ، ٢٨ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ١ / ١٠٢ .
(٤) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٦ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ١ / ١٠١ .
(٥) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٨ ، ٥٤ .

عبد ود ، وأجابه الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر فدفع إليه سواعاً فوضعه في رهاط ببطن نخلة ، وأجابه أنعم بن عمرو المرادي فدفع له بيغوث تعبده مذحج ، وأجابه مالك بن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان فدفع له يعوق فوضعه في خيوان لتعبده همدان ، وأجابه معد يكرب الرعيني فدفع له نسر لتعبده حمير فوضعه في بلخع [1] .

ومع ان عبادة هذه الأصنام استمرت إلى الإسلام إلا ان ابن الكلبي في رواية أخرى له يشير إلى أن العرب لم يكونوا يرون في الأصنام الخمسة التي دفعها لهم عمرو بن لحي ما كانوا يرونه في العزى واللات ومناة ويضع العزى في موقع متقدم على الجميع نظراً لاجماع العرب عليها . ويفسر هذا التباين في الاهتمام بقدم الأصنام الخمسة وحداثة الثلاثة الأخيرة [2] فكأنه يتحدث عن مرحلة جديدة في الوثنية ترتبط بما تلا سقوط اليمن بدليل ان الذين عبدوها هم عدنانيون أولاً وقحطانيون عاشوا خارج اليمن مثل الازد وقضاعة ولخم وغسان [3] .

ان هذه المراحل في تطور الوثنية يعني ان الدين الأول كان هو الوثنية وان دين إبراهيم الخليل (التوحيد)كان الدين الثاني ولم يُنهِ الوثنية على العكس نجد أبناؤه هم الذين أعادوها .

تشير الروايات : " أن النبي إسماعيل بن إبراهيم(عليه السلام) لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد والتماس المعاش . وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم بها وصبابة بالحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم

---

(١) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٥٥ – ٥٨ ؛ انظر لوحة رقم (١٠) .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(٣) انظر جدول رقم (١) ، الآلهة تسلسل (٤٨) ، (٦٣) ، (٦٨) .

وإسماعيلعليه السلام . ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم وانتجثوا ما كان يعبد قوم نوحعليه السلام منها على أرث ما بقي فيهم من ذكرها " [١] .

شغلت الديانة الوضعية العقل والفكر منذ البداية . وكانت الغالبة على هواجسه منذ أدرك الإنسان الأول ضعفه إزاء المخلوقات التي حوله ووسط ظواهر لا يدركها . فاعتقد بضرورة إرضائها بتقديم القرابين لها . ولا يبدو آدمعليه السلام في القصة الدينية قد اكتملت لديه مفهوم فكرة التوحيد فهو على عكس مقتضيات التوحيد لم يلتزم بما ُبلّغ به ، وحاول التجاوز على الحدود التي رسمت له ، فقصة الشجرة وطلب الخلود والُملك ، هي نوع من الشك في خاصية من خصائص الذات الإلهية ومحاولة مشاركته في هذه الخاصية ، مما وضعه تحت طائلة العقاب [٢] ويستمر سلوك مخالفة أوامر الله في أولاده فقتل قابيل لأخيه هابيل كان بدافع الحسد لأن الله تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه [٣] وتبقى مغريات الحياة التي عاشها أولاد قابيل تغري ذرية شيت [٤] وتبدو نزعة الشك مسيطرة حتى أن النبي نوحعليه السلام دعا ربه : "

---

(١) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٦؛ الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١١٦ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ١ / ١٠١ ؛ أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٧) ، ٢ / ١٥٦ ؛ تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ) ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨) ، ٢٩٨/١ ؛ محمود شكري الآلوسي البغدادي ، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، تصحيح محمد بهجت الاثري ، ط ٢ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣١٤هـ) ، ٢٠٠/٢ ؛ الحوت ، المثيولوجيا ، ص ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٩- ٢٧ ؛ أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهاب بن واضح اليعقوبي البغدادي (ت ٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، تعليق خليل منصور ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩) ، ١/ ٧؛ الطبري، تاريخ ، ١٠٦/١ ما بعدها .

(٣) سفر التكوين ، ٤ :١-٩ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١ / ١٣٨ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ١ / ١٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١ / ١٦٦ وما بعدها .

لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً " [١] . بعدما عجز عن إقناع قومه بالايمان بالله . وأمام هذا العجز يقف الشرك قوة مضادة لها حسابها . اقتضت الاستجابة لدعاء النبي نوح عليه السلام ليكون قومه عبرة للأقوام والأجيال اللاحقة لكن دون جدوى . فحسب القرآن الكريم : " حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل " [٢] . فهؤلاء الناجون الذين كان يفترض بهم تأسيس مرحلة جديدة من الحياة يسود فيها الإيمان بالله خالية من الشرك نجدهم وذريتهم من بعد يرجعون عن دين آبائهم ويتخذوا تماثيل الصالحين آلهة [٣] . وهكذا يبقى الشرك هو معادل اعتقادي ويبقى المؤمنون هم الفئة القليلة التي تعي ما يدور حولها وتواصل التفكير في المسألة . وتعكس لنا قصة النبي إبراهيم عليه السلام هذا الأمر بوضوح . ويبدو أن إبراهيم الذي نشأ في عائلة دينية [٤]أدرك معنى التوحيد إدراكاً جوهرياً . وحسب القرآن الكريم فقد وضع إدراكه في شكل تقاليد وممارسات حياتية يومية [٥] . لقد جاء هذا الإدراك بعد ترددٍ كشفه الحوار العقلي لإبراهيم مع الكون كما عرضه القرآن الكريم ، وكان حواره محاكمة للمعتقدات الدينية حتى عصره بصفته معنياً بها وفي ذات الوقت بحث عن البرهان الذي ينقل إيمانهم من الفرضية إلى اليقين .

أشار القرآن الكريم أن النبي إبراهيم عليه السلام عبد كوكباً فلما أفل عبد القمر فلما أفل اتخذ الشمس الهاً حتى إذا وجدها أفلت [٦] أدرك بوعيه أن هناك قوة تقف وراء

---

(١) سورة نوح ، الآية ٢٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١ / ١٧٩ وما بعدها ؛ أيضاً ، التفسير ، ٢٩ / ٦٢ – ٦٣ .

(٢) سورة هود ، الآية ٤٠ .

(٣) سورة نوح ، الآية ٢٣ ؛ الطبري ، تفسير ، ٢٩ / ٦٢ .

(٤) كان أبوه كبير الكهنة وأخوه توفي وهو يطفئ النار التي اشتعلت في المعبد ؛ انظر الحوت ، المثيولوجيا ، ص ٢٥ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٢٥ ، ١٥٨ ؛ سورة آل عمران ، الآية ٩٧ ؛ سورة المائدة ، الآية ٩٧ ؛ سورة الحج ، الآية ٢٩ ؛ سورة الأنفال ، الآية ٣٥ ؛ سورة قريش ، الآية ٣ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية ٧٦ – ٧٨ .

كل المظاهر الكونية المدركة لا تفنى ولا تأفل . وان هذه القوة هي التي خلقت الكون وبضمنه الإنسان غير أنه لم يدركها فهي ليست محسوسة أو ملموسة. أنها تتجاوز الإدراك الاعتيادي وهذا هو جوهر التوحيد ومن ثم فهذه القوة هي التي يجب أن تعبد : " أني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين " [(١)]. وأخذ على عاتقه التبشير بعبادتها بين الناس . وعلى أساس هذه المسؤولية بدأت جولته من موطنه في بقاع عربية عدة حتى أبتنى البيت بأمر ربه في مكة بمعونة ابنه إسماعيل [(٢)] . وأطلق القرآن الكريم على ديانة النبي إبراهيم عليه السلام مصطلح الحنيفية [(٣)] .

اتخذ التوحيد مساراً آخر يختلف عما سبق ولم يعد مسؤولية الأنبياء فحسب إنما مسؤولية اتباع واعين . غير أن ديانة إبراهيم انتكست على يد أبنائه . وبين انتكاسة ديانة إبراهيم ومجيء عمرو بن لحي يظهر جيداً أثر العلاقة بين الدين والحياة .

ظهرت محصلة التطور التأريخي في شكل موروث حضاري ديني ثرَّ اتسم بتعدد الآلهة التي عبدها العرب ، ويعكس الجدول (١) هذه الصورة بوضوح . غير

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٧٩ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٧ ؛ الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٥٨ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١ / ٢٥١ وما بعدها .

(٣) الحنيفية : الحنيف المائل من خير إلى شر أو من شر إلى خير ومنه أخذ الحَنفُ وحَنَفَ عن الشيء وتَحَنَفَ مال والحنيف : المسلم الذي يتحنف عن الاديان أي يميل إلى الحق وقيل هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم . وقيل هو المخلص وهو من اسلم في أمر الله فلم يلتوي في شيء فهو حنيف . والحنيف المستقيم . والحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم وكان عبدة الاوثان في الجاهلية يقولون نحن حنفاء على دين إبراهيم فلما جاء الإسلام سموا المسلم حنيفاً . وكان في الجاهلية يقال من أُختتن وحج البيت حنيف لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت . انظر ابن منظور ، لسان ، ٩ / ٥٧ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٤٤٩ وما بعدها ؛ محمد علي مختار ، الحنيفية والحنفاء ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، (السعودية : مطابع الملك سعود ، ١٩٨٤) ، ص ١٦٥ وما بعدها .

أن التدقيق في مضمونه يكشف قواسم مشتركة خفية . فبعض هذه الآلهة هي مما ورثه العرب عن مرحلة حضارية سابقة لا سيما ما يتعلق بأسرة الآلهة (القمر ، والشمس ، والزهرة) أو رموزها التي تخيلها الإنسان واختارها لتكون بقربه . غير أن معظمها هو أما مما يدخل في باب صفات هذه الآلهة أو مما شمله النظام الفلكي القديم مما له صلة بالكواكب الثلاث . وبالطبع لا يمكن القول بوضوح هذا التمايز في ذهن الإنسان آنذاك إنما هي محاولة للبحث في سر الأشياء من خلال فرضيات وربما من الأجدر ان نباشر البحث في الموضوع بسؤال ماذا ترتب على سقوط النظام السياسي في العراق القديم أو في مصر أو اليمن فيما بعد ؟ والإجابة على هذا السؤال تقتضي الإجابة على تساؤلات أخرى في مقدمتها سؤال عما إذا كان سقوط النظام السياسي يعني اختفاء النمط الحضاري للمجتمع أو استبدال المجتمع لثقافته ؟ كذلك السؤال عما اتبع المحتل من سياسة ؟

لا يمكن أن يكون سقوط النظام السياسي مؤشراً لاختفاء النمط الحضاري إذ هو الأصل والنظام أحد إفرازاته المرحلية ، وسقوطه يعني حاجة النمط الحضاري للتعبير عن نفسه بنظام آخر . كذلك لا يمكن القول باستبدال المجتمع لثقافته فالثقافة منظومة معقدة ومتشابكة من العناصر والاتجاهات التي تعبر عن النمط الحضاري وترتبط بحركة المجتمع وأدائه فهي لهذا يمكن ان تتحدد أو تتأثر وتزداد انفتاحاً وتتسع مساحة مرونتها وأ تنغلق على مكوناتها لكنها لا تُلغى ولا تُستبدل . ولنا أن نقرر أن للمحتل طبيعته ومصالحه التي صنعت تناقضه مع الآخر ودفعته إلى الصراع معه . فهو إذن بالضرورة يعمل وفقاً لاشتراطات هذه المصالح ومتطلباتها لكنه ليس بالضرورة قادر على الإلغاء ولكن سياساته في الاستنزاف والاضطهاد والطمس والإقصاء وإجراءاته في تكييف الواقع الجديد ليلائم مصالحه يحقق انحساراً في امتداد وفعل النظام الاجتماعي القديم . فلنا إذن ان نتصور كيف ينسحب السكان وتتقلص جغرافية انتشارهم ، وكيف يمكن أن ينكفئ المجتمع ، وكيف تنغلق التجمعات الجديدة فيه على ثقافتها . أن هذا الوضع هو الذي يفسر لنا ما اشتمل عليه الجدول من آلهة وصفات وتفاصيل تتعلق بالنظام الفلكي القديم . فيصبح القمر إلهاً وصفته (أب، وعم، وكهل، والرحمن، والرحيم،

والحكيم، والقدوس، والعادل، والمبارك، والمعين، والمحب، والمضيء، والسيد) والشمس إلهاً وصفاته (اللمعان) والزهرة إلهاً وصفاته (ملك، والمضيء، والعزيز، والمنعم، والطيب) . وكيف لا يعود للمصطلح اللغوي قيمته الدلالية وتنشأ دلالة عامة تنضوي تحتها المصطلحات وتتعادل قيمتها في دلالة عامة بدلاً من التعبير عن دلالة خاصة بين هذه الآلهة إذ يمكن القول أن (٧٩إلهاً) هي من الصفات و(٢٩ إلهاً) جزء من المنظومة الكونية منها ما يتعلق بالقمر (١٤صفة) ومنها ما يتعلق بالشمس (٩ صفات) ومنها ما هو خاص بالزهرة (٦ صفات) [١] .

ويكشف هذا التصنيف درجة الصلة بين هذه المسميات وبين الحضارات الأولى في الوطن العربي من زاوية وعي المجتمع وتراجعه وضمور منظومة الثقافة القومية وكفاءة المركز المصدر للمعطيات الثقافية المستمرة لتغذية الوعي وملء الذاكرة الاجتماعية ، ولعل الآية الكريمة التي وصفت آلهة العرب " ان هي إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم " [٢] أصدق تعبير عن هذه الوضعية فهذه الآلهة هي صدى خفيف وومض ضعيف من عصور الحضارات القديمة ومن هنا واجهتنا صعوبة فهمها وتفسيرها .

ذهبت الدراسات التي اعتمدت النقوش والمكتشفات الأثرية إلى أن الأُسرة الإلهية لأقوام الجزيرة كانت تعتمد على ثالوث كوكبي هو القمر والشمس والزهرة [٣] . وإذ كان هناك اختلاف فأنه في ترتيب أولويات الثالوث وتسمياته مما تسببت به طبيعة النظام الاجتماعي للجماعات القبلية أو الإقليمية . غير ان الفكرة الرئيسة القائمة تبقى هي الثالوث الكوكبي ومن هنا قادتنا هذه الفكرة إلى دراسة

---

(١) هذه الأرقام قابلة للزيادة كلما زاد عدد الإلهة المكتشفة وزاد معرفتنا بالدلالة اللغوية لباقي الإلهة حيث هذه الأرقام قدمت حسب الجدول والمعلومات المتاحة حالياً للباحث .

(٢) سورة النجم ، الآية ٢٣ ؛ وانظر سورة الأعراف ، الآية ٧١ ؛ وسورة يوسف ، الآية ٤٠ .

(٣) نيلسن ، التاريخ ، ص ١٩٣ وما بعدها ؛ علي المفصل ، ٦ / ٢٧ ، ٥٠ وما بعدها ؛ محمد الغزي ، الاحتفال بالجسد في التراث الجاهلي ، مجلة فكر وفن ، (العدد ٤٣ ، ١٩٨٦) ، ص ٣٢ ؛

Grohmann, kulturgeschichte, p. 243.

الدلالة اللغوية لمعاني الآلهة بغية الكشف عن الأُسرة الإلهية للعرب وفرز قدر الإمكان صفات هذه الآلهة ورموزها عن الأصل من أعضاء الثالوث الكوكبي .

قد يكون مبكراً القول أن هذه الطريقة سوف تحقق نجاحاً كبيراً فهي في طور النشأة توجهاً ومنهجاً وتحتاج إلى خبرة ومهارة في التعامل مع اللغة وكشف الصلة بين الدلالة اللغوية ونمو اللغة نفسها ونشاط المجتمع . ومع ذلك فالمحاولة مجدية ولو في حدود إرساء التوجه وتأسيس المنهجية التي تكمل جهود الأوائل (١) . وتقديم فكرة قد تساعد في فهم خاصية التعدد الكبير للآلهة في النظام الديني الوضعي في شبه الجزيرة العربية .

ويعير الباحث أهمية لديانة اليمن القديمة التي أمدت الباحثين في حقل الدراسات الدينية بهذه الفكرة لأن هناك ظاهرة الانسحاب إلى النقطة الأبعد عند عدم توازن الصراع وظاهرة (كندة) مثال على ذلك . كذلك وجود معينيو الشمال ومعينيو الجنوب وثموديو الشمال وثموديو الجنوب ، ولأن تأثير القبائل اليمانية على القبائل الشمالية كبير جداً مثل ما كان تأثر اليمن بالقبائل الشمالية كبيراً أيضاً وقد يكون بنفس القوة (٢) . ويؤكد نلسن وجود مدنية قديمة (غابرة) لجزيرة العرب تمثل ثقافة واحدة ودين واحد استدل عليها بما تبقى من نقوش في شمال الجزيرة وجنوبها (٣) . غير ان الحراك الاجتماعي في الجزيرة الذي فرض عليه الاحتلال الأجنبي للأطراف الشمالية أن يدور في حيز جغرافي مغلق أوجد نوعاً من التأثير المتبادل أن لم نقل الصهر الاجتماعي ، لذا تصبح مسألة دراسة القبائل الشمالية والجنوبية من خلال منظار واحد ضرورية لأن كليهما حاول مزج الأفكار ليبقي على موروثه القديم وقد نجحا في ذلك فعلاً ودليل هذا النجاح استمرار قوة النمط الحضاري واختيار الله لهم لحمل رسالة التوحيد ، لأن هذا المزج التأريخي للأفكار عزز مسألة الخصائص

---

(١) نيلسن ، التاريخ ، ص ١٨٧ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٢٧ .

(٢) نيلسن ، التاريخ ، ص ١٦٨ .

(٣) نيلسن ، التاريخ ، ص ١٧٢ .

المتصلة ببعضها ، خصائص الإنسان في الزمان والمكان الذي ظهر في شكل إدراك لوجود إله واحد يحكم كل الكون وما هذه الأصنام إلا صورة للتراجع الحضاري أمام الاحتلال ، وتجسيد للتجزئة البغيضة وان الأوان قد حان للتخلص من كل هذا وكان الدين أساس هذا الموضوع . الفارق الجوهري في اعتقاد العرب بالثالوث الكوكبي يكمن في تأنيث أو تذكير الشمس والزهرة بين عرب الجنوب وعرب الشمال [١] . وهي مسألة تحتاج إلى استيعاب طبيعة المجتمع العربي والنظام القرابي الذي يحكمه وبحث مثل هذا يبرر تأجيل مناقشة المسألة لا سيما وان المسألة المهمة الآن هي الدلالة اللغوية وصلتها بصفات الثالوث فهذه الدلالة والصفات المحددة للآلهة تحدد معتقدات العرب الدينية في حدود هذا الثالوث .

يتضح من الجدول رقم (٥) ان سبعة عشر اله تمثل الكواكب وستة آلهة تمثل الزمن وواحد يمثل الليل وستة تمثل المطر وخمسة تمثل الماء وخمسة تمثل الخصب وثلاثة تمثل الحيوانات واثنان تمثل الأشجار وواحد يمثل الرياح واثنان تمثل البراكين وحتى ضمن هذا التصنيف يمكننا الذهاب إلى تصنيف ابعد يجمع المطر والماء والخصب (٥ + ٥ + ٦) ويجمع الزمن والليل أو الليل والكواكب أو الماء والمطر والشمس والخصب والريح . والوصول إلى وضوح للأُسرة الإلهية الرئيسية للعرب وصلة هذه الأسرة بالكون .

الدلالة اللغوية مكنتنا من الفرز وتحديد الأصل وما اشتق منه أو اتصل به لضرورة من الضرورات مع الوعي بأن ليس كل ما جاء به اللغويون دقيق بشكل حاسم في تحديد الدلالة اللغوية للمفرد .

أسرة الآلهة العربية

القمر :

تنوعت مكانة القمر لدى الأقوام العربية القديمة (الجزرية) سواء منها عرب الشمال أو عرب الجنوب . فهو الجد الأكبر للقبيلة وهو أب وكذلك عم [٢] . وتعددت صفاته فهو الرحمن وهو الرحيم وهو الحامي لقومه وهو الحكيم والقدوس والعادل

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٢ .

(٢) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢٠٨ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٥٣ – ٥٤ ؛
Grohmann , kulturgeschichet , p. 244 .

والمبارك والمعين والمحب ولقب كثيراً بكهل إشارة لكبر السن وهو المضيء والسيد (سيد السماء) آله السماء وبالضرورة السيد (بعل) كان آله للخصب و الماء [١] .

ومن صفات القمر :

(١) أساف : الفاني وكلمة الفاني تعني الشيخ أو الكهل وصفات الإله القمر هي كهل فيمكن أن يكون أساف هو صفة من صفات الإله القمر [٢] .

(٢) أشهل : ومعناه الحمرة في سواد العين . بيد ان هناك معنىً آخر وهو الكهالة والعجوز وفي المعنيين هو صفة للإله القمر [٣] .

(٣) جبهـه : بمعنى السيد وهي إحدى صفات الإله القمر فالقمر سيد السماء وجبهه أيضاً منزل من منازل القمر [٤] . وقد يكون المنزل الذي يتوسط به القمر السماء ويبدو كبيراً مشعاً مهيباً .

(٤) جد : واضح من الكلمة ان الجد لها علاقة بالكهالة إحدى صفاة القمر فجد تعني أبو الأب والأم . وأصل الكلمة هو نبطي وتعني النهر وشاطئه وفي السريانية تعني الحظ . والحظ يرتبط بالأمل والأمل يرتبط بالماء (الخصب) والإله القمر وصف بأنه إلهاً للخصب فهو بعل (السيد) إله الخصب والماء [٥] .

(٥) حلال : يرتبط المفرد بالشهور الحرام وله علاقة بطقوس الحج مثل العمرة ويوم النحر بمنى وطقوس الحج والعمرة لدى العرب ترتبط بالقمر في

---

(١) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢٠٨ – ٢١٦ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٥٢ – ٥٤ .

(٢) ابن منظور ، لسان ، ٩ / ٥– ٦ ؛ نيلسن ، التاريخ ، ص ٢٠٨ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٥٤ .

(٣) ابن منظور ، لسان ، ١١ / ٣٧٣ – ٣٧٤ ؛ نيلسن ، التاريخ ، ص ٢٠٨ .

(٤) ابن منظور ، لسان ، ١٣/ ٤٨٣– ٤٨٤ ؛ نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٣ ، ٢١٦ .

(٥) ابن منظور ، لسان ، ٣/١٠٧ – ١١٤؛ نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٣؛ خان ، الأساطير ، ص ١١٤–١١٦ ؛ أحمد محمد عبيد ، معجم أصنام العرب ، (دبي : ٢٠٠٠) ، ص ٣١.

حساب الأيام . ويعطي هذا للإله حلال علاقة بالإله القمر وقد يكون هو كوكب الجدي حسب دلالته الأخرى [١] .

(٦) دار : معنى دار يدور واستدار وهو الدهر الدائر بالإنسان وهو الهالة المستديرة حول القمر وكذلك رب النعم و ليس بعيداً أن الإله دار يعني هالة القمر وهي صفة واضحة أو قد يكون رب النعم وهو إله القمر أيضاً لأنه إله الخصب ينعم على متعبديه بالخير والسعادة . وأخيراً قد يكون هو معبد القمر لأن الكعبة كانت تسمى (الدار) ، وسمى قصي أبنه عبد الدار [٢] .

(٧) ذرح : أشارت النقوش إلى أسماء أعلام مركبة فيها اسم (ال ذرح) ويعتقد نيلسن أن ال هو إله قمري ومعنى كلمة (ال ذرح) تعني الله يضيء وهي صفة للإله القمر [٣] .

(٨) سعد : السعد الراحة والسعادة وهي من صفات القمر ، فسعد هو النجوم والكواكب وعشرة أنجم أربعة منها ينزل بها القمر [٤] . ويرى نلسن أن سعد هو لقب للإله قمر من خلال مقارنة نقش لامرئ القيس فيه اسم الإله سعد مع نقش لملك اليمن وآخر لملك الحبشة وجميعها تعطي الانطباع أن الإله سعد هو ذاته الإله القمر [٥] .

(٩) صمودا : تعني السيد المطاع وتعني السيد الذي ينتهي إليه السؤدد وهي ألقاب الإله القمر فهو أب وهو جد وكان ينظر إليه بصفته الجد الأكبر

---

(١) ابن منظور ، لسان ، ١١/ ١٦٣-١٧٤ ؛ نيلسن التاريخ ، ص ٢١٦ .

(٢) ابن منظور ، لسان ، ٤ / ٢٩٥ - ٣٠٠ .

(٣) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٥ .

(٤) ابن منظور ، لسان ، ٣/٢١٣-٢١٩ .

(٥) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢٢٦ .

للقبيلة وجد العشيرة أو أب وهو (السيد المطاع) فهو لقب من ألقاب القمر [١] .

(١٠) عبد كلال : منزل من منازل القمر . وهو أربعة أنجم مصطفة ومقارنة بسيطة مع الإله سعد نعرف أن هناك علاقة قوية بين الاثنين وهذا يعني أن عبد كلال لقب من ألقاب الإله القمر [٢] .

(١١) عبعب : يرد الماء في كل دلالة من دلالاته اللغوية فعبعب هو شرب الماء من غير تنفس وكثرة الماء والمطر الكثير والجدول الكثير الماء والسحاب والمياه المتدفقة وطالما أن الإله بعل إله الخصب . والماء يرتبط بالإله بعل إله الخصب وبعل هو اسم للإله قمر فعبعب أحد صفات الإله القمر [٣] .

(١٢) عميأنس : الانس من الايناس ويفهم من رواية ابن سيد الناس بأن له صلة بالقمر . ففي يوم المجاعة نحروا لعميأنس (١٠٠) ثور والثور هو قربان الإله القمر ثم هناك كلمة عم وعم هو الإله القمر لدى دولة قتبان والقمر هو الذي يؤنس الناس في الليل فهو صفة من صفات القمر [٤] .

(١٣) هبل : أجمع المختصون بأن هبل هو الاله بعل إذ يرى بعض الباحثين أن اصل الكلمة عبراني (هبعل) وهو أكبر أصنام الفينيقيين الكنعانيين ومن جاورهم . والهاء في (هبعل) هي أداة التعريف العبرية ويظهر أن العرب استعاروا من غيرهم من الأمم بإسمه الأصلي (هبعل) أما

---

(١) ابن منظور ، لسان ، ٣ / ٢٥٨ – ٢٥٩ ؛ نيلسن ، التاريخ ، ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٥٣-٥٤ .

(٢) ابن منظور ، لسان ، ١١ / ٥٩٦ .

(٣) ابن منظور ، لسان ، ١/ ٥٧٢-٥٧٥ ؛ خان ، الأساطير ، ص ، ١١٤ ـ ١١٧ .

(٤) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٤٣ ؛ فتح الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ) ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ط ٢ ، (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٤) ، ٢ / ٢٥٣ .

العين فكان إهمالها بالاستعمال لأن الكلدانيين كانوا يلفظون (بل) والمؤآبيين يلفظون هبل بدلاً من بعل فلعل الاسم نُقل كما كان يلفظ عن المؤآبيين [١] . وبعل معروف بأنه اله قمري [٢] حيث هو السيد(سيد السماء). ولنا أن نتسائل ان لفظة هبل قد تكون متكونة من مقطعين (هب – أيل) بمعنى هبة أيل وأيل هو أيضاً اله قمري مشهور لدى القبائل الجزرية وبذلك يكون صفة للإله القمر .

(١٤) ود : المودة والخير [٣] وهي من صفات الاله القمر . وود في النقوش القتبانية والاوسانية اسماً للاله القمر وكان يُرمز له بشكل ثعبان أو ثور أو وعل [٤] .

الشمس :

شكلت الشمس عنصراً أساسياً في الثالوث الكوكبي في أسرة الآلهة العربية [٥] . فهي الأم زوجة القمر وأم الزهرة توصف باللمعان وقيل هي اللات وكان يرمز لها بالحصان [٦] . ووجد الباحث تسعة آلهة هي من صفات الشمس :

(١) بلج :

---

(١) غرايبة ، المعبودات ، ص ١٢٠ .

(٢) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٣ ، ٢١٦ ؛ سلامة ، قريش ، ص ٢٨٨ .

(٣) ابن منظور ، لسان ، ٣ / ٤٥٣ وما بعدها .

(٤) الجرو ، الفكر ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ ؛ طلفاح ، الآلهة ، ص ١٣٢ – ١٣٣ ؛ روضة سحيم حمد آل ثاني ، دراسة في جوانب من ديانة العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، مستلة من مجلة كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، (عدد ٤ ، ١٩٩٨) ؛
Grohmann , Kulturgeschichet , p 243 .

(٥) ابن منظور ، لسان ، ٦ / ١١٣–١١٥ ؛ نيلسن ، التاريخ ، ص ٢٠١ وما بعدها ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٥٠ وما بعدها .

(٦) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٧ – ٢٢٠ .

المشرق وانبلج الفجر إذا أشرق والشروق صفة للشمس فهي بشروقها تؤذن بانصداع الفجر وظهور الصبح وبدء النهار فهو لقب للإله الشمس [١] .

(٢) حمام :

الشدة والماء إذا سخن واصبح حاراً وعين ماء حار والمطر الذي يأتي بالصيف والقيض [٢] وهي من صفات الشمس وترد بصيغة حميم (ذات حميم) حسب النقوش اليمانية وقيل حمام المرأة الجميلة وقدُ صورت الشمس بامرأة حسناء [٣] . فحمام صفة من صفات الشمس واختلف اسم الإله شمس فهو مذكر في شمال الجزيرة يطلق عليه (آل حمون) و(بعل حمون) بينما هو أنثى في الجنوب (ذات حميم) وفي كلتا الحالتين فهو يرمز للشمس [٤] .

(٣) ذو شرى :

ومعناه فرس خيار فائق ويطلق على البرق إذا لمع وتتابع لمعانه ، والفرس رمز للشمس واللمعان من صفات الشمس [٥] وقد ورد في النقوش والمكتشفات الأثرية في الشمال ان الإله ذو شرى إله الأنباط كان إلهاً شمسياً [٦] .

(٤) سعير :

ومعناه الإيقاد والنار ، وقيل لهبها وحرها ، والحرق والمضض وشعاع الشمس الداخل من الكوة (كوة البيت) وهي صفات تجعل الإله سعير من صفات الشمس [٧] .

(٥) سواع :

---

(١) ابن منظور ، لسان ، ٢ / ٢١٥ – ٢١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ٤ / ١٤٩ – ١٥٢ .

(٣) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٧–٢١٩ .

(٤) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٧ – ٢١٨ ؛ علي المفصل ، ٦ / ٣٠٠ .

(٥) ابن منظور ، لسان ، ١٤/ ٤٢٧ – ٤٣٢ ؛ نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٩ – ٢٢٠ .

(٦) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٩ ؛ الحوت ، المثيولوجيا ، ص ٦٠ ؛ غرابيه ، المعبودات ، ص ٥٠ ؛ عبيد ، معجم ، ص ٤١ .

(٧) ابن منظور ، لسان ، ٤ / ٣٦٥ ؛ عبيد ، معجم ، ص ٤٧ .

كان سواع على صورة امرأة [١] .وكانت الشمس تُصور بصورة امرأة حسناء فهي زوجة القمر وأم الزهرة [٢] وكانت همدان تعبد سواع وان عمرو بن لحي دفع به إلى هذيل لتعبده يوم فرق الإلهة على القبائل . وذكر ابن الكلبي أنه لم يجد له شعراً في هذيل سوى شعر قاله رجل من اليمن وهو أمر يوحي بأنه إله جنوبي وهو صفة للشمس [٣] .

(٦) فلس :

اللون إذا كان على جلد يلمع كالفلوس واللمعان صفة من صفات الشمس [٤].

(٧) اللات :

اختلف المختصون في دراسة الأديان على اللات وما إذا كانت إشارة إلى الإله الشمس أم الزهرة . يرى سترابو بأن الشمس هي الإله الأكبر عند الأنباط وفي نظر الأنباط أن الشمس هي أم الأرباب . ويتحدث أبيفانوس عن عيد سنوي يقيمه الأنباط في البتراء لأم الرب النبطي الأكبر (ذو شرى) [٥] في حين يذكر هيرودوتس أن العرب كانوا يعبدون اللات وهو تمثال يمثل الزهرة [٦] . وانسحب اختلافهما على المختصين في دراسة الديانة الوضعية عند العرب قبل الإسلام ، فيرى فلهاوزن أن اللات هي الإله الشمس وأيده نولدكه معتمدين على ما ذكره سترابو [٧] . أما ديسو فقد عارض هذا الرأي وأكد أنها الإله الزهرة وتابعه في ذلك ريكمانز وستاركي مقدمين

---

(١) الحوت ، المثيولوجيا ، ص ٥٧ ؛ آل ثاني ، دراسة ، ص ٢٠ .

(٢) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٩ .

(٣) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٩ – ١٠ ، ٥٧ ؛ علي ، المفصل ، ص ٢٥٨ .

(٤) ابن منظور ، لسان ، ٦ / ١١٣ – ١١٥ .

(٥) نقلا عن غرايبة ، المعبودات ، ص ٩٦ ؛ عبيد ، معجم ، ص ٦٤ .

(٦) نقلا عن غرايبة ، المعبودات ، ص ٩٦ .

(٧) الروسان ، القبائل ، ص ١٨٢ ؛ سيد محمود القمني ، الأسطورة والتراث ، ط٢ ، (القاهرة : سينا للنشر ، ١٩٩٣) ، ص ٧٠ ؛ آل ثاني ، دراسة ، ص ٢١ .

أسانيدهم وفرضياتهم التي تدعم ما ذكره هيرودوتس [١] . وقد ايد القمني رأي ديسو وأكد ان اللات هي الزهرة بل أكد ان اللات والعزى ومناة هي صفات لإله واحد هو الزهرة [٢] وهو رأي فيه نظر . فقد فات القمني أن عبادة العرب للإله اللات كانت بتأثير الموروث الحضاري البابلي الذي أعطى لكل من هذه الآلهة صفاته وأعماله الإلهية التي تختلف عن صفات وأعمال الآخر [٣] . كما أنه أغفل الإشارة إلى اشتقاق الإله مناة كما فعل مع العزى واللات وأكتفى بالقول أنها تمثل الزهرة كوكب المساء من دون النظر في الدلالة اللغوية كما فعل مع العزى [٤] . وحتى آراؤه حول اللات تبدو مبالغة مع محاولات في تغير الأصوات حسب مقتضيات رأيه [٥] . وإذ اعتمدنا نفس المنهجية اللغوية فيبدو رأي فلهاوزن ونولدكه أكثر أرجحية لسببين الأول هو صحة الاستنتاج القائل بأن أيل هو إله قمري وأنثى الإله القمري هي الشمس فقد يكون تأنيث الله تم بإضافة التاء إلى آخره للإشارة إلى الإله (اللات) الشمس [٦] . والسبب الثاني يرجع إلى ما ورد في الروايات العربية عن قول عمرو بن لحي :
" ان ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف " [٧] . فهي إذن مصدر الحرارة وترتبط

---

(١) رينه ديسو ، العرب في سوريا قبل الإسلام ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٩) ، ص ١١٥ ؛ الروسان ، القبائل ، ص١٨٢ ؛ القمني ، الأسطورة ، ص ٧٠ .

(٢) ديسو ، العرب ، ص ١٢٥ ؛ القمني ، الأسطورة ، ٧٠ .

(٣) خان ، الأساطير ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ١١٧ - ١٢٩ ؛ الحوت ، المثيولوجيا ، ص ٧٠ .

(٤) ديسو ، العرب ، ص ١١٣ ، ١٢٥ ؛ القمني ، الأسطورة ، ص ٧٢ .

(٥) القمني ، الأسطورة ، ص ٧٠ – ٧٢ .

(٦) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢١٦ ، ٢٢٠ .

(٧) الازرقي ، تاريخ ، ١ / ١٢٦ ؛ خان ، الأساطير ، ص ١١٩ ؛ أحمد زيني بن دحلان (ت ١٨٨٦م) ، السيرة النبوية ، (بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣) ، ٢ / ٣٠٤ .

بالصيف أكثر من الزهرة [١] يضاف لهذا أن هيرودوتس غير دقيق في معلوماته عن العرب .

(٨) محرق :

ما يُقدح به ، وسفن فيها مرامي النار ، ومواضع الفحامين وهي كلها على صلة بالحرارة التي مصدرها الشمس [٢]وورد في النقوش اسماً مركباً لشخص (عبد الحارق) [٣] .

(٩) يعوق :

ليس في دلالته اللغوية ما يفهم منه صلة لهذا الإله بالإله الشمس بيد ثمة رواية تشير إلى أن هذا الصنم كان على صورة فرس والفرس كان رمزاً للإله الشمس [٤] . وقد وصف بأنه كوكب أحمر حيال الثريا وتمثيل هذا الكوكب بالأحمر قد يكون راجع لتشبيهه بالشمس [٥] .

الزهرة :

وصف الإله الزهرة بصفات عديدة فهو ابن الشمس والقمر سواء كان ذلك في جنوب شبه الجزيرة العربية أو شمالها . والفرق هو أنه مؤنث في شمال الجزيرة ومذكر في جنوبها . وقد وصف بأنه المضيء أو الساطع وكذلك قبل الشروق وبعد الغروب ووصف بأنه العزيز والمنعم والطيب وكان الطفل رمزاً لهذا الإله ولاسيما في الجنوب لذلك لقب بالطاهر والملك . وأعطتنا النقوش فكرة عن صفات هذا الإله وهي :

(١) الأقيصر :

---

(١) البكر ، معجم ، ص ٤٠ .

(٢) ابن منظور ، لسان ، ١٠/ ٤١-٤٦ .

(٣) غرايبة ، المعبودات ، ص ٩٦ .

(٤) نيلسن ، التاريخ ، ص ٢٢٠ ؛ خان الأساطير ، ص ٨١ ؛ الحوت ، المثيولوجيا ، ص ٧٥ ؛ عبيد ، معجم ، ص ٨٠ .

(٥) ابن منظور ، لسان ، ١٠/ ٢٧٩ - ٢٨٠ .

الملك وكان ملوك اليمن يعتقدون انهم أبناء الزهرة وهم يمثلونه على الأرض فكلمة ملك تعني الزهرة [١] .

(٢) ذو الخلصة :

الخلص الطاهر في لغة اليمن وكان الزهرة يلقب بالطاهر لأنه صبي ولما أصبح في الشمال أنثى قيل خلصة وذو الخلصة [٢] .

(٣) عبد رضى :

ورد في النقوش الثمودية والصفائية بأنه الإله الزهرة وكان بصيغتين الأولى مذكر (رضو) والثانية مؤنث (رضي) [٣] وفي دعاء عند المصريين للإله الملك يقول له أبيك مالك العظمة وأمك الرضى ويقصد أزوريس هو الملك وأمه أزيس وهذه الآلهة كانت تمثل الزهرة في النظام الديني لوادي النيل وبانتقالها عند الثموديين والصفائين وردت بالصيغتين المذكر والمؤنث وربما راجع هذا إلى أن أصل الثموديين من اليمن والزهرة في اليمن مذكر [٤] .

(٤) العزى :

---

(١) نيلس ، التاريخ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٣٠٠ ، ٣١٣ .

(٢) نيلس ، التاريخ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٥؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٣٠٠ .

(٣) نيلس ، التاريخ ، ص ٢٢١ – ٢٢٢ ؛ البشاشة ، الإله ، ص ٢٢ – ٢٧ ؛ عبيد ، معجم ، ص ٤٤ .

(٤) جيمس هنري برستد ، انتصار الحضارة ، ترجمة أحمد فخري ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، بد. ت) ، ص ١٧٣ .

أجمع المختصون ان العزى لقب للإله الزهرة [١] .

(٥) الشارق :

ترجح دلالته اللغوية كونه إله يمثل الشمس غير أن نقوش المسند تشير إلى أنه صفة للإله الزهرة [٢] .

(٦) ذو اللبا :

قد يكون هذا الإله لقباً للزهرة . ففي إحدى دلالاته اللغوية يرتبط بالوقت بين الفجر إلى طلوع الشمس ومعنى هذا قبل الشروق وهو يمثل الزهرة (نجمة الصباح) فهو أحد ألقابه أو صفاته [٣] .

ان هذا الاستعراض يبين أن الوحدانية جاءت نتيجة خبرات متراكمة اكتسبتها البشرية من خلال الموروث الديني للحضارات القديمة وكان الحد الفاصل الذي رجح مبدأ التوحيد في ديانة الأقوام الجزرية هو النبي إبراهيم عليه السلام . إذ بحواره مع الكون أدرك ان ليس فقط ظواهره بنت مركز معين انما هو نفسه يرجع إلى مركز معين فالكون رغم ما يبدو عليه من حالة الأفراد إلا انه في الوقت نفسه حالة جمعية لها نظام خاص له مقدر .

وكان للديانة الوثنية رموز ومصطلحات ومسميات أخذها العرب عن الحضارات القديمة وتعرضت هذه المصطلحات لتطور ناتج عن البيئة التي عاش العرب فيها وحسب متطلبات تكيفهم وأطلقوها على آلهتهم التي مثلتها هذه الرموز وحتى الأُسرة الإلهية التي لم تتجاوز الثالوث الكوكبي هي الأخرى جرت عليها تطورات تطلبتها المرحلة التي كان يعيشها العربي لنجد أن هذه الأُسرة تتعدى الثالوث وتصبح على حد ما ورد في الروايات ٣٦٠ إله حسب رواية الأزرقي[٤] وصلت إلينا منها ما

---

(١) ديسو ، العرب ، ص ١٢٥ ؛ خان ، الأساطير ، ص ١٢٠ ؛ الحوت ، المثيولوجيا ، ص ٧٥-٧٦ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٢٣٨ ؛ الغزي ، الاحتفال ، ص ٣٠ ؛ البكر ، معجم ، ص ٣٣ ؛ عبيد ، معجم ، ص ٥٦ – ٥٧ ؛ آل ثاني ، دراسة ، ص٢٢ .

(٢) نيلسن ، التأريخ ، ص ٢٢١ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٣٠٣ ؛
Grohmann , kulturgeschichet , p. 245 .

(٣) ابن منظور ، لسان ، ٢ / ٢٩٥ .

(٤) الأزرقي ، تاريخ ، ١ /١١٦ – ١١٧ .

يقارب ٨٠ إله [١] كلها ترجع إلى هذه الأُسرة رموزاً أو صفاتاً إلا أن المرحلة تطلبت تحول الصفة أو الرمز إلى اله وبدأت شيئاً فشيئاً تستقل الصفة عن الإله الحقيقي مما نتج عنه كثرة الآلهة .

حاولتُ معالجة هذه الفرضية واستعملتُ الدلالة اللغوية سواء في اللغة العربية أو في النقوش المسمارية أو نقوش المسند والنقوش الآرامية والثمودية والصفائية واللحيانية وغيرها لحلها قدر الإمكان . لقد أظهرت هذه المعالجة (٢٨) إله من أصل (٨٠) إله مما يدخل في باب الصفات للأُسرة الإلهية العربية المتكونة من القمر والشمس والزهرة وربما في المستقبل وعن طريق مزيد من المثابرة وكشف المعلومات نستطيع ان نقلص هذا الفارق حتى نجد أن أساس النظام الديني الوضعي للعرب قائم على الثالوث الكوكبي كاسرة إلهية عبدها الإنسان العربي خاصة وان هذه الأُسرة كانت تلائم بيئته وتتناغم معها ومع أحاسيسه وليس غريباً أن نذكر أن هذه الأُسرة في طور من أطوار الديانة الوضعية كانت تمثل النظام الديني لجميع الشعوب حتى ان نلسن ذكر في معرض حديثه عن هذه الأُسرة ان في أوربا كانت هذه الأُسرة متكونة من القمر والشمس لأن كوكب الزهرة لا يظهر في هذه المناطق لذلك نقول أن فكرة الثالوث جاءت من منطقة الجزيرة العربية والتي هي المنبع الأول للحضارات الأولى وكذلك النظام الديني .

ان قدم الديانة الوضعية ووصول أخبارها لنا بشكل مجرد يجعلنا غير قادرين على تقدير أثرها في الحياة العامة أو اليومية للإنسان لكن هذا لا ينفي ان أثرها كان كبيراً وانه لم يقتصر أثر الآلهة على العرب في الجوانب الاعتقادية والروحية إنما أيضاً الثقافية ويمكن القول ان أبرز تأثير واضح وصل إلينا هو تأثيرها في اختيار الأسماء التي أطلقها العرب على أبنائهم [٢] وفي الشعر أيضاً وان التدقيق في الأسماء التي حوتها لوحات النسب عن ابن الكلبي يدلل على ذلك من خلال كثرة

---

(١) انظر الجدول رقم (١) .

(٢) أشار ابن الكلبي في كتابه الأصنام إلى هذه الظاهرة ؛ انظر الصفحات ٩ ، ١١،١٣ ، ١٦، ١٧ ، ٣٠ ، ٣٩ .

الأسماء المركبة المرتبطة بالهة مباشرة أو عن طريق صفاتها ، وان الأم لعبت دوراً في انتقال الأسماء فزواج سليم بن منصور من العصماء بنت بهثة بن غنم من غنى أدى إلى انتقال والدها (بهثة) إلى بنيها فأطلقته على أول ابنائها بهثة بن سليم [١] ولهذا يمكن القول ان دراسة الأسماء العربية وأزمان استخدامها ودلالاتها يمكن أن يكشف على أمور كثيرة تغيب عن أذهاننا الآن وبضمنها تحديد زمن ظهور الإله ومكان ظهوره والناس الذين صنعوه .

---

(١) ابن الكلبي ، جمهرة ، ٢ / ٨٩ .

جدول رقم (٤) تصنيف الآلهة

ت	صنم	وثن	حجر	حيوان	كوكب	كون	ماء	زمن	رياح	شجر	ملاحظات
.١	اساف		+								
.٢	اسحم							+			
.٣	اشهل										بركان
.٤	الاقيصر										خصب
.٥	اوال										جبل أو بركان
.٦	باجر										
.٧	بجة										الخصب
.٨	بلج							+			
.٩	بوانة										
.١٠	تيم					+					
.١١	جبهة				+						
.١٢	جد				+						
.١٣	جريش										الخصب
.١٤	جلسد		+								
.١٥	جهار					+					
.١٦	حلال				+						
.١٧	حمام										مرتبط بكل شيء حار وهو القضاء والقدر
.١٨	خمام										
.١٩	دار				+						الهالة حول القمر
.٢٠	الدمية										
.٢١	ذات انواط										شجرة
.٢٢		ذات الودع									
.٢٣	ذريح								+		

ت	صنم	وثن	حجر	حيوان	كوكب	كون	ماء	زمن	رياح	شجر	ملاحظات
٢٤.	ذو الخلصة		+								
٢٥.	ذو الرجل							+			قيل انه حجر
٢٦.	ذو الشرى							+			
٢٧.	ذو الكفين				+						
٢٨.	ذو اللبا							+			
٢٩.	الزون										
٣٠.	سجة										
٣١.	سعد				+						
٣٢.	سعيدة				+						
٣٣.	سعير										شعاع الشمس
٣٤.	سقب										
٣٥.	سواع							+			
٣٦.	شارق				+						
٣٧.	شمس				+						
٣٨.	صدا						+				
٣٩.	صمودا										مكابدة القحط والشدة
٤٠.	ضيزن		+								
٤١.	ضمار									+	
٤٢.	عائم						+				
٤٣.	عبد رضى				+						
٤٤.	عبد غنم										اله الخير والخصب
٤٥.	عبد كلال				+						
٤٦.	عبد ياليل										

ت	صنم	وثن	حجر	حيوان	كوكب	كون	ماء	زمن	رياح	شجر	ملاحظات
٤٧.	عبعب						+				
٤٨.	عزى				+					+	
٤٩.	عمرة										
٥٠.	عميانس										
٥١.	عوض							+			الخالد
٥٢.	عوف										البال ، الحال
٥٣.	عير										
٥٤.	فراض							+			
٥٥.	فلس		+								قيل وثن
٥٦.	قراط										
٥٧.	قزح										اله الرعد والبرق والمطر
٥٨.	قلس										
٥٩.	قيس										القدر
٦٠.	كثرى										اله الخصب
٦١.	كسعة										قيل انه وثن
٦٢.	كعيب									+	
٦٣.	اللات		+								وقيل انه وثن
٦٤.	محرق										مطر
٦٥.	مدان										اله مدينة (الحاضرة)
٦٦.	مرحب					+					
٦٧.	مطعم الطير		+								
٦٨.	مناة		+								
٦٩.	مناف		+								
٧٠.	منطبق										نحاس

ت	صنم	وثن	حجر	حيوان	كوكب	كون	ماء	زمن	رياح	شجر	ملاحظات
٧١.	نائلة						+				
٧٢.	نسر			+	+						
٧٣.	نهم										الافراط بالشيء ، صفة من صفات النار
٧٤.	نهيك مجاود الريح		+								
٧٥.	هبا				+						
٧٦.	هبل		+								
٧٧.	ود			+							
٧٨.	يعبوب						+				
٧٩.	يعوق			+	+						
٨٠.	يغوث			+							

جدول رقم (٥)

الدلالة اللغوية

ت	اسم الإله	الدلالة اللغوية
١.	اساف	الحزن والجزع ، العبد الأجير ، الشيخ الفاني .
٢.	اسحم	السواد ، الليل ، شدة الأدمة يرتبط بالسحاب والغراب .
٣.	اشهل	الحمرة في سواد العين ، في العين يشوب سوادها زرقة ، الكهالة ، يرتبط بالعجوز .
٤.	الاقيصر	الغلظ في اعناق الابل والنخل ، النزوع عن الشيء مع القدرة ، العجز عن الشيء .
٥.	اوال	جزيرة في البحرين فيها جبل يعرف بجبل الدخان (قد تكون له صلة بالبراكين) .
٦.	باجر	الكثرة في الشيء ، يرتبط بالبطن وبالسرة منها .
٧.	بجة	الوفرة في الشيء يرتبط بالسمنة .
٨.	بلج	البياض ، المشرق المضيء ، نهاية الليل وبداية الفجر ، ضوء الصباح يرتبط بالشمس والنهار .
٩.	بوانة	المسافة بين الشيئين ، الفراق ، المطر .
١٠.	تيم	السعة في الشيء إذا كانت مهلكة (يرتبط بالكون) .
١١.	جبهة	منزل من منازل القمر ، السيد ، النجم يقال له جبهة الأسد وهو أربعة أنجم ينزلها القمر ، صنم كان يعبد في الجاهلية .
١٢.	جد	الأصل كده ضفة النهر وشاطئه وأصل كده (نبطية) بمعنى الحظ عند السريانيين ، أبو الأب والأم ، الليل والنهار ، المحاق (آخر الشهر إذا محق الهلال فلم يرى لطلوعه مع الشمس أو يستمر القمر فلم يرى ويقال ثلاث ليال) ، له علاقة بالسقي ، وشدة الحر .
١٣.	جريش	آخر الليل ما بين أوله إلى ثلثه أو ساعة منه أو بآخره .
١٤.	جلسد	صنم كان يعبد في الجاهلية .
١٥.	جهار	الذي لا يبصر بالنهار ، كشف الشيء بدون ستر (العلانية) .
١٦.	حلال	الشهور الحرام ، له علاقة بطقوس الحج من العمرة ويوم النحر بمنى ، الجدي ، (يرتبط بالقمر) .
١٧.	حمام	اسم الله الأعظم ، حروف الرحمن ، قضاء الموت وقدره ، المنايا ، يرتبط بالصيف والقيظ والسواد في الفحم والحجارة .
١٨.	خمام	النقي من الغل والحسد ، الثناء الطيب ، غدير معروف بين مكة والمدينة .
١٩.	دار	اسم البيت الحرام ، الهالة حول القمر ، رب النعم ، الدهر ، (دّوارّ صنم) .
٢٠.	الدمية	الصورة يراد بها الأصنام (صنم) .

ت	اسم الإله	الدلالة اللغوية
.٢١	ذات أنواط	رتبط بشجرة كانت تُعبد في الجاهلية ، الموت .
.٢٢	ذات الودع	الهدوء ، الموادعة والأمن والسلام ، ويقال لسفينة نوح (وهو وثن) .
.٢٣	ذريح	الريح ، ذرح الشيء في الريح ذراه .
.٢٤	ذو الخلصة	كلمة توحيد ، رب يتخذ من التمر ، بيت لخثعم فيه صنم يدعى الخلصة ولدوس وبجيلة .
.٢٥	ذو الرجل	نهاية النهار وبدء الليل (لحظة الغروب) ، الزمان ، القدح بالنار .
.٢٦	ذو الشرى	للبرق لمع وتتابع لمعانه ، شرى اسم منطقة جبلية موجودة شرق البتراء .
.٢٧	ذو الكفين	كف الرحمن ، يرتبط بالسحاب ، نجم (صنم كان لدوس) .
.٢٨	ذو اللبا	الطاعة وأصله من الاقامة الذي له التلبية ، المجيب .
.٢٩	زون	ُمتكبر ، المغتال في مشيته ، موضع تُجمع فيه الأصنام (صنم) .
.٣٠	سجة	صنم يرتبط بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، يرتبط بالاعتدال .
.٣١	سعد	النجوم وهي الكواكب (عشرة أنجم أربعة منها ينزل بها القمر) ، بيت كان يحجه ربيعة في الجاهلية، صنم كان لبني ملكان بن كنانة .
.٣٢	سعيدة	صنم كان في الجاهلية (له علاقة بالإله سعد) .
.٣٣	سعير	الايقاد ، نار لهبها وحرها ، الحرق ، كهيئة تنور يحفر بالأرض ، يلهب الموت ، شعاع الشمس (اسم صنم كان لعنزة) .
.٣٤	سقب	القرب ، الدار .
.٣٥	سواع	جزء من أجزاء الليل والنهار ، الشدة والمشقة ، (صنم كان لهمدان) .
.٣٦	شارق	طلوع الشمس ، ضوءها ، قرن الشمس ، الصبح ، الاحمرار ، يرتبط بجبل بسوق عكاظ وسوق الطائف (الشريق اسم صنم) .
.٣٧	شمس	وضح نهاره ، واضح شديد الحر (صنم قديم يرتبط بقريش) .
.٣٨	صدا	ضجة وعجة ، المرتفع من السحاب تراه كالجبل ، البركان .
.٣٩	صمودا	الكابدة وترتبط بالقحط والشدة ، السيد المطاع لا يُقضى دونه الأمر ، السيد الذي ينتهي إليه السؤود ، الذي خلق الأشياء .
.٤٠	ضيزن	الرجل وعريمه ، الشريك (صنمان لمنذر الأكبر) .
.٤١	ضمار	الهزل من قلة الأكل ، القلة في الشيء (رهط عمرو بن أمية بن كنانة) .
.٤٢	عائم	ُحول يأتي مرة شتاءاً ومرة صيفاً ، للنجوم الجري واصله للماء (صنم) .
.٤٣	عبد رضى	السعادة والفرح ، ضد السخط ، المطيع .
.٤٤	عبد غنم	الفيئ ، الفوز بالشيء ، (يرتبط بغنم بن وائل . قضاعة) .
.٤٥	عبد كلال	الأخوة للأم ، منزل من منازل القمر (أربعة انجم مصطفة) ، رأس برج العقرب ، السحاب .

ت	اسم الإله	الدلالة اللغوية
.٤٦	عبد ياليل	
.٤٧	عبعب	شرب الماء دون تنفس ، كثرة الماء وأيضاً المطر الكثير ، الجدول الكثير الماء ، السحاب (صنم وسُمي موضع الصنم عبعباً) .
.٤٨	عزى	من صفات الله وأسمائه ، المطر الغزير ، ليس كمثله شيء ، الرفعة والامتناع ، (صنم كان لقريش بِني كنانة ، سمرة كانت لغطفان يعبدونها بنوا عليها بيتاً) .
.٤٩	عمرة	الحياة ، يقسم به لعمري لعمرك ، في الحج والعمرة تكون للإنسان في السنة كلها ، القصد ، القبيلة والعشيرة.
.٥٠	عميانس	
.٥١	عوض	الدهر ، الأبد .
.٥٢	عوف	البال ، الحال ، الكاد على عياله ، الرعية .
.٥٣	عير	السيد (سيد القوم أو الملك)
.٥٤	فراض	السنة ، التوقيت ، (يرتبط بالزمن) .
.٥٥	فلس	اللون إذا كان على جلد يلمع كالفلوس (يرتبط بالبرق) .
.٥٦	قراط	
.٥٧	قزح	اسم جبل بمزدلفة ، طرائق متقوسة تبدو في السماء أيام الربيع .
.٥٨	قلس	السحاب ، إمتلاء الكأس ، إذا فاض الإناء .
.٥٩	قيس	قدرة على مثاله ، المقدار ، ذكر القوم مآربهم (يرتبط بعبد قيس من أسد) .
.٦٠	كثرى	النماء ، للرجل كثرة الأباء ، الغلبة بالكثرة ، المال الكثير .
.٦١	كسعة	شدة الحر (ثن كان يـُعبد في الجاهلية ربما يرتبط بقيس عيلان أو حمير) .
.٦٢	كعيب	الشرف ، الظاهر من الأشياء .
.٦٣	اللات	يرتبط بالسويق .
.٦٤	محرق	النار ، ما يقدح به النار ، سحاب شديد البرق وفرس (يرتبط بتميم وسعد ابنا قيس رهط الأعشى ، ويرتبط بالنعمان بن المنذر) .
.٦٥	مدان	أقام به (المكان) ، الحصن ، وادي في بلاد قضاعة (صنم) .
.٦٦	مرحب	السعي والترحيب (يرتبط بحمير وهمدان) .
.٦٧	مطعم الطير	
.٦٨	مناة	القدر ، الموت ، الابتلاء بالشيء .

ت	اسم الإله	الدلالة اللغوية
٦٩.	مناف	صفات الاله المرتفع (السماء ، الجو) ، يرتبط بقريش .
٧٠.	منطبق	السموات طباق بعضها على بعض ، غشاه ، غطاه ، عم ، واسع ، مليء ، إذا جمع الليل والنهار سواء بعضه أو معظمه ، ظهور النجوم كلها (يرتبط بشن بن أفصى بن عبد قيس واياد) .
٧١.	نائلة	يرتبط بالماء (الخصب) ، كان صنم لقريش .
٧٢.	نسر	في النجوم النسر الطائر والنسر الواقع ، كوكبان في السماء معروفان على التشبيه بالنسر الطائر (رمز لإله القوة) ، (صنم) .
٧٣.	نهم	بلوغ الهمة في الشيء ، الافراط .
٧٤.	نهيك مجاود الريح	الجهد ، الانهاك ، المبالغة في كل شيء .
٧٥.	هبا	لتراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقاً ، الغبرة ، نجوم استترت بالهباء واحدها هاب (إله الغبار ربما الخماسية) ، يرتبط بغطفان .
٧٦.	هبل	القبلة ، الرحم ، ملك ، بطن من كلب الهبلات .
٧٧.	ود	المودة ، الخير .
٧٨.	يعبوب	الجدول الكثير الماء الشديد الجري ، السحاب .
٧٩.	يعوق	كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا ، ساحل البحر ، النصيب من الماء .
٨٠.	يغوث	البكاء ، الاغاثة .

الفصل الرابع
الطريق الى التوحيد

مدخل :

أتاح التعدد الكبير للآلهة ، وتنوع المعتقدات الدينية الموروثة عن الماضي في شبه الجزيرة العربية ، قاعدة واسعة من الأفكار الدينية ، أثرت بشكل كبير في أديان ومعتقدات وثقافة الأجيال اللاحقة أو تلك التي تَمُتُّ لها بقرابة أو التي تجاورها ، وامتزجت بها في أغلب الأحيان ، إلا أنها لم تغير نمطها الحضاري ، أو تصورها الأولي للدين . ويبدو أن طبيعة سكان شبه جزيرة العرب وبحكم الطبيعة المدارية لها ، كانت تتكون على وفق هذا النمط فهو دائم التأمل في الكون والبحث في ظواهره بواقعية شديدة واضحة ومباشرة . وعندما قادهم حراكهم الاجتماعي إلى أماكن تتنوع طبيعتها خاصة في الأطراف الشمالية ، فإنهم طوروا هذه التصورات تبعا للظروف الجديدة ، وأصبحت الأقوام العاربة التي خرجت لاحقا من شبه الجزيرة أمام هذه التطورات ، فبدأت عملية التمازج من خلال جدل الأصل مع التطور . لهذا أصبح الوطن العربي منطقة غنية بتنوع الأفكار والآلهة على حد سواء ، مما مكن الأقوام العاربة التي توالت على السكن من تطوير نظام ديني خاص مستفيدة من استيعابها لتراث الأجيال التي سبقتها، وفي الغالب فإنها استخدمت هذا النظام الديني في تأسيس نظام سياسي يحقق تطلعاتها ويحفظ نمطها الحضاري وطبيعتها من دون أن يحول بين الأصالة الحضارية ومتطلبات العصر وقتذاك . ويمكن أن نجد صورة لهذا الوضع في تتبعنا لتاريخ هذه الأقوام، وتطورها سواء في الجنوب (اليمن) أم الشمال (الحضر) و(الأنباط) و(تدمر) . غير أن نظاما دينيا وسياسيا في حدود شبه الجزيرة العربية يمثل فكرة خالصة يستوعب الموروث من معبودات الماضي ويشكل إطاراً لتأسيس كيان سياسي موحد ينظم جميع سكان شبه الجزيرة العربية ، ويعبر عن النمط الحضاري بوضوح لم يظهر. إلا أن بعض إرهاصاته وجدت في النظام الديني والسياسي لكيانات سياسية صغيرة استطاعت فرض نفسها على الرغم من صغر حجمها ، وعاشت على ما يسمح به الوضع العام وما تتيحه إمكاناتها من فرص

تأسيس كيان مستقل حتى مع تعقد الظروف حولها وظهور قوى كبرى مهددة ويمكن إيراد (دومة الجندل) مثالاً لذلك [1] .

حددت شبه الجزيرة العربية هوية العربي على الرغم من أن هذه الناحية لم تدرس بعناية حتى الآن ، طالما أن دراسة آثارية شاملة ، ودراسة أنثروبولوجية ، متقصية لم تتحققا َبعدُوللراجح أن طبيعتها كونت نمطاً حضارياً فريداً وقوياً َعزَّزه ُ اتساعها ومكنها مقاومة التحديات الخارجية ، وأسهمت صحراوية شبه الجزيرة ونشاطها الاقتصادي ذو الطابع التجاري في هذا التعزيز . فالتجارة كانت عماد أي تشكيل اجتماعي أو سياسي ظهر في جزيرة العرب من دون استثناء وهكذا أصبحت الطبيعة والتجارة أبرز التحديات التي تفرض نفسها على الحركة الاجتماعية. وتترك لقدرة المجتمع فاعلية توظيف تلك المساحة الواسعة من الخبرة والأفكار في تكوين مركز نفوذ . وإذ كانت الطبيعة المدارية قد كونت لدى العربي خاصية التأمل في الأشياء فالتجارة كونت لديه دقة الملاحظة والواقعية وحيوية التفكير .

مكة :

---

(١) وصفت نقوش حضارة وادي الرافدين أدو ماتو (دومة الجندل) بأنها القلعة الحصينة تقع في الصحراء حيث الظمأ وحيث لا يوجد ماء ولا طعام ويرى موسل ان دومة الجندل إذا كانت مركز الوسط للقبائل العربية الشمالية فان حدود تأثيرها لا بـُ دَّ من ان يصل لأطراف بابل وان طرق التجارة كانت تقدم من بابل بالحبوب والملابس والمواد الأخرى الضرورية لسكان الواحة ويوحي وصف دومة الجندل بكونها قلعة العرب الحصينة إلى تطور نوعي ملحوظ في أساليب الحرب عند العرب حيث لم يسبق اسر حدون أحداً من الملوك في الإشارة إلى قلاع محصنة عند العرب ، ومن ثم فقد يكون بناء القلاع المحصنة من قبل أصحابها العرب زيادة في الاستعدادات العسكرية ضد الآشوريين . كما تشير هذه النقطة من جانب آخر إلى أقوام مستقرين يدافعون عن ممتلكاتهم وأنفسهم من خلال مدينة محصنة ، ولما كانت دومة الجندل تحتل مكانة بارزة على خطوط التجارة ، فقد أضحى الدفاع عنها وتحصينها أمراً ضرورياً من قبل أصحابها العرب . انظر الهاشمي ، العرب ، ص ٦٤٩ ، ٦٧٧ ؛ علي ، المفصل ، ٥٩٠/١ – ٥٩٢ ، ٤ / ٢٣٦ –٢٣٨ ، ٧/ ٣٧١ –٣٧٣.

نجد في حالة مكة صورة للتحديات الطبيعية التي جعلتها منطقة ذات قيمة ارتبطت بحركة التجارة ذات الاتجاهات الأربعة ، ولنا أن نفترض أن لها طبيعة أخرى دينية نجهل بدايتها لكن استمرار تأثيرها في الزمن وصل إلينا ، مستتدا إلى ذكريات مستقرة في عمق الذاكرة التأريخية عن (بيت عتيق) ولقوته يكفي لأن يضعنا أمام مسلمة لا يمكن مناقشتها وهي قدسيتها المستمدة من الدين . وحسب الرواية الدينية عن موضع مكة فهو البقعة الأقدم التي تكونت منذ أن كان الكون ماء [١] . وأن البيت بني في هذا الموضع [٢] على غرار بيت آخر فوقه في مكان ما من الكون ، وأن الناس بدأت الطواف به منذ ذلك الوقت . واستمرت مكانة هذا البيت عندما أهبط الله آدم الى الأرض وبعد الطوفان عندما أمر إبراهيم عليه السلام بإعادة بنائه [٣] ويذكر القرآن الكريم كيفية بناء إبراهيم عليه السلام للبيت . فهو أولاً أبلغ إبراهيم عليه السلام أمره وعد هذا البلاغ أساس العهد معه [٤] . ثم أشر له مكان البيت [٥] ، وخصَّه وأبنه إسماعيل عليه السلام ببناء البيت [٦] .

تدلل فكرة بناء البيت على تحول اجتماعي نحو الاستقرار . والاستقرار في مكة هو نوع من الرمزية التاريخية لحالة استقرار واسعة استثمرت امكانات المكان حول مكة وهي رعوية بالدرجة الأولى فإبراهيم الخليل عليه السلام كان صاحب قطعان ماشية حسب الروايات [٧] ، ولكن حيثما تتوفر عوامل الزراعة تنشأ القرى الزراعية ، وحيثما

---

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٣١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١ / ١٢١-١٢٢ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٩٦ .

(٣) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٣٣-٣٤ ، ٣٦ وما بعدها .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٢٤ .

(٥) سورة الحج ، الآية ٢٦ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١٢٧ .

(٧) الحموي ، معجم ، ١ / ٤٨٣ ، ٤ / ٣٥١ ؛ أنمار نزار عبد اللطيف الحديثي ، شجرات النسب الأولى أصلها وتطورها ، رسالة ماجستير ، (كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٩٨) .

تتوفر المواد الأولية الطبيعية ، أو المحصلة من عناصر انتاج أُخرى ، تتشأ قرى ذات طبيعة صناعية ، فالاستقرار الذي نقل المجتمع الى حالة من الثبات والتحاور مع البيئة ، قاد بالضرورة الى نظام تقسيم عمل اجتماعي أصبحت مكة محوره الأساس الذي لم يكن مركز استقرار زراعي في الأقل في صورته التي وصلت إلينا [١] . فمكة في واد غير ذي زرع ولا ذات خاصية صناعية ، انما هي مثابة البيت فقط والذين جاءوا يحجونه جاءوا ومعهم محصلة نمط إنتاجهم فهي إذن مثابة تجارية لاقتصاد تبادلي متنوع ، ومع ان هذا التحول يرتبط بالزراعة وظهور القرية الزراعية غير أن القرآن الكريم وَضَّح الطبيعة الدينية للاستقرار ، ففي القرآن الكريم حدد الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام وظيفة البيت فهو مثابة للناس [٢] يحجون إليه، ويطوفون ويصلون به ، ويقدمون فيه النذور [٣] من دون الإخلال بطبيعته مركزاً للاستقرار البشري .

وقد عُرف البيت بأسماء متعددة فهو البيت العتيق والمعمور والحرم [٤] . واقترن بالطهارة فاشترط أن يبقى مطهراً [٥] ، كما أصبحت لمكة سمة دينية ، فاحتفظت بموقعها مركزاً دينياً للعرب وفيها بيت إبراهيم عليه السلام وهي مركز أصنامهم ومحور ممارساتهم الدينية [٦] .

قال علي بن الحسين عن البيت : " أما بدء هذا الطواف بهذا البيت فأن الله تبارك وتعالى قال أني جاعل في الأرض خليفة فقالت الملائكة أي رب أخليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ، ويتباغضون ويتباغون ؟ أي رب

---

(١) ابن هشام ، السيرة ، ١/١٣٤ . ذكر ان جرهم وجدت مكة بلداً ذا ماء وشجر .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٥ ؛ الشريف ، مكة ، ص ١٧٤.

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٢٥ ، ١٥٨ ؛ سورة آل عمران ، الآية ٩٧ ؛ سورة المائدة ، الآية ٩٧ ؛ سورة الحج ، الآية ٢٩ ؛ سورة الأنفال ، الآية ٣٥ ؛ سورة قريش ، الآية ٣ .

(٤) سورة الحج ، الآية ٢٩ ، ٣٧ ؛ سورة الطور ، الآية ٤ ؛ سورة إبراهيم ، الآية ٣٧ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٢٥ .

(٦) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٣٣-٣٥ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١ / ١٢٣ وما بعدها .

أجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ، ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ، ولا نتباغى ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك فقال الله تعالى أني أعلم ما لا تعلمون . قال : فظنت الملائكة أن ما قالوا رداً على ربهم عز وجل وأنه قد غضب من قولهم فلاذوا بالعرش . ورفعوا رؤوسهم ، وأشاروا بالأصابع يتضرعون ، ويبكون إشفاقاً لغضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله إليهم فنزلت الرحمة عليهم فوضع الله تعالى تحت العرش بيتاً على أربع أساطين من زبرجد وغشاهن بياقوتة حمراء وسمى ذلك البيت الضراح ثم قال الله تعالى للملائكة طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش قال فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش وصار أهون عليهم من العرش وهو البيت المعمور الذي ذكره الله ﷻ يدخله في كل يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً ثم أن الله سبحانه وتعالى بعث الملائكة فقال لهم ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره فأمر الله سبحانه من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور" [(١)]. وإذا كان القرآن الكريم أخبرنا عن الطبيعة الدينية لمكة والدور الإلهي في بناء البيت فإننا نجهل الكيفية التي نشأت بها الديانة الوثنية عند العرب لأنه من غير المعقول أن يبني الله البيت لقوم لا يؤمنون به ، أو يمارسون ديانة مضادة لديانته . ولنا أن نرجح أن الأقوام التي توالت على سكن مكة وسبقت إبراهيم الخليل عليه السلام كانت وثنية وأنها مصدر هذه الديانة [(٢)] . فحتى الآن لا نملك دراسة أنثروبولوجية تجلي لنا هذه الحاجة. غير أننا نقف في القرآن الكريم على بدء تناقض بين شرائح معينة من الناس وبين الوثنية وعبادة الأصنام وارتباط هذا التناقض بإبراهيم الخليل عليه السلام [(٣)] وفي أور وتحديداً في القرن (١٨ ق. م) الذي أتسم بنشاط الحراك البشري وتزايد ضغط الأقوام العاربة التي

---

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٣٣ – ٣٥ ؛ الآلوسي ، بلوغ ، ١ / ٢٢٨ – ٢٢٩ .

(٢) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ١١٠ ؛ الزبيدي ، تاج ، ٢ / ١٢٥ ؛ علي ، المفصل ، ٣٣٦/١ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٧٤ .

خرجت من شبه جزيرة العرب على الحافات الغربية للفرات على طول امتداده [(١)]، وتُعطي الرواية الدينية انطباعاً عن أن التناقض كان يحوي فيما يحوي اعتراضات على مبدأ التجسيم . فهذه الأقوام تتسم بالبساطة وتتمسك بالجوهر وهي أمور تنسجم مع طبيعة الترحال ، وأن تعقيدات الديانة في مناطق الاستقرار تفجر فيها تناقضات ، كذلك ظاهرة التركيب (البنيوي) في المعتقد الديني الذي أوجد الكثير من الآلهة لا تتضح بسهولة علاقتها بالآلهة الرئيسية .

سكن مكة من الأقوام العاربة طسم والعماليق [(٢)] ، وحسب الروايات فالقومان يتحدران من لاوذ بن سام بن نوح [(٣)] وباستثناء هذه المعلومات فليس ثمة ما يفيد في معرفةٍ حدثية عن إقامتهم فيها ، غير أن الأحداث تتسع عند الحديث عن جرهم التي اعقبتهم في سكنى مكة والسبب هو ارتباط أخبارها بأخبار إبراهيم الخليل وأبنه إسماعيل عليهما السلام وارتباطهما معاً بتاريخ مكة أو لنقل ارتباط الأحداث بعملية البناء الرابعة للبيت على يد إبراهيم وابنه إسماعيل [(٤)] حسب الروايات الدينية .

---

(١) ساكز، عظمة ، ص ١٠٤–١٠٧ .

(٢) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٨٠ ؛ أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن عباس الفاكهي المكي (ت ٢٨٠هـ) ، أخبار مكة قديمه وحديثه ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، (بيروت : دار خضر للطباعة والنشر ، ١٩٩٨) ، ٥/ ١٣٨؛ الطبري ، تاريخ ، ١ / ٢٥٤ ؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٩٧٩) ، ٣٣١/٢ ؛ الفاسي ، العقد، ١/ ٢٩٢؛ العاصمي ، سمط ، ١/ ١٨٧ – ١٨٨ ؛ علي ، المفصل ، ٤ / ١٢ .

(٣) أنظر لوحة رقم (٩) .

(٤) أبن الكلبي ، الأصنام ، ص ٥٤ ؛ الأزرقي ، تاريخ ، ١/ ٥٧ ، ٨٠ ؛ الفاسي، شفاء ، ١/ ٧٤ ، ٢١٧ ؛ أحمد إبراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، (القاهرة : دار الفكر ، ١٩٦٥) ، ص ١٧٣ ؛ محمد علي مختار ، الأزرقي المؤرخ من خلال رواياته ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، (السعودية : مطابع جامعة الرياض ،

سكنت الأقوام القديمة في مكة على ما يبدو في الكهوف [1] فالراجح أن التقديس كان لمكان الكعبة . قال عبد الله بن عباس هذا المكان هو الذي أنزل الله به آدم لما أخرجه من الجنة وأنه أندرس [2] فلما أمر الله إبراهيمعليه السلام ببناء البيت ظلّل له المكان بسحابة [3] . وهذا يعني أن إطلاع العرب على التوحيد تمَّ على يد إبراهيم وأنه وابنه إسماعيل عليه السلام شيدا البيت .

بدأت علاقة إبراهيم عليه السلام بمكة عندما جلب زوجته هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام وهو رضيع ليتركهم في موضع مكة التي كانت وادٍ خالٍ من أي مظهر من

لوحة رقم (٩) [*]

أبناء سام بن نوح

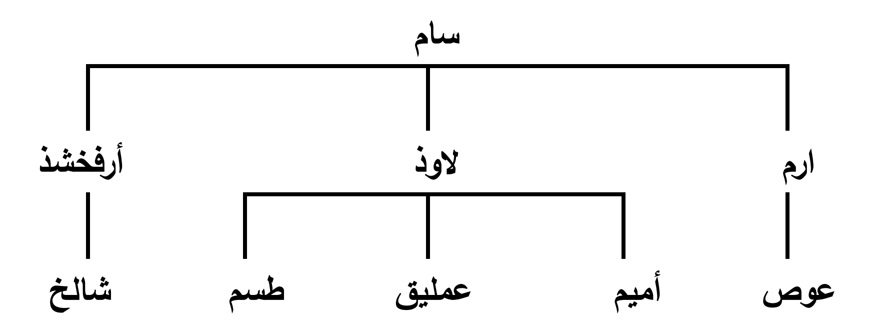
نوح

١٩٧٩) ، ١/٢٠٠. وتذكر الروايات ثلاث عمليات بناء للكعبة سبقت بناء إبراهيم الخليل .

(١) الآلوسي ، بلوغ ، ١ / ٢٣٥ ؛ علي ، المفصل ، ٤ / ٧-٨ .

(٢) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٣٧ . وهناك روايات أُخرى عن نزول آدم في الهند ومناطق أُخرى . انظر الطبري ، تاريخ ، ١ / ١٢١ وما بعدها .

(٣) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٦١ .



(*) نقلا عن تاريخ ابن خلدون .

مظاهر المدنية [١] . ومع اننا لا نعلم متى ابتلى الله إبراهيم عليه السلام بكلماته [٢] إلا أن

(١) سورة ابراهيم ، الآية ٣٧ ؛ الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٥٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١/ ٢٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١ / ٢٥٤ – ٢٥٩ ؛ عز الدين أبو الحسن علي بن أبو كرم بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق كارلوس وهنس ، (بيروت : دار صادر ،١٩٧٩) ، ١٠٣/١ ؛
Ibrahim, M. Merchant Capital and Islam, (University of Texas Press, Austin, 1989), P 35.

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٤ .

سياق الرواية يشير إلى أن ذلك تمَّ في فترة لاحقة لإسكان إبراهيمعليه السلام زوجته وابنه في مكة ، وعندما أمره ببناء البيت فيها وهذه مسألة جديرة بالتفكير فخيار إبراهيم سبق الأمر ببناء البيت .

قال ابن عباس : " لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم جاء الثالثة [جاء إلى مكة] فوجد إسماعيل قاعداً تحت الدوحة التي بناحية البير يبري نبلاً أو نبالاً له فسلم عليه ونزل إليه فقعد معه فقال إبراهيم يا إسماعيل أن الله تعالى قد أمرني بأمر فقال اسماعيل فأطع ربك فيما أمرك فقال إبراهيم يا إسماعيل أمرني ربي أن أبني له بيتاً قال له اسماعيل واين ؟ [يقول ابن عباس] فأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها عليها رضاً من حصباء يأتيها السيل من نواحيها ولا يركبها [يقول ابن عباس] ، فقاما يحفران عن القواعد ويحفرانها ويقولان ربنا تقبل منا أنك سميع الدعاء ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فلما ارتفع البناء وشق على إبراهيم تناوله قرب له إسماعيل هذا الحجر – يعني المقام– فكان يقوم عليه ويبني ويحوله في نواحي البيت حتى انتهى إلى وجه البيت " [1] .

كان إبراهيم صاحب قطعان ماشية [2] كشف تجواله بين العراق والشام ومصر وشبه جزيرة العرب الدور الذي تلعبه الحيوانات في حياة الصحراويين وفي النشاط التجاري ، كما أن حركة الكون في الليل أعادت ترتيب أولوياته الفكرية ، وأتاحت له فرصة للتأمل تتسم بها الطبيعة المدارية ولابد أنه زاوج بين هذه الأمور وبين الطبيعة الدينية لمكة [3] .تعطي الرواية عن صلة إبراهيم بمكة دوراً ضمنياً لهاجر . فبعد أن ترك إبراهيم زوجته وابنه في تلك البقعة قاسية الطبيعة تحملت هاجر المسؤولية وتصرفت ولابد أنها كانت تعي ما خططه زوجها وحتى على افتراض عدم الوعي فلابد انها تصرفت ، وان جهودها اتجهت إلى تأمين

---

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٥٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ١/ ١٠٦ وما بعدها ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢/ ٣٣١ .

(٢) الحموي ، معجم ، ١ / ٤٨٣ ، ٤ / ٣٥١ ؛ أنمار الحديثي ، شجرات ، ص ٧١-٧٢.

(٣) الشريف ، مكة ، ص ٩٩ .

مستقبلها ومستقبل ابنها بتأمين المحيط الذي سينشأ فيه . وأول مستلزمات التأمين هو الماء واستخدمت هذا العنصر في المساومة مع جرهم. فمقابل الماء أصبح على جرهم تأمين الأمن والأنسة لها ولابنها [١] .

وعلى الرغم من كفاءة هاجر في تحقيق هدفها بقي إبراهيم يرصد الأوضاع في مكة ويزور ابنه بين الحين والآخر ويتدخل في حياته [٢] . وقد تعززت العلاقة بين جرهم وهاجر عندما تزوج إسماعيل منهم . كرس إبراهيم البيت للعبادة وأهم شعائرها الحج [٣]فأصبحت مكة قبلةً لأقوام شبه الجزيرة وموقعاً مهماً على طريق الحراك الاجتماعي بين جهات شبه الجزيرة الأربعة وفي التجارة أيضاً . وبسبب نشأة مكة وعلاقتها بالحراك البشري العربي بدءًمن الاتفاق بين هاجر وجرهم ، أصبحت مكة تدين بدينين الأول هو دين إبراهيم (التوحيد) والثاني هو الدين الوضعي القديم قدم الأقوام التي ارتادت مكة قبل جرهم وكانت جرهم تحمل مؤثراته وتدين به عندما استقرت في مكة متفقة مع هاجر .

احتفظ إسماعيل بمكانته في مكة وحواليها [٤] ولدينا اشارات الى ان سكان القرى حول مكة كانوا يدفعون له ضرائب إحداها التمر في اقتصاد تبادلي [٥] . ثم تدهور هذا النفوذ بمرور الزمن وأن جرهم لم تحفظ حقوق أبناء إسماعيل . إذ تتحدث الروايات عن انتزاع جرهم السيادة وأن هذا التطور في الأوضاع أدى إلى هجرة بعض بني إسماعيل من مكة [٦] . ومع أن الروايات بررت

---

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٥٧ ؛ انفرد الفاكهي بأنهم العماليق أنظر أخبار، ١٢١/٥؛ الطبري، تاريخ ، ٢٥٨/١ ؛ العاصمي ، سمط ، ١ / ٢١٩ ؛

Ibrahim, Merchant, P. 35.

(٢) الأزرقي ، تاريخ ١/ ٥٧- ٦٠ ؛ علي ، المفصل ، ١ / ٤٣٥ .

(٣) الفاكهي ، أخبار ، ٥ / ١٢٥ .

(٤) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٨١ ؛ الجميلي ، دور ، ص ٢١ .

(٥) الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٨٧٨ .

(٦) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٨٤ ، ٨٥-٨٦ ، ٩٣ ؛ مختار ، مصادر ، ١/ ٢٠١ ؛ أبن هشام، السيرة ، ١ / ١٣٥ ؛ العاصمي ، سمط ، ١/ ٢٢٣ ؛ الشريف ، مكة ، ص١٠١.

ذلك الخروج بضيق المكان إلا أنه لا يبدو تبريراً مقنعاً ، إذ اتسعت مكة للمحيطين بها ومن خالطهم من العرب ولا بـُدَّ أن هذه التطورات حصلت بسبب أرجحية اقتصادية وبشرية حققتها جرهم . وأن بني إسماعيل شعروا بالحيف لهذا نجدهم في زمن لاحق يقفون إلى جانب خزاعة ضد أخوالهم (١) وهو أمر يرجح وجود خلاف .

يستعرض البكري (٢) انتشار أولاد معد بن عدنان الذين هم صلب بني إسماعيل ويتحدث عن التغييرات في العلاقات بينهم لكنه لا يذكر عن صلتهم بجرهم شيئاً والمفروض ان الأجيال التي تحدث عنها قديمة سبقت خزاعة بكثير وحسب زيجات رجال تلك الأجيال فأن علاقتهم كانت بقبائل معروفة لدينا مثل الأزد وقضاعة وخزاعة من القبائل الخارجية أو قبائل داخلية من بني معد بن عدنان أنفسهم ومع اننا نمتلك إشارة إلى أن ملوك اليمن استخدموا كندة على معد كلها غير ان وضوحاً كافياً في الروايات يفسر الأحداث التي رافقت تلك العلاقة أو تطورت عنها لا يتوفر حتى الآن . وإذا كانت علاقتهم بالأساس بجرهم غير ان تلك العلاقة لا تغطي كل تاريخ بني معد إنما الأجيال التي عاصرت جرهم ما بين إسماعيل وأحفاده بينما تتحدث الروايات عن علاقة بين معد زمن كلاب بن مرة بخزاعة وهي علاقة استمرت إلى زمن قصي بن كلاب . لقد قطع أبناء معد زمناً طويلاً قبل فرض سيطرتهم على مكة ونجهل الكثير عن أحداث ذلك الزمن بين جرهم وخزاعة كما أن عدد الأجيال يتناقض مع الزمن الذي أشره الرواة في رواياتهم .

يجمع معظم الرواة والأخباريين ان خزاعة قوم من أقوام اليمن من الأزد خرجت مع من خرج من الأزد بسبب التغيرات السياسية والاقتصادية التي بدأت اليمن تعاني منها في هذه الحقبة ولبعض الرواة آراؤهم المناقضة التي ترى ان خزاعة من بني

---

(١) أبن الكلبي ، الأصنام ، ص ٨ ؛ أبن هشام ، السيرة ، ١ / ١٣٦ ؛ الفاكهي ، أخبار ، ١٥٣/٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢/ ٣٣٢ ؛ الآلوسي ، بلوغ ، ٢/ ٢٠٠ ؛ مختار ، مصادر ، ١/ ٢٠٣ ؛ الجميلي ، دور ، ص ٢٢ .

(٢) البكري ، معجم ، ١ / ٥١ .

إسماعيل من العدنانية ، وربما من المفيد التنويه بعلاقات الزواج بين خزاعة والمتحدرين من مضر سبقت خروج الازد والمهم في الموضوع أن الحارثة بن عمرو مزيقياء [1] قرر البقاء في مكة بعد انتصار قومه الآزد بقيادة أخيه ثعلبة على جرهم بمساعدة بني إسماعيل ويبدو أن تسمية خزاعة جاءت من هذه الحادثة وهي قرار حارثة بالبقاء في مكة وعدم خروجه مع أخيه [2] ولا تبدو جميع التفسيرات التي ناقشتها الروايات مقنعة وان المسألة تحتاج إلى دراسة ولاشك أنها على صلة بنظام الزواج والقرابة الذي كان سائداً في المنطقة .

أدى انتصار خزاعة [3] على جرهم إلى انتزاعها ولاية البيت وحجابته من دون منازع [4] ، أما أبناء إسماعيل فقد حصلوا نتيجة مساعدتهم لخزاعة على أراضي حول الحرم يسكنون فيها بينما أصبح الحرم امتيازاً لخزاعة صاحبه النفوذ الجديد [5] .

---

(١) وهو حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد آثر البقاء في مكة بعد قرار الأزد بالرحيل منها بقيادة أخيه ثعلبة بسبب الحمى التي اصابتهم أثناء إقامتهم فيها فأنخزعت بنو حارثة عن الأزد وقيل ان سبب تسميتها خزاعة كان بسبب هذا القرار قرار حارثة بن عمرو. ابن الكلبي، نسب ، ٢ / ٣ ، ١١٦ ؛ السويدي ، سبائك ، ص ٦٧ ؛ الجميلي ، قبيلة ، ص ١١٥ ، ١١٨ . ناقش مسألة نسب خزاعة في إطار الروايات التقليدية للنسابة والرواة وبمعزل عن النظام القرابي للمجتمع ونظام الزواج فيه .

(٢) للمزيد من المعلومات ؛ انظر الجميلي ، قبيلة ، ص ١١٣ وما بعدها ؛ مختار ، مصادر ، ١/ ٢٠٣ .

(٣) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٠٠ ؛ الفاكهي ، أخبار ، ٥ / ١٥٥-١٥٦ ؛ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ) ، مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٣) ، ٢ / ٥٦ .

(٤) للمزيد من المعلومات أنظر الجميلي ، قبيلة ، ص ١١٣ وما بعدها .

(٥) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٩٦ ، ١٠٠ .

لقد ظهر ان قرار حارثة بن عمرو البقاء في مكة وإنزال قومه فيها ، أمر لم يخلو من الفطنة أو الرؤية الدقيقة للأمور . فمكة مركز تجاري قديم يقع في تقاطع الطرق التجارية المهمة بين اليمن والشمال وبين شرق الجزيرة وغربها [١] . ويبدو أنه أدرك حاجة هذا الموقع إلى التطوير ، ومع أن مصادرنا لا تقدم صورة واضحة لأعمال حارثة وابنه ربيعه (لحي) . غير أن تركيزهما على أحكام قبضتهم على حجابة البيت الحرام وولاية مكة تعطي فكرة عن الرؤية المستقبلية لهما .

أبقى حارثة بعض جرهم في مكة [٢] لأنه أدرك الحاجة إلى وجودهم وعزز هذا الإجراء بالمصاهرة عندما زوج أبنه ربيعة (لحي) من إحدى نساء جرهم [٣] ، وهي خطوة سياسية تحّيد جرهم ، وتعطيه مرونة في الحركة إزاء الأقوام الأخرى الساكنة في مكة ، قصد السيطرة عليها وربما عقد التحالفات .

كان ثمرة هذا الزواج عمرو بن لحي [٤] الشخصية الثانية بعد أبيه الذي برز اسمه على مسرح الأحداث في مكة ، الذي سيكون لإجراءاته الأثر الكبير في أوضاع مكة والمناطق المجاورة لها [٥] .

ساهمت نشأة عمرو في مكة المركز التجاري مع ما علق في أذهان قومه عن خلفيتهم السابقة في إثراء عقليته التجارية .

ورأى أوضاع مكة وزار الشام والعراق [١] وربما مناطق أخرى ، واستوعب ظروف العرب وعلاقتهم بأقوام أخرى خارجية جعلته يدرك الجوهري في الحياة

---

(١) علي المفصل ، ١٣٧/٧ومابعدها ؛ الشريف ، مكة،ص١٦٦؛ الجميلي ، دور، ص١٢٣.

(٢) الأزرقي ، تاريخ ، ١٠٠/١ ؛ الجميلي ، قبيلة ، ص ١١٤ .

(٣) الأزرقي ، تاريخ ، ١٠٠/١ ؛ الفاكهي ، أخبار ، ٥ / ١٥٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٢٨٥/٢ ؛ العاصمي ، سمط ، ٢٢٧/١ ؛ الجميلي ، قبيلة ، ص ١١٥؛ مختار، مصادر، ١/ ٢٠٤ .

(٤) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٠٠ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٢ / ٢٨٥ ؛ الجميلي ، قبيلة ، ص ١١٥ .

(٥) الشريف ، مكة ، ص ١٠٢ .

الداخلية والعلاقات الخارجية واستخدم هذا كله في تطوير أوضاع مكة ومع أننا نستطيع الافتراض ان إجراءاته كانت ذات هدف تجاري اقتصادي غير انه نجح في وضعها في إطار ديني ليس تلفيقاً أو مناورة إنما وعياً بقوة هذا الإطار لانجاح هدفه الاقتصادي فتنشيط التجارة في مكة لا يتحقق باعتماد أحد الاتجاهين المطروحين في الاعتقاد الديني (توحيد إبراهيم أو الوثنية) إنما بجمعهما معاً .

تطورت أوضاع خزاعة في مكة فلم تعد بحاجة لاستمرار الأوضاع القديمة لهذا أقصى عمرو بن لحي جرهم من مكة ولم يسمح لأي جرهمي في البقاء داخلها [٢] وكافأ أبناء إسماعيل لوقوفهم معه في حربه ضد جرهم فأسكنهم جوار البيت وأبقاهم على وظائفهم الدينية مثل الإجازة والإفاضة والنسي [٣] كشرف ديني يحفظ مكانتهم ولإرضائهم ولاستمالة الأقوام الأخرى الساكنة في مكة .

ويبدو أن السقاية كانت ضمن الوظائف القديمة في مكة وكان بئر زمزم على ما يبدو يكفي للحجاج الذين يحجون مكة . غير ان عمرو حاول تطوير وظيفة السقاية وتوسيعها بزيادة عدد الآبار بما يكفي الحجاج الوافدين إلى مكة ولدينا إشارة إلى بئر الوتير وهو ماء لخزاعة بأسفل مكة [٤] فعمل هو وفرض على الآخرين من سكنة مكة حفر الآبار لشربهم ومن أجل تأمين حاجة الحجاج. وهناك إشارات إلى

---

(١) تذكر الروايات انه اعتل فذهب إلى الشام ليشفى فجلب معه هبل ورواية أخرى ذكرت بأنه ذهب إلى هيت في العراق فجلب معه هبل ويبدو أنه سافر إلى مناطق أخرى عديدة لم تذكرها المصادر قصد التجارة ومعرفة عبادات المناطق العربية المجاورة بقصد جمع معبوداتهم في مكة لتكون مركزاً تجارياً ودينياً في نفس الوقت . ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٨ ؛ الفاكهي ، أخبار ، ٥ / ١٥٤ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٧٩ .

(٢) أبن الكلبي ، الأصنام ، ص ٨ ؛ الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٩٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٢ / ٢٨٤ ؛ الجميلي ، قبيلة ، ص ١١٥ .

(٣) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ٩٦ ، ١٠٠ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٥٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٢/٣٣ ؛ الجميلي ، دور ، ص ٢٤ .

(٤) الفاسي ، العقد ، ص ١٧ .

شخصيات من بني إسماعيل حفرت الآبار في عهد خزاعة فحفر مرة بئر السيرة والروا خارج الحرم وحفر ابنه كلاب (خم ورم) وبئر الجفر خارج مكة وهذا يفيد في تحديد مواضع بني إسماعيل زمن خزاعة وانها كانت خارج الحرم [١] .

تبدو صورة مجتمع مكة في عهد عمرو بن لحي على النحو الآتي . خزاعة تتسيد مكة وتلي شؤون البيت ، ومعها بعض بني إسماعيل حول الحرم ويظهر أنهم الذين حالفوا خزاعة على إخراج جرهم وهم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وربما يعود هذا إلى أبيهم من ازد شنوءة وأبقت خزاعة على صوفة أيضاً وهم بنو الغوث بن مرة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وكانوا يلون الإجازة للناس بالحج (الافاضة من عرفة) ومختلف في أمر صوفة ففي الروايات ان أمه نذرته للكعبة وكانت تضع صوفة في رأسه فُعِف وبنوه بهذا الاسم وقيل ان صوفة قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة [٢] . أما قريش فلم تكن قد ظهرت بعد ويصفهم ابن اسحق بأنهم: " حلول وصرم (جماعات وبيوت متقطعة) وبيوتات متفرقون في قومهم بني كنانة " [٣] .

اتخذ عمرو بن لحي اجراءات أُخرى لتأمين ضيافة ضيوف بيت الله فقرر إطعام الحاج بمكة سدايف الأبل ولحمانها على الثريد [٤] ، وهو أمر ما كان ليتحقق

---

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ٢ / ٢٢٠ ؛ ابن كثير ، البداية ، ٢/ ١٨٥ ؛ الفاسي ، العقد ، ١/ ٩ ؛ الشريف ، مكة ، ص ١٠٢ ؛ الجميلي ، دور ، ص ٢٣ . مر بن كعب ين لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر من الجيل (٢٢) من بني إسماعيل يقابل من خزاعة الجيل (١٨) .

(٢) أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧) ، ١ / ١٧

(٣) ابن هشام ، السيرة ، ١/ ١٠٢ ، ١٣٠-١٣١، ١٣٦، ١٤١.

(٤) الأزرقي ، تاريخ ، ١/ ١٠٠ .

بمعــزل عــن إجــراءات عمــرو فــي تنظــيم النــذور [١] أو مــا يعــرف (بأبـل الهـدي) التـي أصـبحت وسـيلة لتـوفير لحومهـا فضـلاً عـن لحـوم الشـياه للطعام ، وربما الإفادة من وبرها وأصوافها بغية إكساء الحاج في مكة والإفادة أيضاً من جلودها وزيتها . فهو أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحمى وسيب الســائبة وهــي اجــراءات تصــب فــي النــذور الخاصــة (أبل الهدي) [٢] مما ساهم في توظيف ثروة حيوانية كانت غير مشمولة بالاستخدام

---

(١) سـورة المائـدة ، الآيــة ١٠٣ ؛ ابــن هشــام ، السـيرة ، ١١٢/١ ؛ الأزرقــي ، تــاريخ ، ١ / ١٠٠ ؛ الطبري ، تفسير ، ٧ / ٥٦ وما بعدها .

(٢) **البحيرة** :الناقة والشاة يبحرها بحراً شق أُذنيها بنصفين ، وقيل بنصفين طولاً وكانت العرب تفعل ذلك إذا نتجتا عشرة أبطن فلا ينتفع منهما بلبن ولا ظهر ، وتترك البحيرة ترعى وترد المــاء وتحــرم لحمهــا علــى النســاء ويحلــل علــى الرجــال ؛ ابــن منظــور، لســان ، ٤ / ٤٣ . **الوصيلة** : في الشاء خاصة. كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جعلــوه لآلهــتهم فــإذا ولــدت ذكــراً وأنثــى قــالوا وصــلت أخاهــا فلــم يــذبحوا الــذكر لآلهتهم ؛ ابن منظور ، لسان ، ١١ / ٧٢٩ . **الحمى** : الحامي الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود قبل عشرة أبطن ، فإذا بلغ ذلك قالوا هذا حامٍ أي حمي ظهره فيترك لا ينتفع منــه بشــي ولا يمنــع مــن مــاء ولا مرعــى ؛ أبــن منظــور ، لســان ، ١٤ / ٢٠٢ . **السائبة** : البعير يدرك نتاج نتاجه فيسيب ولا يركب ولا يحمل عليه . والسائبة الناقة التي كانت تسيب قبل الإسلام لنذرٍ ونحوه ، وقد قيل هي أم البحيرة فكانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً ، وبحرت أذن بنتها الأخيرة فتسمى البحيرة وهي بمنزلة أمها في أنها سائبة ؛ أبن منظور ، لسان ، ١/ ٤٧٨ ؛ وأنظر أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي (ت ٥٨١هـ) ، الروض الانف ، تحقيق طه عبــد الــرؤوف ســعد ، (القــاهرة : شــركة الطباعــة الفنيــة المتحــدة ، ١٩٧١) ، ١/ ١٠١ .ويرى السهيلي ان رجلاً من مدلج هو أول من بحر البحيرة ؛ القلقشندي ، نهاية ، ص ٤١٦ نسب بني مدلج ؛ الطبري ، تفسير ، ٧ / ٥٧ وما بعدها ؛ أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني التميمي (ت ٥٦٢هـ) ، الأنساب ، تحقيق عبد عمر البــارودي ، (بيــروت : دار الفكــر ، ١٩٩٨) ، ٢/ ٣٥٨ ؛ الآلوســي ،

قبل ذلك في مكة وظهور الكسوة سواء للبيت أو الاستخدام البشري إذ تذكر الرواية أنه كسى الحجاج من البرود اليمنية [1] فضلاً عن توفير الجلود والزيت .

وتذكر النصوص أن عمرو بن لحي وزع في أحد أعوام المجاعة عشرة آلاف ناقة بين العرب [2] وهذا الرقم مبالغ فيه ولا شك إلا ان هذا العمل يعكس إحساس عمرو بما هو واجب على أهل مكة لإرضاء ربهم بعدّهم أهل البيت (بيت الله الحرام) والحجاج ضيوف البيت أي ضيوف الله .

التنظيم الديني الجديد :

وجد عمرو بن لحي أن اقتصار مكة على دين الحنيفية (دين إبراهيم) يجعلها محدودة الأهمية ضعيفة الشأن ويحجم دورها في مجتمع وثني يحيط بها فاتجه إلى التوفيق بين دين إبراهيم وبين أديان العرب الوثنية فجعل التوحيد الإطار العام لأديان العرب ورمزه (البيت) ، وعُدّ آلهة القبائل جزء من المنظومة التي يؤطرها التوحيد وان الأصنام هي التعبير عنها وبين الاثنين قاسم مشترك هو التعظيم والحج فسعى الى جمعها بوضع الأصنام في البيت الحرام وجمعها في ممارسة حج واحدة [3] . والراجح أنه كان يفكر باحتواء العرب جميعاً وإبقائهم بعيدين عن اليهودية والنصرانية اللتان تعتنقهما أو تساندهما القوى الكبرى ذات النفوذ وتبشر بهما أو تمنحهما حمايتها الرسمية لاسيما بعد ضعف دور اليمن ، وظهور محاولات فرض التجزئة على العرب .

بلوغ ، ٣/ ٣٦-٤٠ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٢٠٣ وما بعدها ؛ العلي، محاضرات ، ص ٢٢٥ – ٢٣٤ .

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٠٠ ؛ سلامة ، قريش ، ٢٧٨ .

(٢) الأزرقي ، تاريخ ، ١/١٠٠ ؛ سلامة ، قريش ، ص ٢٧٨ .

(٣) الشريف ، مكة ، ص ١٠٢ .

أتجه عمرو بن لحي إلى إدخال عبادة الأصنام في مكة إلى جانب التوحيد ولدينا إشارة إلى أنه جلب هبل من هيت وقيل من البلقاء [١] واستحدث بعض الأصنام مثل اللات والعزى ومناة حسب زعم الروايات [٢] . وهو الذي أخرج أصنام قوم نوح بعد أن عفى عليها الزمن [٣] . وأخرج أساف ونائلة ونصبهما في موضع يقال له الحطيم وقيل على الصفا والمروة [٤] . ونصب ذو الخلصة بأسفل مكة [٥] ، ونصب نهيك مجاود الريح على الصفا ومطعم الطير على المروة [٦] . وكان له دور مباشر في تنصيب سبعة أصنام في منى بيد ان رواية الأزرقي عن ابن اسحق لم تشر الى اسماء تلك الأصنام وأكدت فقط أماكنها . فنصب عمرو صنماً على القرين الذي بين مسجد منى والجمرة الاولى على بعض الطريق ، ونصب على الجمرة الاولى صنما ، وعلى المدعا صنما ، وعلى الجمرة الوسطى صنما ، ونصب على شفير الوادي صنما ، وفوق الجمرة العظمى صنما ، وعلى الجمرة العظمى صنما [٧]

---

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٩٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١/ ٢١٧ ؛ المسعودي ، مروج ، ٢ / ٢٣٨ ؛ أبو الفداء ، تاريخ ، ١ / ١٢٤ ؛ علي ، المفصل ، ٦ / ٢٥٠ وما بعدها ؛ خير الدين الزركلي ، الاعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين) ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٩) ، ٥/ ٨٤ .

(٢) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٣) أبن الكلبي ، الأصنام ، ص ٥٤ وما بعدها ؛ الفاكهي ، أخبار ، ٥ / ١٦١ ؛ السويدي ، سبائك ، ص ١٠٤ ؛ علي ، تاريخ ، ٥/ ٧٣ – ٧٥ .

(٤) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١١٩ وما بعدها ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١/ ٢١٧ ؛ البكر ، معجم ، ص ٣ .

(٥) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٢٤ .

(٦) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٢٤ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ١/ ٢١٧ ؛ علي ، تاريخ ، ٥ / ١١٧ .

(٧) الأزرقي ، تاريخ ، ٢ / ١٧٦ ؛ العلي ، محاضرات ، ص ١٨٠ – ١٨١.

. وتعطي الروايات انطباعاً عن علاقة عمرو بن لحي بادخال عبادة (٣٦٠) صنما إلى مكة [١] .

تدل هذه الروايات دلالة واضحة على اتساع عدد المعبودات وهو أمر يكشف تدني مستوى الوعي أو سذاجة المعتقد . فالأرجح ان هذه الآلهة هي من نوع الصفات أو من الصغر الى حد التعبير عن قضية غير مهمة الا في عقلية التجزئة . غير أن عمرو بن لحي وجد أن جمع العرب يقتضي هذه الخطوة التي بموجبها يصبح بيت الله مجمعاً لآلهة العرب وتتعايش الحنيفية مع آلهة العرب تحت هذه الخيمة ، وهو أمر فعال في اجتذاب الأقوام العربية إلى مكة لما كانت تظهره من التقدير لهذه الآلهة والحج إليها بمعنى آخر أنه كان يهدف إلى جمع الصلات الدينية مع الصلات الاقتصادية . وإكثار القواسم المشتركة بين العرب على اختلاف آلهتهم ومعبوداتهم ، وبين مكة من أجل توسيع حجم الحج إلى مكة وهو أمر يصب في زيادة النذور (ابل الهدي) فيوفر ظروف حياتيه لأهل مكة ويؤدي إلى نشاط التجارة واستهلاك البضائع .

تكشف لوحة رقم (١٠) المستجيبين لعمرو بن لحي [٢] والآلهة التي عبدوها عن حجم التنظيم الاجتماعي الذي ارتكز عليه التنظيم الديني غير أننا لا نملك فكرة عن نوع الإجراءات الإدارية أو السياسية التي اتبعها في ضوء الإجراءات الدينية . ولا ثمة معلومات عن تحالفات يمكن أن تفيد في فهم طبيعة الإجراءات الأخرى غير أن ما قام به في حدود الوظائف وتأمين المياه ، واستحداث الرفادة وإكساء الحجيج وتنظيم مسألة (الهدي) تدلل على رؤية للأمور تهدف إلى تعزيز وضع مكة ومكانة خزاعة وقيادة عمرو بن لحي وهي أمور كان لها الأثر الكبير في توجيه أنظار العرب إلى مكة في وقت تساقطت فيه الدويلات العربية وأفل نفوذ اليمن مما أتاح نوعاً من الحراك الاجتماعي (اقتصادي – ديني) وسط الإمبراطوريات الكبرى ومحاولتها فرض سياستها وأنظمتها الدينية على المنطقة

---

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١١٦ – ١١٧ ؛ علي ، المفصل ، ٤ / ٨٠ .

(٢) مختار ، مصادر ، ١ / ٢٠٩ وما بعدها .

العربية خاصة وأن منطقة شبه الجزيرة كانت وما زالت تتمتع بأهمية كبيرة من حيث توسطها الطرق التجارية وتخصص العرب بتجارة البضائع الحضارية المهمة مثل البخور واللبان .

أدرك عمرو بن لحي الحاجة إلى دور تجاري وكيان سياسي يصلح قاعدة لنظام عربي جديد في مكة والظاهر أنه نجح في ذلك، فما بدأه عمرو بن لحي من تنظيمات تخص الحج وتنشيط التجارة وتنمية الثروة ساهم بشكل فعال في تطوير مكانة مكة .وأدت إجراءاته الدينية دوراً في شد القبائل إلى مكة من خلال توزيع

الآلهة وتعيين السدنة والكهان وتطوير النذور وتنشيط الحج ونشوء الأسواق والدور التجاري سواء في الطرق التجارية أم الأسواق على اختلاف حجومها وأعظمها سوق عكاظ .

لم يقتصر أثر إجراءات عمرو بن لحي على تعاظم أهمية مكة وازدياد مكانتها بين العرب ، ودورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، إنما تجاوز ذلك إلى حد أصبح العرب ينظرون إلى الكعبة نظرة تقدير وتعظيم فكان لسان حال العرب يقول " لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه " (١) . ومع ان الروايات أشارت إلى اتخاذ العرب بيوتاً عُوفت بالطواغيت وسماها البعض كعبات (٢). إلا ان نظرتهم إلى الكعبة كانت تختلف فعندما أراد عبد الدار بن حديب الجهني ان يبني بيتاً " في الحوراء من بلاد جهينة يضاهي به الكعبة " رفض قومه إعظاماً للكعبة " (٣) وشبيه بهذا ما فعله ظالم بن اسعد بن ربيعة بن مالك بن مرة بن عوف الغطفاني عندما بنى بيت (بس) على غرار الكعبة ونقل لها حجارة من الصفا

---

(١) الحموي ، معجم ، ٤ / ٦١٦ .

(٢) والكعبات التي ذكرتها الروايات هي : كعبة اياد في سنداد بين الكوفة والبصرة ، كعبة الحارث بن كعب في نجران ، بيت ذو الخلصة في تبالة بين مكة واليمن (الكعبة اليمانية) ، بيت عبد رضى ، بيت العزى في حراض بني سليم ، بيت اللات لثقيف في الطائف ، بيت مناة في المشلل بين المدينة ومكة ، بيت ريام لحمير في صنعاء ؛ انظر ابن الكلبي ، الأصنام ، على التوالي الصفحات ٤٥ ، ٤٤، ٤٣ ، ٣٠،١٧ – ٢٢،٢٧ ، ١٦،١٣ –١٥،١١ ؛ ابن هشام ،السيرة ، ١ / ١٠٦ .

(٣) ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٤٥ .

والمروة حدد بها المسعى ليثني قومه عن الحج فأغار عليه زهير بن جناب الكلبي فقتله وهدم بيته [١] .

وأدت هذه الإجراءات إلى تغيرات سكانية لصالح النظام الجديد فظهرت مراكز نفوذ مؤازرة لمكة ساهمت بشكل فعال في تنشيط مكانة مكة لتصبح ذات قيمة . ولابد أن الحج الذي تطور وظيفياً صاحبه تطور عددي في شكل زيادة للحجاج وزيادة في تصريف البضائع وزيادة ثروة مكة من الحيوانات المهداة . فأصبحت مكة مركز قيادة حراك عربي ديني وتجاري وسياسي واجتماعي .

ظهر لإجراءات عمرو بن لحي أثرها في حياة مكة وحياة العرب في شبه الجزيرة العربية . وكان الدور الذي لعبه عمرو في الأحداث انه رسم صورة لمستقبل أمة كانت مقومات نشوءها حاضرة غير انها لم تكن فاعلة وكان لإجراءات عمرو أثرها في تجميع تلك المقومات وتفعيلها وتحويلها إلى واقع تأريخي ، وضع مستوى من الوعي بواقع عربي له مساره التاريخي الخاص ومع ان هذه الرؤية لدور عمرو بن لحي لا تتفق مع التفسير الديني للتاريخ الذي نظر إلى إجراءات عمرو بن لحي نظرة آحادية الجانب ومن زاوية الأصنام . إلا أن هذا التفسير يهمل قيمة الرابط بين أديان العرب وبين قيمة ومكانة البيت العتيق لاسيما إذا تذكرنا رواية ابن إسحاق عن وثنية بني إسماعيل .

انتهت سيطرة خزاعة على مكة في أواخر القرن الخامس الميلادي [٢] ومع ان الروايات ساقت الحدث من دون التوقف عنده بما يكفي ليكشف أسبابه الجوهرية ، إلا أنه كان حدثاً غير اعتيادي فهو يعني انهيار قوة خزاعة أمام قوة جديدة (قبيلة قريش) لم تكن موجودة بفاعلية قبل قصي وتم تشكيلها في ظرف ارتبط بهدف من دون أن نعرف أين تمت عملية التشكيل إذ من غير المعقول أن تسمح خزاعة بتشكيل قوة في مكة تلتقي مع قوة قادمة من تيماء خارج مكة (بني عذرة) لتنتزع مكة من سيطرتها من دون أن تتحرك . والراجح أن سيطرة خزاعة

---

(١) علي ، المفصل ، ٦ / ٤٤٤ .

(٢) الجميلي ، الأزد ، ص ١٤٦ ، ١٦٣ .

ضعفت داخلياً ربما لأن إجراءات عمرو بن لحي لم تتطور بما يلائم الأوضاع الجديدة في مكة أو حواليها ، وربما ان سقوط اليمن بيد الأحباش أفقد خزاعة القوة التي كانت ترتكز عليها وأُطلق بدء تغيرات كانت قضاعة الأقرب لها من خلال قصي وتشكيله ذراع قوة في مكة لاسيما وان علاقات المصاهرة بين قريش وقضاعة كانت مستمرة فاختارت التحالف معه كي ينفذ أهدافها . جميع هذه الاحتمالات واردة غير أنها تحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي لإثباتها . المهم أن حدث إنهاء سيطرة خزاعة على مكة ترافق مع نجاح الأحباش في فرض الاحتلال على اليمن وإطلاق يد الرومان في الشمال الأمر الذي أثر على توازن القوى في الجزيرة [١] ، ومع أننا لا نعرف كم استغرقت الأوضاع الجديدة لتنضج وتظهر نتائجها ، إلا أن الحركة التي قام بها قصي بن كلاب بمعونة بني عذرة في منطقة تيماء لانتزاع السيادة على مكة من يد خزاعة يرجح هذا الاحتمال . فخطوته هي الاولى من نوعها وهي النتيجة التي تأخر ظهورها كثيرا بعد يوم خزاز [٢] ، ويبدو انها ما كانت لتظهر لولا التطورات الجديدة . وجاء ظهورها بمعونة قضاعة التي تستقر في الشمال مجاورة للنفوذ البيزنطي .

لا نعرف أيضاً الكثير عن وضع قريش وقصي قبل انتزاع السيادة على مكة من يد خزاعة . ولا الزمن الذي استغرقه في تجميع بطون قريش والانقضاض على مكة غير أن قصي مَثّلَ جيلاً جديداً من القادة فكانت له مواهبه وأبرزها قراءته

---

(1) Ibrahim , Merchant , P 40.

(٢) خزاز : يعد يوم خزاز من أهم الأيام العربية خاصة للقبائل العدنانية حيث انتصرت فيه ولأول مرة على القبائل اليمانية وتخلصت من حكم اليمن . ووصف جواد علي هذا اليوم بأنه من أيام معد الكبرى قبل الإسلام وانه كان لجموع ربيعة ومضر وقضاعة على مذحج وغيرهم من اليمن وقد اختلف الرواة في هذا اليوم من حيث قائد قبائل معد وملك اليمن والأسباب التي أدت إليها . انظر أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩هـ) ، كتاب أيام العرب قبل الإسلام (ملتقطات من الكتب والمخطوطات) ، عادل جاسم البياتي ، (بغداد : مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر ، ١٩٧٦) ، ص ٣٧٩ وما بعدها ؛ أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق د. عبد المجيد الترحيني ، ط٣ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧) ، ٦/ ٩٧ ؛ الحموي ، معجم ، ٢ / ٤٣٢ – ٤٣٣ ؛ علي ، المفصل ، ٥/ ٣٤٧ وما بعدها .

للأحداث العالمية والتوفيق بين ما يريد وما تساعد عليه هذه الأحداث . يبدو ان سياسة قصي كانت في اتجاهين الأول توحيد قريش وتجميعها والثاني انتزاع مواقع أفضل في مكة وكانت خطوته في محاربة صوفة والتغلب عليهم خطوة مهمة لأنها قادت إلى التفرد بخزاعة وبكر [١] .

سار قصي بن كلاب على نهج عمرو بن لحي وطبق معظم أفكاره ضمن الإطار العام للفهم الذي تحدثنا عنه لتطوير مكة . وأضاف إلى هذا الإطار السبل الكفيلة بتسريع عجلة التقدم. وكانت أعماله إكمالاً للأساس الذي أرساه عمرو. ولم يخالفه فيما فعل ، فرغم كونه من أبناء اسماعيل الا انه لم يلغ عبادة الأوثان التي قيل ان عمرو بن لحي جاء بها ، على العكس طّورها عندما نقل اساف ونائلة الى الكعبة . فكان بناؤه متينا رصيناً . ولأنه أجاد اقتناص اللحظة المواتية للنقلة المهمة في حياة مكة فقد نجح في توظيف التحولات الخارجية لصالح مشروعه .

سار قصي في نفس المسار الذي ساره عمرو بن لحي فاهتم بالجبهة الداخلية لمكة ، وعد ذلك أساس اكتساب احترام المجاورين . وكما فعلت خزاعة عندما انتصرت على جرهم بزواج لحي من ابنه مضاض الجرهمي تزوج قصي من حبى ابنة حبشية وهي مصاهرة سياسية [٢]، أبقى نفوذ خزاعة إكراماً منه لقوم عمرو الذين حفظوا حرمة أبناء إسماعيل ، فأبقاهم على ربوعهم [٣] غير أن انتماءه إلى إسماعيل فرض عليه أخذ الولاية وحجابة البيت فضلاً عن الوظائف الأخرى (السدانة والنسيء والإفاضة) لأنه كان يعتقد بأحقية أبناء إسماعيل بهذه الوظائف فأسند الإجازة لآل صفوان والتحكيم لآل عدوان وأقر النسأة (لبني حذيفة ابن عبد بن قثيم من كنانة ومرة بن عوف) على ما كان عليه من البسل [٤] . غير أنه طوَّر أسلوب ممارستها . وحقق نقلة حضارية عندما نقل السكن من الجبل إلى الوادي في الحرم حول الكعبة

---

(١) ابن هشام ، السيرة ، ١/ ١٤٧ – ١٤٨ .

(٢) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٠٥ ؛

Ibrahim , Merchant , P. 40.

(٣) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٠٧ ؛ الجميلي ، دور ، ص ٣٠ .

(٤) ابن هشام ، السيرة ، ١ /٦٢-٦٤، ١٢٦، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨.

[1] وقام بتقسيم الحرم إلى أرباع أسكن فيها بطون قريش الأقرب له وعلى الأرجح هي البطون التي تحالفت معه (قريش البطاح) [2]. وأمرهم بقطع الشجر وبناء الدور فنقل أهل مكة نقلة حضارية من الكهوف إلى المساكن وظهرت مدينة مكة المستقر الجديد [3] ، ووزع البطون الأخرى حولها (الظواهر) [4] . ويكشف خطابه النظرة الجديدة في القيادة : " أرى أن تصبحوا بأجمعكم في الحرم حول البيت فوالله لا تستحل العرب قتالكم ولا يستطيعون إخراجكم منه وتسكنونه فتسودوا العرب أبداً " [5] . فهو إذا ربط لأول مرة بين التخطيط الحضري والدين واستخدم فكرة الحرم لتكريس سيادة قريش . واستحدث دار الندوة فأوجد مجلس إدارة مكة [6] . وزادت الحاجة إلى الماء فاتجه قصي إلى حفر الآبار كبئر العجول وبئر آخر عند الردم الأعلى [7] . ويبدو ان قادة مكة ومتنفذيها استمروا بعد قصي بحفر الآبار فضلاً عن الاهتمام بسقاية الحاج [8] . ففي حين وضع قصي بن كلاب حياضاً من أدم يسقي منها الماء

---

(١) الجميلي ، دور ، ص ٣٠ – ٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣١ .

(٦) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٠٧ ؛ الطبري ، تاريخ ، ٢ / ٢٥٨ ؛ الجميلي ، دور ، ص ١٩٠ – ١٩٣ ؛ Ibrahim , Merchant , P 39 .

(٧) الأزرقي ، تاريخ ، ٢ / ٢١٥ – ٢١٦ ؛ أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٠هـ) ، فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله وعمر أنيس الطباع ، (بيروت : دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٧) ، ص٦٤ ؛ الشريف ، مكة ، ص ١٧٠؛ الجميلي ، دور، ص ٣٢ ؛ Ibrahim, Merchant, P 39.

(٨) الأزرقي ، تاريخ ، ٢ / ٢١٦ وما بعدها ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٦٥ وما بعدها ؛ Ibrahim , Merchant , P. 39.

العذب [١] . زاد خلفاؤه هذا الاهتمام حيث تشير المصادر إلى أنهم كانوا يأتون بالزبيب من الطائف ويمزجوه بالماء ليكسر غلظ الماء فيسقون الحاج منه [٢] .

طور قصي وظيفة الرفادة التي كانت في زمن عمرو بن لحي تكفيها أبل الهدي فأصبحت في زمن قصي غير كافية فأكد قصي ما عمل به عمرو سابقاً فقال لقريش : " أنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وأن الحاج ضيف الله وزوار الله وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا له طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم " [٣] .فبدأ كل شخص من قريش يخرج ما يقدر عليه فيجمع من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم فيشترون للحاج الجزور والطعام [٤] .

ومن تنظيمات قصي بن كلاب الأخرى عقد الأحلاف [٥] التي أصبحت أساس الإيلاف لاحقاً وأنشأ وظيفة عسكرية لأول مرة (اللواء) [٦] ولم يظهر تناقضاً مع إجراءات عمرو في الجمع بين الوثنية والتوحيد فأسماء أبنائه تحمل أسماء آلهة وثنية (عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد شمس ، وعبد قصي) [٧] بل أنه تدخل في تحديد قيمة الأصنام كما فعل بأساف ونائلة [٨] .

استمرت الوثنية في مكة حتى نهاية القرن السادس الميلادي ، وانتهت بثورة الإسلام . وفي الإسلام لدينا مسألتين مهمتين ذات صلة بالوثنية الأولى تتعلق بطبيعتها من خلال المقارنات التي حواها القرآن الكريم بين التوحيد والوثنية والثانية

---

(١) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١١٠ ؛ الجميلي ، دور ، ص ١٨٢ .
(٢) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١١٣ – ١١٤ ؛ الجميلي ، دور ، ص ١٨٣ .
(٣) الأزرقي ، تاريخ ، ١ / ١٩٥ ؛ الطبري ، تاريخ ،١ / ٢٦٠ ؛ الجميلي ، دور ، ص ١٨٤ .
(٤) الأزرقي ، تاريخ ، ١٩٥/١ ؛ الطبري ، تاريخ ، ١/ ٢٦٠؛ الشريف ، مكة ، ص ١٧٠.
(٥) الجميلي ، دور ، ص ٦٥ وما بعدها ، ١٣٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ – ١٨٩ .
(٧) الزبيري ، نسب ، ص ١٤ .
(٨) الأزرقي ، تاريخ ، ص ١٢٠ .

تتعلق بتصور للعرب للوثنية من خلال المعلومات التي دونوها عن الوثنية في القرنين الأول والثاني من الهجرة .

يكشف القرآن الكريم أحد أبرز العناصر المشكلة للوثنية وعبادة الأصنام وهو (الوراثة) أو مبدأ الاعتياد بالوراثة فالناس وجدت آبائها على دين فاعتنقته وراثةً واعتياداً [١] . غير أن هذا لا يعني ان الوثنية احتفظت بثبات مطلق إنما نسبي وان حيويتها التي أشار لها القرآن الكريم تعود إلى الحقبة التي سبقت الإسلام التي اصطلح عليها بالجاهلية وليست الجاهلية الأولى فكانت الوثنية التي أشار لها القرآن هي ما ارتبط بحيوية المرحلة من تاريخ مكة زمن هاشم بن عبد مناف الذي خرج بالنظام العربي من إطاره القومي إلى إطاره العالمي بعقده الاتفاقيات .

وإلى جانب حيوية الوثنية كانت ديانة إبراهيم الخليل هي الأخرى تتمتع بحيوية ربما كانت بسيطة لكنها ذات طبيعة توليدية أبقتها مرتبطة بالمستقبل ويشير ابن إسحاق [٢] إلى مؤتمر للمعارضين للوثنية في مكة : " اجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكانذلك عيداً لهم ، في كل سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة نفر نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكتم بعضكم على بعض . قالوا أجل . وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب ، وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي . وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٠ ؛ سورة المائدة ، الآية ١٠٤ ؛ سورة يونس ، الآية ٧٨؛ سورة الأنبياء ، الآية ٥٣ ؛ سورة لقمان ، الآية ٢١ ؛ سورة الأعراف ، الآية ٧١؛ سورة يوسف ، الآية ٤٠ ؛ سورة النجم ، الآية ٢٣ ؛ لمزيد من المعلومات انظر عبد الباقي ، المعجم ، ص ٣-٤ .

(٢) ابن هشام ، السيرة ، ١/ ٢٥٣ .

قومكم على شيء لقد اخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لأنفسكم فأنكم والله ما أنتم على شيء . فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم " . وكانوا في تجوالهم وبحثهم إنما ينشرون وعياً بالتغيير ويبشرون به .

يمكن القول ان هذه النتيجة كانت محصلة للتطور الذي حصل في الاعتقاد الديني في مكة من الآلهة المستقلة أو المحلية أو القبلية إلى الآلهة المشتركة ومن الاله القائم بذاته إلى الاله الصفة ثم الاله الوسيط ثم الاله الابن وفي كل الأحوال يبقى هذا الإله محدود الحيز وليس مطلق . الإسلام هو الذي نقل الوعي إلى مستوى الإيمان بأن هناك الهاً مطلقاً واحداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

الخاتمة

كان الاعتقاد بوجود الآخر القوي الغامض قائماً في حياة الناس ، وفي وقت مبكر من الاستقرار بدأ يأخذ شكل نظام يرافق التطور التاريخي لبيولوجية الإنسان ولتطور حياته اليومية . فهذا الإنسان الذي عاش في الوطن العربي وحمل خاصيته الجوهرية . كان دائم التأمل والإدراك والسيطرة وكانت مدركاته تخضع لعملية تطبيق في حياته اليومية وتطوير السيطرة على ظرفه الذاتي الخاص والموضوعي العام . وكانت معتقداته الدينية تخضع لهذه الخاصية فكان دائم التطوير لها ، ويبدو ان إطلاق مصطلح (الديانة الوضعية) على تلك المعتقدات كان دقيقاً فهي من وضع الإنسان وقد أوحى القرآن الكريم بهذا الوصف بقوله : " ما هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم " . بعدما شكلت الديانة العليا (السماوية)حداً فاصلاً لتلك الديانة .

يمكن القول ان الالمام بتفاصيل الديانة الوضعية في الوطن العربي يكتسب وضوحاً في المراحل المبكرة من العصور التاريخية حيث كانت الرقم والنقوش والبرديات تؤدي وظيفتها في التسجيل إلى جانب الموروث الكبير في المعابد والمصورات على جدرانها أو ما حوته مما له علاقة بالدين . غير إننا وكلما تقدمنا نحو الإسلام خاصة بعد احتلال الاخمينيين لبابل ثم مصر بدءاً من عام (٥٣٩ ق. م) . وبعدما أصبحت الذاكرة هي وسيلة الحفظ وقل أو تضائل دور الوثيقة التاريخية المكتوبة أصبح من الصعب الحصول على معلومات لهذا كان على هذه الدراسة أن تذهب نحو تكوين قاعدة معلومات رئيسة ننطلق منها وكانت حصيلة ذلك جيدة ومفيدة .

لقد أظهرت الدراسة تمحور الاعتقاد الديني على مسألة جوهرية مباشرة هي (الماء) و(الطين) الماء الغامر في أرض الحضارة الأولى والطين المتكون المشكل للروابي الأولى وارتبط تفكير الإنسان بهذه النشأة وتطور تبعاً لتطور الرابية على حساب للماء وأصبح تطور هذا الاعتقاد موضوعاً أدبياً متكاملاً أُطلق عليه (قصة الخليقة) . تعكس في خلفيتها التعقيد الذي اتسمت به المنظومة الأساطيرية التي كونها الإنسان لنفسه وتعكس أيضاً تعقيد الحياة اليومية وعمق المعاناة في ابتكار الحضارة نفسها ويعكس مجمع الالهة بنظامه وفلسفته ذروة هذا التعقيد إذ ليس سهلاً تصور الدوافع وراء ترتيب الآلهة قيمياً ولا وراء إعادة الترتيب مع التطور التاريخي

وإذا كان الإنسان بدءاً من الرابية الأولى فأنه لم يلبث ان انتقل إلى الكون بعدما تكامل إدراكه للقوى التي تنظم الحياة في الكون لهذا أصبحت معتقداته كوكبية واستقرت في أسرة إلهة اعتقد أن عناصر الحياة محصلة جهودها .

لقد تداول إنسان الوطن العربي هذا الإرث الديني وتعامل معه متمثلاً ومستوعباً ومتواصلاً وإذا ظهرت ثمة فروق هنا وهناك فهي نتيجة طبيعة الحياة ونظام العمل الاجتماعي غير ان القاسم المشترك كان الاحتفاظ بجوهر الاعتقاد الديني وبدوره المؤسس للنظام الاجتماعي في مجاليه السياسي والثقافي .

تضمنت قاعدة المعلومات التي تم بنائها ثمانون إلهاً عرفها العرب قبل الإسلام وراثة أو ابتكاراً ، ثم تكوينها اعتماداً على المصادر التي اهتمت بهذا الموضوع بدءاً من ابن الكلبي وكتابه (الأصنام) وصولاً إلى آخر جهد علمي .

وكشف التعامل مع قاعدة المعلومات عن أمور عديدة لعل في مقدمتها عجز اللغويين العرب عن تحديد الدلالة اللغوية لكثير من مسميات تلك الآلهة خاصة مما تقادم عليه الزمن وقد اثر هذا العجز في مرونة تصنيف الآلهة حسب طبيعتها فاسم الإله ليس لفظاً مجرداً إنما له دلالة على طبيعة الإله وتخصصه في الحياة وثقل تأثيره في الإنسان بحيث يجعله يعبده انه انثروبولوجياً مرحلة من مراحل تطور التاريخ البشري . وعموماً كانت تفسيراتهم اللغوية لهذه المفردات مفيدة في تحديد دلالتها أو صفاتها أو طبيعتها وان لم يكن ذلك مباشراً ، فحسب الجدول رقم (١) يظهر لنا ان حقلين من حقول المعلومات المطلوبة حول معابد الآلهة أو الرموز التي رَمزَّها الأولون لم يكن من السهل ملؤها فمثلاً لم يذكروا رموزاً إلا لثلاثة عشر اله ولم يذكروا معابد إلا (لاثنين وعشرين) أما المعلومات الخاصة بالقبائل التي عبدت الآلهة وأماكن استقرارها فليس ثمة نقص يمكن تسجيله .

ويكشف الجدول رقم (٢) الخاص بالتوزيع الجغرافي حسب أقسام شبه الجزيرة الثلاثة (الجنوب والغرب والشرق) أن غرب الجزيرة اختص بعبادة (٢١) إلهاً واشترك مع اليمن في (١٢) إله ومع شرق الجزيرة في (٦) آلهة بينما تفرد اليمن بعبادة (١٧) إلهاً وشرق الجزيرة في (٧) آلهة .

ويكشف الجدول رقم (٣) الخاص بتوزيع الالهة على القبائل وفقاً للتصنيف التقليدي (قحطان وعدنان) على الرغم من ملاحظاتي الكثيرة على هذا التصنيف . ان القبائل القحطانية عرفت (٧٠) إلهاً من مجموع الآلهة المثبتة في جدول رقم (١) بينما عرفت القبائل العدنانية (٦٤) إلهاً . وحسب الجداول التحليلية فتصنيف الآلهة حسب طبيعتها يكشف ان الغالبية ترتبط بالكواكب (١٥ إله) وإذا عددنا الكواكب مما يرتبط بالكون والزمن فالعدد يزداد إلى (٢٧) إلهاً في حين كان (٦) آلهة ترتبط بالماء وأربعة بالحيوان وثلاثة بالشجر وواحد بالرياح وذكر (أحد عشر إلهاً) من الحجر ووثن واحد . وهذا يعطي فكرة عن الطبيعة المدارية للوطن العربي التي ربطت إنسانه بالكون وبالكواكب وهي من الظواهر التي بقي يجهل طبيعتها ولا يصل إلى السيطرة عليها ، كما أن ارتباطها بحياته الرعوية جعل لها قيمة متقدمة . أن النتائج التي توصلت اليها ليست نهائية وبالإمكان تعديلها إذا أصبحت هي لحالها بحثاً قائماً بذاته فهي إذن موضع دراسة متخصصة لاحقة .

تظهر الدراسة العلاقة بين المجتمع والدين في أمور كثيرة الذي وصل الينا منها هو ان الآلهة كانت أحد أبرز مصادر اشتقاق أسماء الأفراد وان نظام الزواج أدى دوراً في تداول هذه الأسماء . لقد كان نظام الزواج والحراك البشري الذي اتسمت به الحياة العربية من عوامل انتشار الدين مثلما كانت العناصر المادية للحياة أساسية في تشكيل المعتقد الديني وظهر تلازم هذه العناصر (الزواج) و(الحراك البشري) و(التجارة) و(الحج) فاعلاً في تكوين الحياة العربية . ونموذج (مكة) مثال حي لهذا التلازم . فالدور التاريخي في مكة ابتدأ من نقطة افتراق الديانة السماوية عن الديانة الوضعية (توحيد إبراهيم الخليل) عن (وثنية الاعتقاد الديني القديم) وارتبط هذا الدور في سيطرة خزاعة على مكة ومباشرة عمرو بن لحي إجراءاته في تنظيم مكة وأصبحت المعادلة الأساسية في إجراءاته تقوم على احتواء البيت العتيق أو بيت الله لكل آلهة العرب بدون استثناء وهذا بحد ذاته اعتراف بأن توحيد إبراهيم الخليل هو الأعلى والإطار العام للحياة الدينية وان آلهة العرب لا تبعد عنه كثيراً ولا بد أنه وضع نظاماً دقيقاً يحدد أقيام آلهة العرب لم يصل إلينا كاملاً وبهذه المعادلة بدء دور مكة يتكون في الحياة العربية ويرتبط به النظام السياسي الجديد للعرب وسط

تقدم قوى الاحتلال والهيمنة الأجنبية الزاحفة نحو شبه جزيرة العرب ، لقد أخذ هذا الدور مداه في تنظيمات قصي بن كلاب وعندما نقترب من الإسلام نكتشف في الروايات وعياً جديداً يرى ضرورة إسقاط رموز الوثنية لصالح ديانة التوحيد التي بشّر بها إبراهيم الخليل ، فهذه الرموز حلقة زائدة في العلاقة بين الله سبحانه وتعالى وبين الإنسان .

ABSTRACT

This dissertation is devoted to the study of the pre-Islamic positive religion of the Arabs before Islam as an attempt to get at the rise of religious beliefs and the form in which the Arabs expressed their belief before God revealed his three messages devoted to monotheism as preached by Ibrãhīm .The study adopted the procedure of constructing a data-base of the gods commonly worshipped by pre-Islamic Arabs submitting this base to a multi- directional analysis and putting it in the framework of the events relevant to it .

The rise of religious beliefs was linked to the early days of the beginning of life which inspired man his first religious ideas represented by mother god . However , under the influence of immediate environments man developed these ideas and changed their priorities according to the effective environmental elements . This is what is revealed by the early civilizations in Iraq and Egypt . Through the passing of time the numerous phenomena of the universe together with the environmental elements associated with it were changed into gods in spite of their independence , but through the organization process and order of importance they preserved , albeit in a limited way , their connection to the core of the first creation .

A picture of this polytheism has been drawn . As Table (1) illustrates eighty gods shared Arabian belief . We only have information about their names , worshippers and the places where they were worshipped but we lack sufficient information about their temples and symbols . These gods have been submitted to a two – fold study . First , the study dealt with their geographic distribution which showed that the inhabitants of the west of the Peninsula worshipped thirty – seven gods twenty – one of which were worshipped specifically by them . They shared with the people of Yemen the worship of twelve gods and with the people of the east of the Peninsula they shared the worship of the remaining six gods . Of the thirty – six gods worshipped by the inhabitants of Yemen , fifteen were specific to them , twelve shared with the people of western Peninsula and one with the people of eastern Peninsula . In addition to the six gods shared with the people of western Peninsula and the one shared with the people of Yemen , the people of eastern Peninsula had seven private gods , which makes the total number of gods they worshipped thirteen .

The second part of the study dealt with the tribal distribution of the gods . It has been found out that the Qahtani tribes worshipped seventy gods while the ‘Adnani tribes worshipped sixty – four . The study has revealed that some gods were tribe – specific , while others were shared

with other tribes . There is no doubt that specificity or the sharing (of a god) was determined by several factors such as the power of the god, the strength of the tribe , the nature of the circumstances and the passing of time . Factors such as proximity and marriage played an important role in the spread of god – worshipping . The semantics of the names of the Arabian gods has also been studied . It has been discovered that terms such as sanam , wathen and nusb had certain implications which , through the passing of time , have been lost or confused in the human mind .

It has been found out that idolatry is ancient among the Arabs and that it was the first form of religion the contrary of which was monotheism in its earliest form associated with the Father of the Prophets Ibrãhim . This, however , did not bring idolatry to an end , since some of Ibrãhim´s descendants soon relapsed to idolatry. The study has revealed, as Table (4) illustrates, that most of the eighty gods are asnãm (68), one only was described as wathan and the remaining eleven were described as hajar (stone) . When these were distributed according to the linguistic meanings deduced , seven according to the reports , it was found out that eleven of them are associated with planets , six with time , five with water , four with animals , three with each of the universe and plants . There was no indication of any association with the wind . Semantically speaking , gods are classified into two basic groups as Table (5) illustrates . The first group includes seventy- nine gods that are charcteristics of the moon , the sun , and Venus , while twenty – nine gods were part of the system of the universe of which fourteen are related to the Moon , nine to the Sun and six to Venus .

That religion was, to a great extent , linked to the Arabian life was evident and this link was quite obvious in trade. It was found that the religious measures of Umr ibn Luhayy aimed, in the first place, to invigorate trade because the invigoration and enrichment of religions life and the embracement of the greatest proportion of people within its framework enlivens and expands the basis of the performance of religious rites especially pilgrimage and vows . Thus religious beliefs were linked to the course of internal markets and found in the system of prohibited months a space for growth and flourishing and on this basis the other measures were arranged , Umr ibn Luhayy found that monotheism with idolatory in order to make Meca respected by all Arabs irrespective of their religion. And since the Ancient House is the house of monotheism he made it into a general framework that contains the positive gods of the Arabs .

The rise of an Arbian economic system was linked to the growth and development of a political entity for the Arabs in the Peninsula pivoting around Meca. Alliances, intermarriages and covenants reflcted this

clearly . This , in turn , was reflected on national maturity . The market course , the sharing of worship , inter – marriages , piligrimage and trade all played their roles in social and cultural blending , the development of dialects into a linguistic proximity and the emergence of poetry as a means the creation of a public opinion . Its effect was also evident in the popular names among the people . Marriage was sometimes a means for the spread of names and the worship of gods .

Qusayy ibn Kilãb adopted the same measures of Umr ibn Luhayy and developed some of them to ensure the development of Meca´s role . The emphasis on the link between Meca´s the glorification of the status House and regard of the positive gods of the Arabs still remained . However , social awareness started to drive people away from the gods of the Arabs and bring them closer to the glorification of monotheism . Thus with the advent of Islam , the last divine message , the conflict in the Arabian life was settled permanently in favour of monotheism and positive religion came to an end with the revelation of the Sũra no. 9 (Barãat = Immunity or Tauba = Repentance) and sending, by the prophet, Ali ibn Abi Talib as emissary to Meca during the pilgrimage season before that of hajj alwadã, to tell people to perform their rites according to Islam and not to what they used to do .

THE PREISLAMIC ARAB’S POSITIVE RELIGION

A DISSERTATION
SUBMITTED TO THE BOARD OF THE COLLEGE OF ARTS,
UNIVERSITY OF BAGHDAD IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE
REQUIREMENTS FOR THE DEGREE OF Ph. D. IN
ISLAMIC HISTORY

BY
ANMAR NAZAR ABDULLATIFF AL- HADITHY

SUPERVISED BY
PROF. SALH AHMAD AL-‘ ALI (Ph. D)

October 2003